العدد الخامس من السنة الثالثة — ربيع الثانى سنة ١٣٦١ — مايو سنة ١٩٤٢

مجلة

الشؤون الاجتماعية

تصدرها شهريا وزارة الشؤون الاجتماعية

(بالمجان)

مدير التحرير : حسن الشريف : تليفون ٨٥٣١٢

القاهرة
طبعت بالمطبعة الأميرية ببولاق
١٩٤٢

فهرس العدد

		صفحة
وزارة الشؤون الاجتماعية بين الإلغاء والإبقاء	... ...	٣
تصرف الحكومة فى العامات الأخيرة	... ...	٧
رسالة الطالب العربى	... ... محمد العشماوى بك...	١٢
الضرائب الجديدة وروح العمل بها	... ... حبيب المصرى باشا	١٧
السكنى فى الريف	... ... فؤاد أباظه باشا	٢٣
وسائلنا فى انقاذ الطفولة	... ... الدكتور محمد عبد المنعم رياض بك	٢٧
أثر بنك التسليف الزراعى فى الإنتاج القومى ...	عبد القادر الجمال باشا	٣٨
التربية الحديثة	... ... الدكتور عبد السلام الكردانى بك	٤٤
نحو آفاق جديدة	... ... الأستاذ سيد قطب	٤٩
قوة الكلمة والاصلاح الاجتماعى فى مصر...	... ...	٥٤
المراكز الاجتماعية	... ... الدكتور أحمد حسين	٥٧
المجتمع والفنون	... ... الأستاذ س . ق	٧٠
شعب مترف	... ...	٧٦
قانون الفقر	... ... الدكتور حسين الهراوى	٨٠
المرأة الحديثة	... ... الأستاذ محمد لطفى جمعه	٩١
موسيق المخمورين	... ... الأستاذ "س..."	١٠٠
استخدام اللغة العربية	... ...	١٠٥
النشاط الاجتماعى فى مصر	... ...	١٠٨
رياء المقاهى والمراقص	... ...	١١٠
مآوى الأطفال	... ...	١١٧

وزارة الشئون الاجتماعية

بين الإلغـاء والإبقاء

عادت وزارة الشئون الاجتماعية الى الوجود بعد إلغائها عدة أيام ، ولم يكن بد من أن تعود ، بل لم يكن بد من إنشائها إذا لم يسبق لها الوجود، فهذه الوزارة هى وزارة المستقبل وشارة الطريق إلى الاتجاهات الحديثة فى العالم كله وفى مصر على وجه الخصوص، ذلك أن سمة العصر الحديث التى يمتاز بها من جميع العصور هى العناية بالشئون الاجتماعية وتقديمها على جميع الشئون ، وهى نشر ما يسمى " الخدمة الاجتماعية " والتغلغل به فى جميع الأوساط التى تحتاج لهذه الخدمة .

ومن خلال هـذه الحروب الطاحنة وتلك المغامرات القاسية التى تجتازها الانسانية فى هذه الأعوام الأخيرة تبرز سمات عالم جديد طابعه الأساسى تغيير الأوضاع الحالية والعناية بالجماهير التى كانت محرومة من العناية كلها أو بعضها، وليس أدل على هذا الاتجاه من تطور حزب العمال الانجليزى إلى المبادئ الاشتراكية المعتدلة وجهره بأنها ستكون مبادئه المقبلة .

ووزارة الشئون الاجتماعية فى مصر هى وزارة الملايين الكثيرة من الفلاحين والعمال ممن حرمتهم الأوضاع الحالية فى خلال أجيـال طويلة متعاقبة كل عناية وأوصلتهم إلى الفقر والمرض والجهـل والتدهور الجثمانى والوجدانى ، وباعدت بينهم وبين الاهتمام بالشئون العـامة وبين العناية بسياسة الحكم والادارة ، وبين استعمال حقوقهم القانونية والسياسية إذ أحسوا أنهم كم مهمل لا شأن له بهذه المسائل ولا علاقة بينه وبين الهيئة الحاكمة ونظمها وقوانينها وإرشاداتها ونصائحها ولم يحاولوا إلا فى السنوات الأخيرة أن يربطوا بين مصيرهم ومصير نظام الحكم فى البلاد .

ومن هنا كان انزواء هذه الملايين فى داخل حياتها المحدودة ، وكان نفورها من مساعدة الهيئة الحاكمة على تنفيذ القوانين، وكان التستر على الجرائم والنكول عن أداء الشهادة والتهرب من الجندية ، وكان فقدان الثقة بكل ما تهم به السلطات من الإصلاح حتى ما يختص بالمسائل الزراعية ، فتنقية الدودة وتدخين الأشجار وانتقاء البذور وقلع البرسيم المدود وأمثال هذه الأعمال يؤديها الفلاحون مكرهين وهى فى صالحهم ، لأنهم ينظرون بعين الريبة لكل عمل تهم به السلطات من طول ما تعودوا ألا تحسن إليهم هذه السلطات !

فوزارة الشئون الاجتماعية هي وزارة هذه الملايين وعليها أن تتصل بهم وتشعرهم بآدميتهم وتعيد إلى نفوسهم الثقة بأن الحكومة وكيلة عنهم لاجلادة لهم ، وأن المشروعات الحكومية إنما قصد بها إلى مصلحتهم ، وهي قد أخذت تصنع ذلك كله في المراكز الاجتماعية ، ويجب أن تستمر في وظيفتها النبيلة .

وهي وزارة الإنشاء الجديد للمجتمع المصري الذي نخره سوس المظالم الاجتماعية والآفات الخلقية ، هذا المجتمع الذي يكاد ينهار من فرط ما تعفن وسوس في خلال مئات السنين لطول إهماله والتعالي عليه وتركه للصادفات تصنع به ما تشاء .

فتوزيع الثروة وتوزيع الواجبات والحقوق ، وتوزيع المغانم والمغارم ، ومستوى الأجور وتقسيم العمل ... وما إلى هذه المسائل المتشعبة المتشابكة ، لم تمسسه يد بعد ، ولا يزال متروكا للأوضاع التاريخية التي لا تستطيع الحياة في العصر الحديث ، وهي في حاجة إلى هيئات حكيمة ، لإعادة النظر فيها وتنظيمها على أسس خاصة وإيجاد التوازن بين المصالح المشتركة ، وإلا ساءت العاقبة ، وتولت هذه المسائل إصلاح نفسها بنفسها بغير تدبير ولا نظام ، فيقع الاختلال الذي يصحب كل تغيير بغتائي لم تتعهده الأيادي الحكيمة في رفق ولين .

وهي وزارة الأمومة والطفولة والشباب ، وتنظيم " الخدمات الاجتماعية " لهؤلاء جميعا . والأمومة والطفولة مشكلة ، والشباب مشكلة أخرى في جميع بلاد العالم ، وهما في مصر مشكلتان كبريان تحتاجان وحدهما إلى وزارة ذات ميزانية كاملة . فنسبة الوفيات من الأطفال ونسبة المصابين منهم بالآفات الجسمية والعقلية وخسارة الأمة المادية في الأطفال الذين يموتون قبل سن الانتاج وهي لا تقل عن مليونين من الجنيهات في كل عام تستلفت النظر وتدعو إلى جهد موصول في هذا السبيل . كما أن مشكلة الشرود في الحداثة والشباب ومصير الألوف إلى الجريمة والفساد الخلق والآفات الجثمانية مسألة تستدعي العناية ولا يستكثر عليها مجهود .

وهي وزارة الأهداف الاجتماعية والخلقية والاقتصادية تحددها وتبرزها وتدعو إليها بحيث لا تسير الإصلاحات فوضى لا غاية لها ولا هدف ، فصورة المجتمع المصري الذي نريده يجب أن تكون من صنع هذه الوزارة ، والوسائل التي نتوسل بها إلى تكوين هذه الصورة من دينية وخلقية وقانونية واقتصادية هي التي تبتكرها وتحددها وتقوم بتجربتها وتسجل نتائجها وتتوسع في تطبيقها وتشرف على تنفيذها من قريب أو من بعيد .

وهي وزارة التنسيق بين اتجاهات الوزارات الأخرى التي تتعلق أعمالها بالفلاحين والعمل والطلبة وبالتشريع والاقتصاد والتجارة وسائر ما يتصل بالوضع الاجتماعي للأمة حتى تتسق جميع الجهود الوزارية وتسير نحو هدف واحد غايته تحسين الوضع الاجتماعي للشعب من جميع الوجوه ، والسير نحو غايات بارزة محددة لا فوضى فيها ولا غموض ولا التواء .

وهى وزارة الإرشاد الاجتماعى وتهيئة الجو لقبول الإصلاحات الاجتماعية ، فهذه الإصلاحات تقوم على قاعدتين : الايجاب والقبول . فلا بد أن تتهيأ النفوس أولا للإصلاح ثم تسن التشريعات وتتخذ الاجراءات فى جو صالح أو تذهب عبثا بلا قبول . و بعض هذه الإصلاحات يقتضى تضحيات من فريق لفريق و لتضحية ثقيلة على النفوس ، فيجب أن يقوم الإرشاد الاجتماعى بإعدادها لقبول التضحيات للصالح العام ، كما يعد الجو العام للانتفاع على أحسن وجه بهذه التضحيات .

وقد حدث مرة أن لجنة المالية بمجلس النواب السابق قد أشارت بالغاء هذه الوزارة فألقى معالى وزيرها إذ ذاك بيانا مفصلا و ردت فى نهايته هذه الفقرات ، وهى تكفى فى هذا المجال :

" مظهرنا بين الأمم مظهر جميل براق ، فلنا دستور وهيئات تشريعية وأنظمة قضائية و إدارية ، ولنا جامعة ومعاهد للعلم ، ولنا جيش و بوليس ، ولنا فوق ذلك ظواهر من الترف والكمال ، فمن مجمع علمى إلى مجمع لغوى إلى جماعات تشتغل بمختلف العلوم والفنون ، لنا كل هذا وترون كثيرا على الفلاح المسكين الذى يئن من البؤس وسوء الحالة ، وعلى العامل التعس الذى يتطلع لشىء من العناية ، وعلى الأسرة المصرية المفككة ، وعلى الطفولة المشردة وعلى الأمراض المتوطنة والأمية الفاضحة ، ترون كثيرا على هذا القسم الأكبر من الشعب أن تكون له وزارة تحظى بشىء من المعونة والعطف ؟ " .

* * *

ولكن هذه الوزارة — وتلك مهمتها الضخمة — فى حاجة إلى ميزانية وفى حاجة إلى موظفين وفى حاجة إلى برنامج . ونقتل كلمة عن هذه الحاجات الثلاث :

بلغت ميزانية وزارة الشئون الاجتماعية فى العام الماضى ٦٤٥,٩٥٠ جنيها ، وهى أرقام ظاهرة ، اذ أن ميزانية مصلحة السجون المنقولة من وزارة الداخلية بلغت ٤٨٠,٨٠٠ جنيه وميزانية مصلحة العمل المنقولة من وزارة التجارة والصناعة بلغت ١٢,٦٥٠ جنيها . ومصلحة التعاون المنقولة من وزارة الزراعة بلغت ميزانيتها ١٥,٥٠٠ جنيه . ولم يخصص للأعمال الانشائية فى ميزانية العام الماضى سوى ١٧,٠٠٠ جنيه خصصت للمراكز الاجتماعية ، وهو الرقم الحقيقى الذى يحسب على ميزانية هذه الوزارة الناشئة ، فماذا يصنع هذا المبلغ الصغير أمام هذه التبعات الضخمة التى تضطلع بها تلك الوزارة ؟

أما الموظفون فقد انتدبوا أولا من الوزارات الأخرى ، ثم ثبتوا فى الوزارة فى حدود ميزانيتها الضيقة ، ومن العدل والصراحة أن نقول : إن المهمة الضخمة المطلوبة فى هذه

الوزارة أكبر جدا من هؤلاء الموظفين القليلين ، وأنهم فى حاجة الى التطعيم بكفايات جديدة و إلى مضاعفة العدد ليؤدوا الواجبات المطلوبة .

أما البرنامج فقد ورد فى المرسوم الذى أنشئت به هـذه الوزارة أول مرة أنه إصلاح المجتمع المصرى. و إصلاح المجتمع المصرى كلمة ضخمة مجملة تحتاج الى شروح مفصلة لم يكن المرسوم يتسع لها بطبيعة الحال .

ونحسب نحن أن المطلوب من هذه الوزارة يدخل فى حدود المعجزات ، فهو بالاجمال : وضع أسس جديدة لتوزيع الثروة وتعادل الدخل وتوازن الجهد والجزاء بين جميع الطبقات. وهو وضع الأسس الكفيلة بتناسـق الخطوات فى مكافحة الفقر والمرض والجهـل بحيث لا تسبق الواحدة الأخرى فيختل السير ويتعذر الإصلاح. وهو إعادة إنشاء المجتمع المصرى على أسس جديدة سليمة من الوجهتين الخلقية والعقلية وهو اعادة النظر فى العقلية التشريعية والتعليمية لتتفق مع مقومات الشعب الأصيلة .

ولفظة "المعجزة" لا تصور حقيقة هذا العمل المطلوب ، فمجرد الاحصاءات والاختبارات التمهيدية اللازمة لوضع الأسس السليمة يقتضى عدة سـنوات وعدة ملايين من الجنيهات ومئات من الموظفين الاخصائيين فى كل ناحية من نواحى الاجتماع . بل هى فى حاجة الى أن تكون جميع قوى الدولة فى خدمتها تيسر لها مهمتها وتقدم لها ما تطلب من البيانات .

فالدولة إذن هى التى تملك أن تضع برنامجا مفصـلا لوزارة الشئون الاجتماعية ، إذ أن هذا البرنامج يتعلق بالاتجاهات العليا للحكومة كلها ، ويتعلق بأعمال وزارات أخرى ليس من اختصاص وزارة الشئون الاجتماعية أن تشرف عليها إشرافا تنفيذيا .

فلكى لا تتعارض الاختصاصات ولا تتعقد الاجراءات أو تتعدد فى الوزارات المختلفة يحسن أن تعد وزارة الشئون الاجتماعية برنامجها لعدد معين من السنوات وأن تقدمه لمجلس الوزراء ليوافق عليه ، ويكل اليها تنفيذ ما يدخل فى حدود اختصاصها ، كما تأخذ الوزارات الأخرى فى تنفيذ ما يدخل فى اختصاصها من هذا البرنامج العظيم .

———

تصرف الحكومة فى الغارات الأخيرة

يشدد العزائم ويقوى الروح المعنوية

عادت ويلات الحرب تصيب المصريين كما تصيب أمم العالم المحاربة والمسالمة فى هذه الأيام ، بعد انقطاع الغارات الجوية فى خلال فصل الشتاء ، وإصابة المدنيين بهذا الجحيم وحشية لا شك فيها ، ولكن لم يعد يجدى أن ننعت المغيرين بالوحشية أو بما هو أشد منها ، فالحرب الحاضرة هى حرب وحشية وفناء ، وعلينا أن نواجه الحقائق الواقعة ولا نتشبث بأوهام وأحلام .

إن كل ما كسبته الإنسانية فى عشرات الألوف من السنين ، من فضائل ومبادئ ومثل ، تخسره فى هذه السنوات . ولولا أنها تخسره وتخدر عنه لما أصبحت الغارات على المدنيين عملا هينا يرتكبه المغيرون فى جميع بقاع الدنيا وضمائرهم مستريحة ونفوسهم راضية بهذا العمل الشنيع الذى تقشعر منه الأبدان .

يجب إذن أن تنصرف همتنا إلى مواجهة الغارات وإلى الاحتياط لها ، فلا نعتمد على المبادئ الإنسانية التى تحرم ضرب المدنيين ، ولا نتكل على أننا أمة مسالمة لم تعلن حربا على أحد فهى لا تنتظر من أحد الاعتداء عليها ، فالتشبث بهذه الأوهام يضرنا ولا يفيدنا شيئا ويعرضنا لأشد الكوارث المفاجئة دون استعداد ولا احتياط .

إن المحاربين اليوم لا يراعون فى خططهم أن هذه أمة مسالمة أو غير مسالمة ، ولكن يراعون فقط مصلحة خطتهم الحربية ، وحين تقتضى هذه الخطة عملا ما فهم مقدمون عليه دون أية ملاحظة لمبدأ من المبادئ الإنسانية أو لأية حقيقة من الحقائق المنطقية . وعندهم أن هذه المبادئ والحقائق بقية من عقلية قديمة لا تصلح للعهد الجديد !

وقد وقعت فى شهر أبريل بعض الغارات على مصر وبخاصة مدينة الاسكندرية ، فكان تصرف السلطات المسئولة بعد هذه الغارات مباشرة تصرفا يشدد العزائم ويقوى الروح المعنوية ويبعث إلى النفوس الثقة والطمأنينة على قدر الإمكان ، واتضح أن نظام الوقاية فى البلاد قد نضج أو كاد ، وأنه استكمل ما كان ينقصه عندما وقعت الغارات فى العام الماضى .

ويحسن أن نشير إلى النقط البارزة فى هذا التصرف المحمود ، ونبين أثرها فى خلق جو من الطمأنينة والثقة والارتياح .

أول ما تجب الإشارة إليه هو إعطاء البيانات كاملة صحيحة عن عدد المصابين وحقيقة الخسائر المادية فقد أصدرت السلطات فى أول الأمر بلاغا مبدئيا قدرت فيه القتلى والجرحى بحسب ما انتهى إليه علمها ساعة صدور البلاغ ، ثم أتبعته ببلاغ آخر فى المساء ذكرت فيه أن المعلومات الأخيرة تفيد أن عدد المصابين أكبر بكثير مما نشر ، وأعادت نشر عددهم الأخير .

هذا التصرف من أحكم التصرفات ، فالواقع أن شعور الجماهير بأن السلطات تعرض عليه الحقائق كاملة يضع حدا للإشاعات الكثيرة التى تعتمد على الخيال والمبالغات ، وقد كانت هذه الإشاعات تنتشر فى الماضى عقب كل غارة أو إنذار بغارة ، وكانت تجد لها مصدقين مهما تجاوزت الحد فى الإغراب والمبالغة ، ولكنها فى هذه المرة لم تجد نصيبا من الرواج ، فما كاد الناس يقرءون البلاغ الثانى حتى اطمأنوا ووثقوا بصحة المعلومات الرسمية ، ولم يلجئوا إلى إعمال الخيال والركون إلى الإشاعات .

وقد كانت الغلطة التى ترتكب فى الماضى هى غلطة الخوف من الجمهور وتعمية الحقائق عليه فى مثل هذه الشئون ، فاتضح الآن أن الجمهور ليس خطرا ، وأن علمه بالحقائق — مهما تكن فادحة — خير من تعميتها عليه ، وتركه للإشاعات والأقاويل . وقد اتبعت السلطات الانجليزية من قبل هذه الخطة الحكيمة فى بلادها ، فكانت خطب تشرشل وتصريحاته عن الخسائر والكوارث مثار الإعجاب والحماسة فى نفوس البريطان وغيرهم ممن كانوا يحسون فى هذه الخطب والتصريحات معنى الرجولة وقوة الثقة وجمال الصراحة .

فالآن وقد جربت السلطات المصرية هذه الخطة فأحدث عليها وعلى الجمهور يجب أن تحافظ عليها فى كل ما يجد من كوارث هذه الحرب التى تصطلى البشرية كلها ومصر أخفها نصيبا وأشدها سلاما . وعلى الجمهور بإزاء هذه الصراحة أن يعرض عن مروجى الإشاعات وأن يطمئن إلى بلاغات الحكومة ، وأن يغلق سمعه وقلبه عن ترويج الأقوال المغرضة التى يقصد منها مروجوها نشر القلق والذعر فى أنحاء البلاد .

والتصرف الثانى هو سرعة عمليات الإنقاذ ، بالقياس إلى ما حدث فى الغارات الماضية ، فلم تمض أربع وعشرون ساعة حتى تمت أعمال الإنقاذ ورفع الأنقاض ، بينما استغرقت هذه العملية فيما مضى أكثر من ثلاثة أيام .

ومرجع هذا فى الغالب إلى وفاء الاستعداد فى هذه الفترة وحسن المرانة ، وإن كان الأمر فى هذا قابلا للتحسين وللمزيد من السرعة ومن الإتقان ، فالغارات العنيفة على انجلترا وعلى ألمانيا لا تستغرق أعمال الإنقاذ فيها زمنا أطول من الزمن الذى استغرقته غارتنا القصيرة الخفيفة . والقياس مع الفارق بطبيعة الحال ، ولكن أرواح الآدميين غالية فى كل

مكان ، فيجب ألا يدخر جهد ولا مال ولا حيرة للحافظة عليها ، وفى الوسع زيادة المرانة وزيادة الاستعداد ، مع الاعتراف بالتقدم الملحوظ والسرعة الظاهرة فى أعمال الإنقاذ الأخيرة .

وندع هذا لننظر فى تصرف ثالث يستحق التنويه حقيقة وهو سرعة مساعدة المصابين وسرعة تعويض المنكوبين . فهذه نقطة بارزة فى تصرف السلطات فى هذه المرة ، فلم يمض يومان حتى كان كل مصاب حى قد تناول جنيهين يستعين بها على مطالبه السريعة ، وحتى كانت كل أسرة منكوبة فى عائلها أو فى مورد رزقها قد نظر فى صرف التعويض الوافى لها لتواجه به المحنة الجديدة .

ويكفى فى بيان قيمة هذا العمل أن نذكر أن بعض التعويضات عن عارات العام الماضى لم تكن صرفت حتى اليوم بسبب بطء الإجراءات وتعقدها ، بل نخشى أن نقول بسبب بلادة الشعور الإنسانى الذى لا يتأثر لمثل هذه المصائب التى أصابت المواطنين من قبل فظلوا تحت رحمة الإجراءات البطيئة نحو عام !

إن هؤلاء الذين ينكبون فى عائلهم أو فى مورد رزقهم يتعرضون للتشرد والمذلة والكوارث المعيشية بعد ما أصابهم من الكوارث العائلية والمادية . فلا يقتصر الأمر عليهم ، ولكنهم يبرزون مثلا حيا أمام المواطنين الآخرين . مثلا مفزعا يزيدهم خوفا من الغارات وكوارثها التى تشرد الناس فلا يجدون من يغيثهم ، وهذا ينشر الذعر والفزع فى صفوف من لم يصابوا ويدعهم يتوقعون الشر فى كل لحظة . وهو شر مرعب لا يتمالكون أعصابهم لمواجهته وهم يرون آثاره فى سواهم ممن كانوا مثلهم أو أغنى منهم فباتوا بلا مأوى ولا معين .

فسرعة إسعاف المصابين وتعويض المنكوبين جديرة أن تخفف وقع المصاب عليهم وأن تبث الطمأنينة فى نفوس سواهم ، وترفع قوتهم المعنوية وتكسب قلوبهم الاتزان فى مواجهة الأحداث . وحقيقة إن التعويض المادى لا يرد على العائلات والأفراد أعزاءهم الذين فارقوا الحياة ، ولكنه يساعدهم على مواجهة الحياة بعدة من المال وعلى اتقاء التشرد والفضيحة . وليس هذا بالقليل الأثر فى نفوس المصابين والمعرضين للإصابة .

ثم إن هناك معنى لسرعة الاسعاف والتعويض وهو معنى التضامن الوطنى والاجتماعى الذى قامت به الحكومة نيابة عن الأمة ، والشعور بالتضامن بين المصابين والناجين مما يخفف وقع المصاب من جهة ويوقظ الوطنية فى النفوس من جهة أخرى ، فيحس المصابون أن لهم وطنا يرعاهم ويخف الى نجدتهم ، فعليهم إذن أن يرعوه وأن يخفوا الى نجدته ؛ ومن مصلحة الأمة وفى خلال الأزمات خاصة أن يقوى هذا الشعور النبيل فى نفوس الجميع .

ومما يزيد هذا المعنى وضوحا تبرع بعض المتبرعين بأموالهم ، وهذه التبرعات قليلة ولا ريب ، وتلك هى ناحية النقص البارزة فى المجتمع المصرى ، ويجب أن ننبه اليها هنا ، ففى مصر كثيرون ممن أنعم الله عليهم بالمال ووقاهم كوارث العدوات ، ولا ينقص ثروتهم فى شىء أن يتبرعوا بالألوف والمئات أو بالعشرات ، والكوارث العارضة التى قد تصيب فى الغد من نجوا منها اليوم مجال مناسب لتبرع ولإشعار الآخرين أن هناك تضامنا اجتماعيا بين أهل الوطن الواحد ، ولهذا الشعور مزاياه الوطنية والاجتماعية ، فوق ما فيه من معان إنسانية تشترى بقليل من المال !

وقد شاءت جلالة الملكة أن تشمل برعايتها السامية هؤلاء المنكوبين فكان هذا العطف السامى كبير الدلالة على حكمة هذا التوجيه الذى نأمل أن ينتبه اليه القادرون .

والتصرف الرابع الجديد هو إخلاء بعض مناطق الاسكندرية من السكان . فعلاوة على ما فى هذا التصرف من حقن لدماء السكان فى هذه المناطق وعدم تعريضهم للأخطار المرجحة ، فهو يقوى الثقة فى نفوس سكان المناطق الأخرى ويشعرهم بالاطمئنان الى أنهم فى مأمن نسبى ، وأن السلطات ساهرة عليهم وستقوم بترحيلهم حين تجد الخطر شديدا على مناطقهم .

وليس المقصود أن يعتمدوا على هذا الأمان ، فلم يعد فى الدنيا الآن أمان ، ولكن المقصود منه ألا يستسلموا للفزع وألا تتجسم الأوهام فى نفوسهم بسبب الرعب ، وأن يتصرفوا ساعة الإنذار بالغارة تصرف المالك لأعصابه ، المؤمل فى النجاة من الإصابة ، فليس أصعب من فقدان هذا الأمل ومن الفزع الذى يفقد المفزوع صواب التصرف .

ثم إن الإخلاء المنظم لبعض المناطق يبقى المهاجرين تلك الفوضى التى قاسوا آثارها فى العام الماضى حينما خرجوا يهرولون من البيوت هائمين على وجوههم فى الطرقات ، فى ذعر يشبه الجنون ، فتكدسوا بالألوف على أرصفة المحطات وفى الطرقات المؤدية إلى داخلية البلاد ، حتى لقد ذهلت الأمهات عن أطفالهن وترك الأخ أخاه والزوج زوجته والابن أباه وهام الجميع على وجوههم إلى أن وصل كل منهم إلى حيث ألقى به القطار أو حيث ساقته قدماه .

وبعد أن ذهبت السكرة وجدوا أنفسهم مشردين لا مأوى لهم يبيتون فيه ولا نقود معهم يعيشون بها ، فتعرض بعضهم للجوع وبعضهم للمرض كما تعرضت الكثيرات من الحرائر لفضائح خلقية ستظلهن فيما شذا ذ الآفاق وتجار الأعراض .

هذه ذكريات أليمة يجب أن يذكرها من يأخذهم هول الغارات فينسون أنفسهم ويهيمون على وجوههم . ويجب أن تذكرها السلطات فلا تقع فى غلطة الهجرة المباحة بلا ترتيب سابق ولا تدبير . فقبل أن تسمح لأحد بالهجرة من الأماكن المعرضة للخطر يجب أن تكون قد

أعدت لهم المهاجر المنظمة التى يستطيعون فيها الحياة ، وأن تكون قد اتخذت من الوسائل الصحية والمعاشية ما يكفل عدم انتشار الأمراض والأوبئة ، وعدم التعرض لنقص التغذية وقذارتها ، وعدم استغلال المستغلين للمهاجرين المساكين .

لقد وقعت فى هجرة العام الماضى كوارث يندى لها الجبين ، ومما يخجل أن بعض القائمين على شؤون المهاجرين فى القرى كانوا يجيعونهم ويقترون عليهم ويذيقونهم الذل والحرمان ليستغلوا هذا كله فى مصلحتهم بحقارة وخيانة للوطن وللإنسانية ، ويجب ألا تتكرر هذه المآسى بعد الآن .

وبهذه المناسبة نذكر حكمة التفكير التى أعادت وزارة الوقاية بعد إلغائها ، فالحوادث بالمرصاد ، ولا يدرى أحد كيف تصير الأمور ، والعالم كله يكتوى بنار الحرب وويلاتها ، وعلى الجميع أن يأخذوا حذرهم وأن يبذلوا جهدهم ، وألا يستكثروا الانفاق على وقاية الأرواح ، فهذا أوان الانفاق وأوان الاحتياط . وشعور الناس بأن وسائل الوقاية كافية وأن السلطات كذلك ساهرة ، هو الضمان الوحيد لحسن تصرفهم فى أوقات الشدة ولتماسك قواهم فى لحظة النكبة .

وقد بلغت النفقات المرصدة للوقاية فى ميزانية هذا العام نحو مليونى جنيه وهذا يدل على تقدير الاحتياطات الوقائية قدرها الصحيح .

وعلينا أن نتبع طريق الصراحة التى اتبعناها ، فلا نقلل من احتمال الأخطار ولا نبالغ كذلك فى الخوف منها ، ولحسن الحظ أن الشعب المصرى شعب متدين شعاره " قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا " فإذا كان هذا هو شعار الجماهير ، فليكن شعار السلطات " اعقلها وتوكل " . وإن كان هذا لا يعفى كل فرد من اتخاذ العدة ومن الاحتياط الذى لا يعصم من القدر ولكن يوجد الطمأنينة ويثبت القلوب .

— — —

رسالة الطالب العربى

لحضرة صاحب السعادة الأستاذ محمد العشماوى بك

المستشار الفنى ونائب رئيس رابطة الإصلاح الاجتماعى

قصدت حين اخترت "رسالة الطالب العربى" موضوعا للحديث أن أتحرر مما يقتضيه البحث من جهد وعمق فلا يرتفع بحثى الى مرتبة المحاضرة وما تتطلبه من تقدمة وتفصيل وتحليل، وأن يكون سبيلى حديثا مرسلا له صفة الحديث، وهى أنه ذو شجون. فأطالع المستمع بما يعرض للذهن من خواطر وذكريات يطمئن لها خيالى وشعورى حين يجرى حديث العرب. وهأنذا فى مكانى هذا أذكر مواقف ماثلة أمامى على الرغم من بعد الشقة وتتابع الأحداث. ففى صيف سنة ١٩٣٧ وقفت على رابية من ربى لبنان الجميل أخطب كثافة العرب لبنانيين وعراقيين وشاميين وفلسطينيين فكنت أبصر بعينى بعض البقاع العربية وأستجمع بخيالى نائى الأقطار والديار فلا ألمح حدودا بين بعضها وبعض إن هى إلا أمة واحدة فى رقعة من الأرض واحدة يؤلف بين أجزائها ماض واحد وحاضر مشترك ومستقبل منشود يحفز شبابها المتوثب أمل قوى فى تجديد الحضارة العربية وبعث المجد الذى حفلت به صحائف التاريخ. وكذلك لا أنسى أنى وقفت أخطب شباب العراق وأتحدث فى مذياع بغداد فجعلت أسائل نفسى: أفى بغداد أنا أم فى القاهرة، وعلى ضفاف دجلة أو على شاطئ النيل السعيد، أو غريب أنا فى هذه الديار أم أنعم بين عشيرتى وأهلى! والآن أتحدث لجمع يضم شباب العرب من أقطار شتى فى ظلال الجامعة المصرية فلا أجد فى نفسى شعور الغريب يتحدث الى الغريب وإنما أشعر حق الشعور بأنى أتحدث الى طائفة من بنى قومى ليس بيننا وبينهم من الفوارق غير نأى الدار وشط المزار، توثق بيننا أمتن الروابط الثقافية والروحية، ويهدينا الى المستقبل قبس تلك الحضارة العتيدة التى انتظمتنا جميعا فى الماضى فجعلت منا أمة موحدة فى عقيدتها وأهدافها من المثل العليا.

إن رسالة الطالب العربى هى رسالة الجيل. وهى رسالة المستقبل القريب، فهذه الجماعة التى تألفت من الطلاب العرب فى كلية الآداب لترسم الطريق لتحقيق الرسالة عليها أن تبدأ بتهيئة نفسها لخوض غمارها وتستوفى من ألوان الإعداد ما يكفل لها النجاح فى مهمتها. فأول ما يجب أن يفكر فيه الطالب العربى هو إعداد نفسه وتكوين ذاته. وأرباب الرسالات لا يلون مهمتهم ارتجالا ولا يرقبونها عفوا وإنما يحققون فى أنفسهم قدرة الاضطلاع بالأعباء. ومما لاريب فيه أن الإعداد الصحيح للطالب العربى يجب أن يتناول

الجسم والخلق والثقافة . وهؤلاء فريق من طلاب العرب قدموا مصر ليغترفوا من جامعتها ثقافة وعلما . ومصر حين تقوم نحوهم بواجبها وتفسح لهم صدرها إنما تؤدى اليهم دينا فى عنقها فإن علماءهم وأدباءهم دانوها فى مفتتح نهضتها وفى ماضى حضارتها وقد بايعت الأمم العربية اليوم مصر بالزعامة فى الأدب والثقافة والاجتماع والسياسة فمن واجب مصر الزعيمة أن تعرف لهذه الزعامة حقها وأن تنهض بتكليفها وأن تخص الطلاب العرب برعايتها ورغدها .

ولعل مما يحسن أن يتوجه اليه الطالب العربى فى الأخذ بأسباب رسالته أن تكون ثقافته كاملة فنحن بنو زمان هيمن فيه العلم على الأدب والقانون وعلى الطب والهندسة ومرافق الحياة كلها فى السلم والحرب . فالإعداد العلمى ضرورى لمغالبة هذه الحياة. ولن يصلح الآن أن يستقبل المرء حياته معتمدا على التجربة أو متكلا على الحفظ. فذلك إن أجدى عرضا على فرد فلا يجدى على أمة، وإن صلح فى عصر فلا يصلح لهذا العصر الذى يهيمن العلم على كل مرافقه وأوضاعه .

وعلى الطالب العربى وهو يستكمل ثقافته أن يضع ماضى العروبة نصب عينيه . فان كان خيرا ترسمه أجمع، وإن كان الخير فيه مخلوطا بالشر نفى عنه شره واستبق الخير، وإن كان قد غلب الشر فى حقبة من الزمن وجب اختطاط خطة تقوم على الخير الغالب، وإن وراء العرب لماضيا حافلا بالمفاخر وحضارة امتدت الى ما وراء العمران، وكان سبيل الأولين من أسلافنا أن ينتفعوا بما يستطيعون الانتفاع به من علوم الأمم وفلسفاتها ونظم الحياة فيها فاتخذوا من مختلف الأخلاط مزاجا جديدا له روعته وبقى هذا المزاج حتى صار أساسا لحضارة الغرب الحديثة فردّه الغرب الينا غريبا علينا . فمن واجب الطالب العربى ألا ينسى ماضيه لأنه حلقة الاتصال بالحاضر والامتداد الى المستقبل، واذا أهملنا هذا الماضى فقد أهملنا مجدا عظيما تتقطع بنا الأسباب دونه ، ونفقد مالنا من طابع وروح . كيف نزهد فى ماض ينطوى على المثل العالية فى التفدية والجهاد ويصور لنا عظمة فى الخلق وقوة فى العقيدة دانت بها ممالك الدنيا جمعاء ؟ فلنتبين سر هذا الماضى ، ولنتعرف كنه هذه الحضارة ولنتدبر الأسباب التى نقضت هذا الحكم وهدّمت ذلك البناء، وليكن ذلك التدبر وسيلة الى العظة والاعتبار ، فنأخذ من الذرائع ما يكفل النهوض ونتجنب من العلل ما طوى للعظمة العربية علمها الخفاق .

فإذا عرف الطالب العربى ماضى الأمة العربية بأمجادها ومفاخرها ووضحت له أسباب تدهورها وخمود جذوتها وكان قبل ذلك آخذا من المعرفة بالقسط الأوفى بدأ يدرس الحاضر وأدواءه، فالطبيب لا يجدى علاجه إذا لم يكن تشخيصه للمرض صحيحا وان تفيد العقاقير مهما تكن قيمتها شيئا ، وإن كثيرا من المصلحين لتذهب جهودهم هباء على الرغم من قوة

عزيمتهم وحسن بلائهم لأنهم لم يفقهوا البيئة التى حاولوا إصلاحها ولم يتلمسوا العوامل المؤثرة فيها ولم يتعلموا كيف توجه الشعوب وكيف تواجه العلل .

فليكن هم الطالب العربى أن يدرس العلل الخلقية والاقتصادية التى أثرت فى البلاد العربية فردتها عن الصدر ، وقد تكون هذه العلل واحدة تشترك فى معاناتها سائر أقطار العرب وقد تكون لكل قطر علته الخاصة به . فعلى كل طالب أن يتفهم العلل التى ينفرد بها وطنه الأصغر ، ثم يتفهم العلل المشتركة التى تصيب وطنه الأكبر . وإن كانت هناك فرقة استجلى أسبابها ودواعيها ، وإن كان هناك جهل أو ضعف خلق تفحص مصادره وبواعثه ، وإن وجد تخلف فى ميدان الصناعة أو التجارة استهدى إلى بواطن هذا التخلف ومتى فرغ من هذا الدرس والفحص أمكن له أن يرسم منهاج سيما لنهضة علمية خلقية عملية على أساس قويم .

وجدير بكل طالب عربى أن يتمثل له الوطن الأصغر والوطن الأكبر ، فوطنه الأصغر شبيه بالأسرة تضم ماهلها من أبناء ، ووطنه الأكبر شبيه بالأمة تحتوى سائر الأسر . وإنى لأتصور الأمم العربية كلها أسرة كبيرة واحدة ، فيها أب واحد وأم واحدة ، فشاء ذلك الأب أن يوفر لبنيه الكثيرين أسباب الاستقلال والنماء ففرقهم فى منازل شتى يعنى كل منهم بشأنه ولكن تبقى بينهم أواصر القربى تجمعهم تحت لواء واحد وتؤلف بينهم عند الأحداث فإذاهم صف كأنه البنيان المرصوص . والحق أن من يزور الأقطار الشقيقة يحس هذا الشعور وهو يجتاز بلدا إلى بلد ويتنقل بين أهل وأهل فلا حدود ولا فوارق وإنما هو وطن بعيد الأطراف وحدت بين أجزائه المترامية روابط الدين واللغة والثقافة ، وألفت بين قلوب أبنائه آمال متشابهة وأهداف مشتركة .

ولا أظن أن ثمة رابطة أقوى من الرابطة الثقافية فى وصل الشعوب بعضها ببعض . فالأمم العربية بخير ما توثقت روابط الثقافة بين شباب العرب ، لأنها توحد بين الأفكار وتجمع بين القلوب وينسى بها لكل رابطة سياسية أو اقتصادية أن تجد طريقها إلى القبول . ولا يستطيع أحد أن يتصور أمما تتفرق بعد أن يتم التوحد بين قلوبها وأفكارها وأمانيها جميعا

ومما نوصى به الطالب العربى أن يؤمن إيمانا عميقا بأن اللغة الفصحى هى أس الاتصال بين الأمم العربية ، وأنه يجب أن يقوم على دعائمها صرح الثقافة العامة ، فلقد طوفت فى الشام والعراق وغيرهما مما كان يتيسر لى تقارب الفهم والإفصاح عن مكنونات النفس إلا حين اخترت الفصحى أسلوبا لحديثى . فإذا تدسست اللهجات أفسدت ما بينى وبين محدثى من تعارف وأسلمتنا إلى التناكر البغيض . فالفصحى هى التى تجمع شملنا ، وهى التى تقارب تفكيرنا

فليكن من مهمتنا نحن الدعاة الى الوحدة العربية أن نحرص على الفصحى وأن ندانى بين الأساليب فى شتى الأقطار، وأن نعمل على تيسير هذه اللغة لكى يسهل لنا استخدامها فى الثقافة المشتركة بين الناطقين بالضاد .

ولقد أشرت فى مطلع حديثى الى ضرورة إحيائنا لماضينا ، وقد يقال إن لكل أمة من الأمم العربية ماضيا خاصا . والواقع أن هذا الماضى مشترك بين أمم العرب لأنها كانت تخضع فى حقيقة الأمر لنظام واحد وتستمد حضارتها وأنماط حياتها وتفكيرها من منبع واحد فى الأكثر الغالب ، فمن أركان رسالة الطالب العربى إحياء ماضى العروبة فى التفكير وعرض هذا التراث الفكرى العظيم فى إطار جديد . فذلك الماضى يستند إلى دين محكم وضع نظامه ليواجه مشكلات الحياة فى كل عصر وكل بيئة، ولكن لابد لنا من أن نتفهم روح الدين السامية على وجهها الصحيح خالصة من البدع محررة من الجمود . فلو استمسكنا بذلك النظام الذى وضع أساسه ديننا القويم لاستطعنا الخروج سالمين من نوائب الزمن التى يرجع مصابنا بها الى تنكبنا ذلك الطريق المستقيم . على أن لنا مع ذلك ماضيا تاريخيا يجمل بنا أن نحييه فى أنفسنا معتزين به ليكون حافزا لنا على التوثب والرقى. ولنا كذلك تراث أدبى وعلمى عنى به علماء الغرب قبلنا وكان له أثره فى اتساع آفاق تفكيرهم الفلسفى والاجتماعى . فيجب أن يكون لنا فى هذا التراث مأرب عظيم، وأن نعمل على تجديده وتنظيمه بما يلائم تطور الفكر الإنسانى وأن تقرب موارده للدارسين والباحثين وطالبى المعرفة . فقد طالما طالعتنا الحقائق بأن كثيرا من نظريات آبائنا السالفين فى نواحى العلم يؤيدها الفكر الحديث ويحتفل بها العلماء المعاصرون .

غير أننا مع احتفائنا بذلك التراث العظيم ودعوتنا إلى إحيائه والانتفاع به لا يجوز أن نتعصب له ونطرح ماعداه فنقول إن ثقافتنا كل شىء فى الحياة وأننا نستغنى بها عما سواها بل نعمل كما عمل أجدادنا العرب ونستنهج طريقهم فى اكتساب المعرفة، فلقد نشدوا العلم من شتى مصادره وفرضوه على كل مسلم ومسلمة وقربوا اليهم العلماء دون تفرقة بين أصيل ودخيل، فانعقد لهم لواء الحضارة فى بخر نهضتهم وسخروه لدولتهم وصولتهم فانتزود من العلم الصحيح حيث يكون ، فالعلم لاحكرة فيه لأحد ولا وطن له ولا دين .

وانه لمن تباشير الخير فى الشرق أن يفد أبناءه ليتلقوا العلم من جامعة مصر ، ومن تباشير الخير فى مصر أن تفتح جامعتها الأبواب لكل وافد عربى . ولقد كنت أتحدث إلى بعض أولى الأمر فى البلاد الشرقية أثناء جولاتى فقلت له فى سياق الحديث : لم تنشئ كل من سورية والعراق وفلسطين جامعة ؟ وليس انشاء الجامعات بالأمر الهين ولا يقصد به مجرد المظهر ، فقليلا ما يتوافر العلماء . وقليلا ما يتيسر المال اللازم للإنشاء . ولم لا تكون الثقافة الجامعية

فى الشرق موحدة ، فتكون جامعة فؤاد الأول فى مصر جامعة الشرق كله يفد اليها الطلاب العرب فيتزودون زاد إخوانهم طلاب مصر العرب ؟

* * *

إنى كلما أفضت فى حديث مشكلة اجتماعية يتملكنى عاملان : عامل يأس وعامل رجاء ، وهذا هو شعورى بعد أن ألمت برسالة الطالب العربى فيحضرنى عامل الرجاء حين أرى طائفة من شباب العرب فيها مخايل الرجولة الكاملة تفكر فى العرب وثقافة العرب ومستقبل العرب ، وتكون من أنفسها جماعة تدعو الى رسالتها وتنظم المحاضرات فى موضوعاتها فهنا يقوى الرجاء ويبتسم المستقبل . ويحضرنى عامل اليأس حين أتفرس فى الحياة الاجتماعية التى يحيا العرب فى أكنافها ، فأرى فى بعض ما أرى نوعا من الانقسام ، وألاحظ بلبلة فى الرأى ، وتباعدا عن فكرة الوطن الأكبر واشتغالا بتوافه الأمور عن جلائلها ، وهنا يلاحقنى التردد فى الاطمئنان إلى الأمل والرجاء . ولكن إذا كانت عوامل اليأس مما تجوز لمن هم على عتبة الشيخوخة أمثالى ، فإن الشباب يجب أن يمتلئوا أملا وطموحا واثقة بالغد المنتظر ، وأن يكونوا رسل إيمان ويقين فى المستقبل المنشود فانهم بهذا الروح تلين لهم الصعاب وتتفتح لهم أبواب الجهاد لتأدية رسالتهم العظمى ، رسالة الانهاض للشعب العربى وردّه إلى مكانه فى الصدر الأول وإسلامه إلى مستقبل ميمون الطلعة مبارك النفع إن شاء الله .

محمد العشماوى

المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا .

"حديث شريف"

الضرائب الجديدة

وروح العمل بها

لحضرة صاحب السعادة حبيب المصرى باشا

المستشار الملكى

إلى كل الذين يعنيهم تفهم نظام الضرائب الجديدة، إلى أولئك الذين يريدون أن يتابعوا التطور الاقتصادى والاجتماعى فى البلاد المصرية عالمين أن الحياة تتطلب من كل فرد من الأفراد واجبات ومسئوليات متعددة مقابل حقوقه ، وأن هذه الواجبات والمسئوليات تزداد تعقدا ونموّ يوما بعد يوم ، إلى أولئك الذين يدركون أن التضامن الاجتماعى بين جميع أفراد الأمة وجماعاتها أخذ ينمو ويشتد ، وأنه سيكون حتما القاعدة الأساسية للحياة الاجتماعية فى المستقبل ، أعود اليوم إلى الحديث فى أمر الضرائب بعد أن حدثتهم عنها فى ثلاثة أبحاث سابقة ثم انقطعت سلسلة الحديث وبعد العهد ما بينى وبينهم ، أعود إلى هذا الحديث لا لمحض الرغبة فى شرح أحكام النظام الجديد، ولكن لأنى أعتقد أن من مصلحة كل إنسان أن يدرك هذا النظام فى جملته وتفصيله ، إذ أن تأدية الضرائب هى الصورة التى يتخذها قيام الفرد بواجباته نحو الدولة ، ومن طريقها يساهم الأفراد فى الأعباء العامة ، فوجب إذن أن يتعرفوا حكمها ومشروعيتها والأسس التى قامت عليها ومداها وتطوراتها المحتملة .

قلت فى كلماتى السابقة : إن العدالة تقتضى أن يخضع كل إيراد من الإيرادات على تعددها واختلافها لضريبة خاصة به ، إذ ليس من الحق فى شىء أن تؤدى الضريبة عن إيراد معين ويفلت من الخضوع لها إيراد آخر ، مع مراعاة ما تقتضيه طبيعة كل إيراد من التفرقة بين مختلف الإيرادات فى سعر الضريبة أو فى أسباب الإعفاء منها، وليس فى فرض الضريبة على كل إيراد على حدته تعدد للضرائب إنما يحدث التعدد فعلا إذا فرضت أكثر من ضريبة واحدة على إيراد بعينه ، وسيأتى الكلام على هذا التعدد عما قليل .

وقلت : إن القانون الصادر فى ٢٦ يناير سنة ١٩٣٦ تحت رقم ١٤ فرض الضريبة على إيراد الأسهم والسندات والقراطيس المالية عامة وعلى فوائد تشغيل النقود، وهو ما اصطلح على تسميته بالضريبة على إيرادات القيم المنقولة ، وفرضها على الأرباح التجارية والصناعية كما فرضها على كسب العمل .

وقد ذكرت فى آخر مقال لى وأكرر هنا أن الضريبة على الأرباح التجارية والصناعية ليس المقصود منها ألا يخضع لها إلا التجار ، أى أولئك الذين يشملهم التعريف الوارد

فى قانون التجارة ، بل تخضع لها أرباح كل منشأة مالية أو تجارية أو صناعية من أى نوع كان، وسواء أكان القانون العام يعتبرها منشأة تجارية أم يعدها منشأة مدنية، فكل شخص يستغل منشأة من هذا النوع كمهنة عادية له ينبغى أن يؤدى إلى الدولة الضريبة عن صافى أرباحها السنوية .

وتحدثت حينئذ عن بعض الفروق بين الضرائب الثلاث، وعلى الأخص الفارق الذى يجب أن يكون بين أسعارها ثم الفارق بين طبيعة كل منها من جهة أن الضريبة على إيرادات القيم المنقولة ضريبة عينية مستحقة الأداء للحكومة دائما من غير اتصال بفكرة الربح أو الخسارة أو الأعباء العائلية حتى ولو كان صاحب السهم أو السند قد اشترى سهمه أو سنده بالدين .

وأريد الآن أن أتحدث قليلا عما اتخذه المشرع المصرى من التدابير لمنع ازدواج الضرائب ، على أنه لابد لى أولا ولكى يصبح هذا الكلام قريبا إلى الأذهان أن أذكر فارقين أساسيين بين الضريبة على الأرباح التجارية والصناعية من جهة ، والضريبة على إيراد القيم المنقولة من جهة أخرى .

وأول هذين الفارقين أن الضريبة على الأرباح التجارية والصناعية ضريبة مكانية أى أنها مفروضة على أرباح المنشآت التى تعمل فى البلاد المصرية، وفى البلاد المصرية وحدها فمن حق الخزانة المصرية أن تتقاضى الضريبة على أرباح كل منشأة من تلك المنشآت مهما يكن نوع الربح ومصدره، وسواء أكان صاحب المنشأة مصريا أم كان أجنبيا، وسواء أكان مقيما فى مصر أو مقيما فى الخارج، إذ لا يمكن التسليم بأن منشأة تعمل فى بلادنا وتجنى الربح من العمل بها من غير أن تخضع للضريبة بحجة أن صاحبها أجنبى أو بحجة أنه يقيم خارج مصر ، ولكن المنشآت التى تعمل فى بلاد أجنبية لاتخضع أرباحها للضريبة للخزانة المصرية ولو كان صاحبها مصريا أو كان أجنبيا مستوطنا فى مصر ، فأساس الالتزام بالضريبة هنا قائم على مبدإ المكانية كما قدمنا .

أما الضريبة على إيراد القيم المنقولة فهى قائمة على أساس المكانية والشخصية على السواء . فكل الأوراق المالية المصرية سواء أكانت حكومية أم غير حكومية كأسهم وسندات الشركات المصرية تخضع توزيعاتها المختلفة للضريبة بقطع النظر عن جنسية صاحبها وعن محل إقامته ، فلا بد إذن للشركات المذكورة من أن تخصم الضريبة لحساب الخزانة المصرية من كل ربح توزعه على مساهميها أو حاملى سنداتها من غير التفات إلى جنسية أولئك المساهمين وحاملى السندات ، أما فيما يتعلق بالقراطيس المالية الأجنبية فإن كل ما يملكه منها المصريون أو الأجانب المستوطنون فى مصر خاضع للضريبة كذلك، فالكو

تلك الأوراق ملزمون إذن بأن يؤدوا إلى الخزانة المصرية الضريبة على ما يجنيهم من ربح من أوراقهم المالية الأجنبية إلى جانب ما يؤدونه عنها من الضريبة إلى الدول الأجنبية لأن رءوس الأموال التي يوظفونها فى تلك الأوراق هى رءوس أموال مصرية وليس من الحق أن تحرم الخزانة المصرية من نصيبها فى إيرادها ، ومن ذلك يرى أن التزام صاحب تلك القراطيس بتأدية الضريبة فى مصر لا يقوم على مبدإ المكانية ولكنه يقوم على مبدإ الشخصية وأخذا بمبدإ ولاء المصرى ، ومثله الأجنبي المستوطن فى مصر ، نحو هذه الدولة التي يعيش فى ظلها وينعم بخيرها ، ويجب تبعا لذلك أن يساهم تبعا لمقدوره بنصيبه فى أعبائها .

وثانى الفارقين أن الضريبة على الأرباح التجارية والصناعية لاتؤدى إلا عن صافى ربح السنة التي تتناولها الضريبة . ولا شأن لنا بالأرباح الناتجة أو المرحلة من حسابات السنوات الماضية بالغة ما بلغت . وكل سنة تعد أمام الضريبة وحدة قائمة بذاتها ، فيما عدا الحكم الاستثنائى الذى قرره القانون وأجاز به تغطية خسارة السنوات الماضية بأرباح السنوات التي تليها فى حدود ضيقة ليس هنا محل الإفاضة فيها . أما الضريبة على إيراد القيم المنقولة فإنه مستحق للدولة عند توزيعه فعلا أو حكما بقطع النظر عن المصدر الذى يؤخذ منه التوزيع . فإذا ربحت إحدى الشركات فى سنة من السنين عشرة آلاف جنيه مثلا ثم وزعت على مساهميها عشرين ألفا أو ثلاثين ألفا من الجنيهات أخذت بعضه من أرباح السنة وباقيه من الاحتياطى المتجمع من سنوات سابقة فإن الضريبة تؤدى عن كامل المبلغ الموزع مع أن بعضه آت من أرباح سنوات سابقة أدت الشركة عنها الضريبة على الأرباح التجارية والصناعية أو كانت معفاة من تأديتها عنها لحصولها عليها فى تاريخ سابق على العمل بقوانين الضرائب الجديدة . وأساس هذا الالتزام أن الضريبة على إيراد القيم المنقولة ضريبة مستقلة عن ضريبة الأرباح التجارية . فالشركة المساهمة بوصف كونها شخصا معنويا مستقلا فى كيانه ووجوده الفعلى والقانونى عن شخصية مساهميه ينبغى أن تؤدى فى آخر كل سنة الضريبة على الأرباح التي جنتها فى بحر السنة . أما المساهمون ، ولهم كما قلت شخصيات مستقلة عن شخصية الشركة ، فإنهم متى قبضوا إيرادا آتيا لهم من أسهمهم وجب عليهم أن يؤدوا الضريبة على هذا الإيراد . والإيراد لا يتولد ولا يعد مستحقا بالنسبة لهم إلا من تاريخ صدور قرار الجمعية العمومية للشركة بتوزيعه عليهم . وسواء أكان هذا الإيراد آتيا من ربح السنة أو من مصادر أخرى فإنه إيراد لم يكن له وجود قبل هذا التاريخ .

ويجب أن أذكر هنا أن الضريبة لايقتصر فرضها على ما يصيبه صاحب السهم من ربح عادى ، بل هى تتناول كل إيراد يصيبه صاحب السهم فى أى وقت من الأوقات وبأية صورة من الصور بعد العمل بالقانون . فلو أن شركة مساهمة رأس مالها الاسمى المدفوع يبلغ مليون جنيه مثلا صفيت لانتهاء مدتها أو لأى سبب آخر ، وكانت نتيجة التصفية أن

بلغت أثمان موجوداتها بعد أداء ديونها وتكاليفها مليونين من الجنيهات أى بزيادة مليون جنيه على رأس المال الاسمى المدفوع فإن هذا المليون الذى قبضه المساهمون فوق القيمة الأصلية لأسهمهم يعد ربحا يخضع للضريبة مادام دفعه للساهم قد حصل بعد العمل بالقانون ، ولو كان هذا المبلغ متجمعا من أرباح عشرات السنوات السابقة أو من ارتفاع قيمة موجودات الشركة ، ويلاحظ أن العبرة هنا بالقيمة الاسمية المدفوعة للسهم . أى أنه إذا كان الثمن الاسمى للسهم أربعة جنيهات — وبشرط أن يكون مدفوعا بأكمله — وبلغ المدفوع للساهم ستة جنيهات فإن الفرق ومقداره جنيهان يخضع للضريبة ولو كان المساهم الحالى قد اشترى هذا السهم فى البورصة بثمن يزيد كثيرا عن قيمته الأصلية بل ولو كان الثمن الذى دفعه فيه يزيد على الستة الجنيهات الموزعة. على هذا جرى القضاء وجرت آراء رجال القانون فى كل البلاد.

من البيانات الوجيزة المتقدمة يمكن إدراك بعض الأسباب التى تدعو إلى ازدواج الضرائب أى خضوع الإيراد الواحد إلى أكثر من ضريبة واحدة .

فهذا الازدواج قد يأتى من خضوع الإيراد للضريبة فى أكثر من بلد واحد ، فإن ما يملكه المصرى والأجنبى المستوطن فى مصر من القيم المالية الأجنبية يؤدى عنه الضريبة للخزانة المصرية ويؤدى عنه الضريبة للبلاد الأجنبية ، والقيم المالية المصرية التى يملكها الانجليزى مثلا لا يقبضها إلا بعد أن تكون قد خصمت عنها الضريبة المستحقة للحكومة المصرية ولكنه ملزم بحكم التشريع الانجليزى أن يؤدى عنها ضريبة الدخل فى بلده ، وهذان المثلان هما من أبسط الأمثلة ولكن هناك من الأمثلة المعقدة ما يدل على أن بعض أنواع الإيراد يخضع للضريبة فى أكثر من بلدين .

بيد أن هذا الازدواج الناشئ من تطبيق القوانين المالية فى بلاد مختلفة لا سبيل إلى ملافاته بتشريع محلى ، إذ لا تقبل دولة من الدول أن تتنازل عن الضريبة التى تعتقد أن من حقها أن تجبيها عن إيراد معين لمجرد كون دولة أخرى تجبى الضريبة عن هذا الإيراد بعينه . ولكن علاج هذا الحال يجىء من طريق عقد اتفاقات دولية بين الدول ذات الشأن فى حدود ما تقتضيه مصلحة كل منها ، وقد عملت اللجنة الاقتصادية فى جامعة الأمم فى الماضى على إعداد نماذج وافية مختلفة لاتفاقات من هذا القبيل ، ولكن شبوب نار الحرب قضى على الكثير من جهودها . على أن الحرب ستنتهى يوما . وستنظر مصر حينئذ فيما إذا كانت مصلحتها الاقتصادية تقتضى إبرام اتفاقات من هذا النوع .

أما الازدواج الذى ينبغى أن يكون محل عناية المشرع المصرى فهو ذلك الازدواج الذى يجىء نتيجة لتطبيق القوانين المصرية وحدها ، وها أنذا أذكر لكم بعض الأمثلة منه :

منشأة بلغ ربحها فى سنة من السنين عشرة آلاف جنيه ، من ذلك خمسة أو ستة آلاف جنيه جاءت من مزاولة أعمالها العادية وباقيه من إيراد ما تملكه من عقارات وقراطيس

مالية . فإذا التزمت بدفع الضريبة عن كامل الربح كانت قد دفعت بذلك الضريبة مرتين عن عقاراتها وعن إيراد أوراقها المالية .

ويزداد الأمر تعرجا بالنسبة للمنشآت التى تعمل فى شكل شركات مساهمة فإنها بعد أن تؤدى الضريبة على أرباحها توزع صافى الأرباح عادة على مساهميها وهذه التوزيعات تخضع بدورها للضريبة على إيراد القيم المنقولة والقانون يوجب على الشركة أن تخصم هذه الضريبة من الكوبون الذى تدفعه للمساهم لكى تؤديها للحكومة ، وبذلك يكون الربح الذى جنته الشركة المساهمة قد أديت عنه أولا الضريبة على الأرباح التجارية والصناعية ، وقد يكون ضمن هذا الربح كما قدمنا عناصر آتية من ممتلكات أديت عنها الضريبة من قبل . ثم تؤدى على هذا الربح ذاته عند توزيعه الضريبة على إيراد القيم المنقولة ، ومع أنه من الناحيتين القانونية والفنية لا يعد فرض الضريبتين حقا ازدواجا للضرائب على اعتبار أن الضريبة الأولى تؤدى على أرباح الشركة وأن الضريبة الثانية تؤدى على إيراد المساهم ، فلا مشاحة فى أنه يوجد إزدواج فعلى لأن الربح الذى يستولى عليه المساهمون لا يجىء إلا من الربح الذى جنته الشركة .

فكيف عالج المشرع هذه المواقف المختلفة ؟

عالجها بغاية الحكمة ، وعلى وجه يحقق جميع المصالح المشروعة ، فقرر فى إحدى المواد أن جميع الإيرادات التى تجنيها المنشأة مما تملكه من عقارات وأوراق مالية تخصم من مجموع الربح الصافى الذى تسرى عليه ضريبة الأرباح وذلك بعد تنزيل نصيبها فى مصاريف وتكاليف الاستثمار على أساس ١٠٪ من قيمة تلك الإيرادات ، وعلى ذلك فإنه إذا كانت الإيرادات المذكورة تبلغ ٤٠٠٠ جنيه مثلا خصم للمنشأة ٣٦٠٠ جنيه لا تؤخذ عنها الضريبة ولكن شرط هذ الإعفاء بالنسبة للقيم المالية التى تملكها المنشأة أن تكون من القيم التى تؤدى عنها الضريبة فى مصر . وبذلك زال الازدواج عن الإيرادات المشار إليها .

وقرر القانون فى مادة أخرى أن يخصم للشركات المساهمة من الأرباح التى تجبى عنها الضريبة مبلغ معادل لمجموع المبالغ التى وزعت من الأرباح المذكورة وأديت عنها الضريبة بالفعل . فإذا كانت الشركة قد ربحت فى إحدى السنين مائة ألف جنيه ووزعت منها ثمانين ألف جنيه للمساهمين وأدت عن هذا المبلغ الأخير الضريبة المقررة قانونا فإنها لا تؤدى الضريبة على الأرباح إلا عن عشرين ألف جنيه ، أى عن الفرق بين مجموع ربح الشركة وبين توزيعاتها الفعلية منه . وهذا الحكم تستفيد منه شركات التوصية بمقدار الأرباح التى يستولى عليها الشركاء الموصون ، وهو أمر طبيعى لأن الشركاء الموصين فى شركات التوصية حكمهم حكم المساهمين فى الشركات المساهمة تماما ، وهم شركاء بمقدار أموالهم ومن غير أى تضامن أو مسئولية عن تعهدات الشركة ومختلف التزاماتها .

و بهذه الوسيلة التى لجأ اليها المشرع امتنع الازدواج حتى بين ضريبتين تختلف طبيعتهما وتختلف الشخصية القانونية للمسئول عن كل منهما مع أن الكثير من البلاد تحصل الضريبتين على السواء .

بيد أن النصوص المتقدمة لا تقضى قضاء تاما على ازدواج الضرائب حتى فى الأحوال التى عالجها القانون على الأخص بالنسبة للشركات العقارية . وواضح أن الشركات العقارية لا تدفع شيئا من ضريبة الأرباح إذا كانت كل إيراداتها تأتى من أملاكها الزراعية أو من مبانيها، ولكنها متى وزعت هذه الأرباح على مساهميها فإنها ينبغى أن تؤدى عنهم الضريبة على تلك التوزيعات . وقد اعترض على ذلك بأن فيه تفرقة فى المعاملة بين الشركات المساهمة متى كانت تملك أطيانا مثلا و بين المالكين الآخرين للأطيان فإنها تؤدى مثلهم الضريبة على أطيانها كما يؤدونها على أطيانهم ، ثم تلتزم إلى جانب ذلك بتأدية ضريبة أخرى على الإيرادات الناتجة عن أطيانها عند توزيعها على المساهمين ولكن المشرع بعد بحث الموضوع وتقليبه على جميع وجوهه لم يقم وزنا لهذا الاعتراض، لأن الرجل الذى يستثمر أمواله فى شراء أسهم شركة زراعيـة لا يمكن بحال من الأحوال أن يعد زارعا وحكمه حكم كل من يستثمر أمواله فى شراء أسهم الشركات الصناعية أو التجارية .

وسأعالج فى مقال آت ما قرره المشرع من الأحكام لصيانة النظام المصرفى فى مصر، كما أشرح كيف عالج المشرع كذلك مسألة الشركات الأجنبية التى تعمل فى مصر وفى غيرها من البلاد . وهو بحث طريف جدير بأن يقرأه كل مصرى .

حبيب المصرى

السكنى فى الريف وعلاقتها بالإنتاج الزراعى

الكلمة التى ألقاها حضرة صاحب السعادة فؤاد أباظه باشا

مدير عام الجمعية الزراعية الملكية فى الاجتماع الزراعى العام لسنة ١٩٤٢

اختارت لى وزارة الزراعة أن أتحدث عن السكنى بالريف وعلاقتها بالإنتاج الزراعى. واخترت أنا بدورى أن أتحدث اليكم عما أعمله فعلا إزاء ذلك فى مزارعى الخاصة، بدلا من أن أتحدث عما ينبغى أن يعمل ومالا يعمل ، أو عما تعمله الجمعية الزراعية الملكية التى أتشرف بإدارتها .

والموضوع فى حد ذاته محبب لنفسى . أتكلم فيه عن خبرة واعتداد كما أعتقد . فقد ولدت فى الريف ونشأت بين الفلاحين و " الغيط " ، وكنت دائم التردد عليهم جميعا طوال مدة حياتى المدرسية ، وشاءت الأقدار أن تكون صناعتى الزراعة ، فنية وعملية ، وبذا قد اتصلت الحلقات طوال السنين حتى يومنا هذا .

و إنى لا أدعى أنى من ساكنى الريف بالمعنى المفهوم من دوام البقاء فيه. ولكنى أقرر أن ترادى عليه واتصالى الدائم به وسكناى به أحيانا فى فترات قد تقصر أو قد تطول كل هذا يمكننى من إبداء رأى عملى فى علاقة سكنى الريف بالانتاج الزراعى .

وفى اعتقادى أن ما أعمله أو ما يشابهه يحل مشكلة ريفية كبيرة لم تحل للآن، وتسبب عنها تأخر الريف وقذارته وسوء حالة الفلاح على نحو ما نعلمه جميعا . وأعنى بالمشكلة الكبرى مشكلة ملاك الأطيان الزراعية الذين تضطرهم ظروف أعمالهم للسكنى فى العاصمة أو المدن بعيدا عن مقر أطيانهم فيتركونها للمؤاجرين أو النظار أو من يستغلها لحسابهم .

و بالطبيعة فإن المالك الزراعى الساكن بين مزارعه أقدر على استغلال أرضه وتحسين إنتاجها من الذى يقيم بعيدا عنها . ولكن مالا يدرك كله لا يترك جله .

ففى معظم أيام آخر الأسبوع أتردد على مزرعتين لى بالتناوب. الأولى بمركز منيا القمح ومساحتها نحو المائة والخمسين فدانا ، والأخرى أرض إصلاح فى مركز شربين مساحتها مائتان وأربعون فدانا. وعدا ذلك فإنى دائم الاتصال بهما بالتليفون فى صباح كل يوم تقريبا بين الساعة السابعة والساعة الثامنة للوقوف على الأعمال الزراعية الجارية فيهما . وليس هذا

إسراف فى المكالمات التليفونية كما يبدو ، إذ أنى أضع برنامج العمل لكل جهة عند زيارتى لها بعد مناقشتى للفلاحين والناظر والخولى . كما أتعهد تتبع العمليات الزراعية الجارية بالتليفون والمكاتبات التى تصلنى من الجهتين يوميا . وقد تفاهمنا على تقسيم الأرض إلى أحواض منمرة وحوشات منمرة وشرخ منمرة على خرط وضعت لذلك . فأعرف ما هو جار فى كل منها من سقى وصرف وزرع وحرث وتخطيط وعزيق وتقصيب وجمع وحصاد ودراس وغير ذلك من باقى العمليات الزراعية ، وعدد الأنفار وأجورهم إذا كانوا يشتغلون لحساب الزراعة ، أو ما يتم إنجازه من العمليات بواسطة المرابعين أو الزراع بالمحمول .

ومنذ سنة ١٩١٤ حتى الآن لا أعطى أرضا بالإيجار الا القليل جدا . أما طريقتى فى الزراعة فبطريق المحمول أو المجعول ، وهى التى أفضلها عن جميع أنواع الفلاحة بين المالك والمزارع ولا أتردد فى الدعوة اليها . ففى أرض منيا القمح اتفقنا على أن تكون حصتى فى الفدان ثلاثة قناطير من القطن ، ويتراوح المحصول بين أربعة قناطير وستة ، وثلاثة أرادب من الذرة ويتراوح المحصول بين ستة وثمانية أرادب ، وثلاثة أرادب من القمح لكل فدان يزرع شتوى سواء كان قمحا أم برسيما والمحصول حوالى ستة أرادب . وأنا الذى أنتخب التقاوى البقية والأسمدة على حساب المزارع . وفى المدة الأخيرة زادت عنايتى بمباشرة الأرض بنفسى وبالإصلاح الزراعى والاجتماعى والاقتصادى ، على أساس الرأسمالية المشبعة بالإصلاح الاشتراكى ، محاولا أن أوفق بينهما ، مستلهما فى ذلك أحكام القرآن الكريم وأصول الديمقراطية الحقة ، الديموقراطية القائمة على المحبة والتعاون من جهة والإجلال والطاعة من جهة أخرى ، تمشيا مع قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم " وقوله تعالى " والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء " .

ففى أنواع الزكاة مثلا أخرجها فى كل عيد مكونة من أنصبة من اللحم لكل بيت من بيوت الفلاحين بنسبة ما فيه من رجال وحريم وعيال ، ومبالغ نقدا تختلف باختلاف سكان كل بيت عدا هدايا صغيرة فى مناسبات مختلفة .

ثم إلى بنيت حتى الآن ثلاث عزب على مثال العزبة النموذجية الخضراء بتفتيش بهتيم التابع للجمعية الزراعية الملكية ، وقد تكلفت دار الفلاح فيها من عشرين إلى خمسة وعشرين جنيها قبل الحرب الحالية وأثناءها ، وهى من الطوب الأخضر سواء فى مركز منيا القمح أو فى مركز شربين نفسه الواقع فى منطقة المطر ، ولا تحتاج فى صيانتها إلا للدهاكة كل عام بعد الشتاء ، وهى لا تتكلف إلا القليل من القروش ، إذ يقوم سكان كل دار بدهاكة حيطان دارهم .

ثم إنى أبيع المحاصيل لى ولهم وأحاسبهم على أساس ما اجتهدت فى الحصول عليه من الثمن ففى محصول القطن الماضى جاءوا بالتاجر فعرض عليهم ٣٥٥ قرشا للقنطار الأشمونى . ولما حلجت عينات منه وجدت أن ما يساويه من الثمن هو ٣٨٥ قرشا ، واشتراه التاجر بهذا السعر وحاسبتهم عليه . وكذلك الحال فى القمح والذرة . وأؤكد لكم أنى بعت نصيبى من الذرة لكل فلاح أنتجه بسعر مائة وأربعين قرشا حسب التعريفة ؛ وما زاد عن حاجتى من القمح فى شهر مارس بسعر ثلثمائة قرش للأردب الذى يزن مائة وخمسين كيلو، فلم أغبنهم ولم أقبل أن أكسب منهم قرشا أكثر مما اتفقنا عليه .

ومن فوائد السكنى بالريف والتردد عليه أن يتاح للمالك عند مبيته أو عند زيارته تبادل الأحاديث مع الفلاحين فيقف منهم على حاجتهم . وكان من نتيجة تبادل الأفكار إنى قررت غمر دور الفلاحين بالجاموس والأبقار والحمير شركة بينهم وبينى بالنصف فيها وفى نتاجها ، ومعاونة من لم تتوافر لديه حصته نقدا بأن أدفعها عنه . ولقد وجدت تحسنا ملموسا لم أتعرف مداه إلا لما وجدت أن خدمة الأرض من حرث وزرع أصبحت أحسن بكثير . ووجدت أن حاجتهم لمشترى الأسمدة الكيماوية أخذت تقل تدريجيا حتى إنى قررت أن لا يعتمدوا نهائيا إلا على السباخ البلدى الذى يتخلف عن بهائمهم . ثم لاحظت التحسن المحسوس فى حالتهم الصحية بسبب تحسن الغذاء وكميته مما تدره الجواميس والأبقار من اللبن والجبن والسمن على أن أكبر ظاهرة أعجبت بها هى أن نسل المواشى الزائد عن الحاجة يقوم بدور هام فى تسديد ما ربما يكون عليهم من المتأخرات ، إذ للفلاح ثمن النصف ولا يأخذه كله أو بعضه إلا بعد مراجعة ماله وما عليه .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ؛ بل وجدت أنه أصبح لدى المزرعة قطيع من العجول يرعى فى البرسيم ثم يباع بمكسب لا بأس به أو يعاد بيعه لمن يلزمه من الفلاحين .

هذا مثال من الأمور الواقعية أيها السادة ؛ وهناك من المسائل المتفرعة المتشعبة مالا يشمله الحصر أو العد فقد أتجول بين دور الفلاحين فأجد هذه الصبية أو هذا الصبى أو تلك الولية أو هذا الرجل أصفر الوجه خائر القوى ، فأرسل المريض لطبيب المركز أو أستدعيه حسب حالة المريض . وكنت أجد صعوبة فى الأول بسبب عدم الثقة والخوف من نتائج العلاج ؛ ولكن بالاقناع وطول البال وشفاء المرضى وصلت إلى نتائج مرضية إذ تعودوا واقتنعوا بضرورة التداوى بالطبيب .

وقد أمر بين دور الفلاحين وأدخلها وأدخل فى مباحثات ومناقشات حول نظافة الدار ونظافة ساكنيها لدرجة أن يعير الأطفال من قد يوجد بينهم وسخا .

كذلك وجدت من الأصوب تخصيص مساحة بعيدة نوعا عن المساكن لتكون جرنا يوضع به السباخ وحطب القطن والذرة ودراس الحاصلات الشتوية .

ولما رأيت رفع أجور الفلاح فى تفتيش بهتيم ورفعته الى خمسة قروش بسبب مايحيط به من العوامل والمعامل وصادق مجلس ادارة الجمعية الزراعية على ذلك ونفذ فعلا من شهر يونيه سنة ١٩٤١ طبقت ذلك أيضا فى مزارعى الخاصة . ومن ذلك الحين يحصل العامل الزراعى الأجير على أربعة قروش صاغ يوميا . وكان اغتباطى شديدا لما قررت الحكومة الحاضرة أخيرا رفع أجر العامل الزراعى الى خمسة قروش صاغا . وأهمية القرار ليست فى قيمة الأجر ؛ بل فى التوجه لتحسين حال العامل الزراعى . وطبعا يؤثر على ذلك الرقم قانون العرض والطلب .

ويمكننى أن أقرر من غير تردد أنه بمجموعة تلك العوامل التى اتبعتها قد تحسن الإنتاج الزراعى عندى تحسنا ملموسا . وعلى الرغم من التحسن فى جميع مرافق المزرعة فإنى لا أزال أكسب ما قررته لنفسى من المحصول خمسة فى المائة ربحا صافيا على رأس المال .

كما أن الأرض نفسها تحسنت ، فقد اشتريت ما أملكه فى مركز منيا القمح بخمسة وسبعين جنيها للفدان ، فأصبحت لا أرضى ببيعه بثمن مضاعف أى مائة وخمسين جنيها للفدان — أى مائة فى المائة — فإذا خصمنا منه خمسين فى المائة وهو أقصى التحسين بسبب ارتفاع أثمان الأراضى أصبح لا يزال عندى مكسب نسبى قدره خمسون فى المائة .

وكذلك الحال فى أرض الإصلاح بشربين .

كل هذا أيها السادة كان نتيجة طبيعية لاحتكاكى بالريف وسكناى به فى فترات قد تقصر أو تطول مع دوام الاتصال به ، وهو ما أدعو اليه وعلى القواعد التى شرحتها لحضراتكم

وفقنا الله لما فيه صلاح أمرنا .

فؤاد أباظه

وسائلنا فى إنقاذ الطفولة

محاضرة ألقيت فى معهد دراسات الطفولة

لحضرة صاحب العزة الدكتور محمد عبد المنعم رياض بك

إنى أعتقد أن العبرة بالتنفيـــذ لا بالكلام النظرى ، فطالما سمعنا النصائح الجميلة والخطب الرنانة ولكن لم يكن لها من نصيب غير التصفيق يسمعه المحاضر والشكر يقال للناصح . فإذ أخذنا مشكلة اجتماعية كمشكلة الطفولة مثلا ما استطعنا حصر المقالات والأبحاث والمجلدات التى تناولتها . أذكر لرابطة الإصلاح الاجتماعى الجهود المتواصلة التى بذلتها فى سبيل النهوض بالطفولة . فالمؤتمرات التى عقدتها كانت كلها تهتم بالطفولة ، حتى ن منها مؤتمر عقد للطفل . ولكن هل أنتجت هذه الأبحاث شيئا عمليا ؟ لا أنكر أن هناك بعض نتائج عملية كمنشئات أقيمت لإصلاح الطفولة أو إسعادها ، ولعل أهمها ما أنشأته الرابطة كدار كفالة الطفل أو دار كفالة الفتاة ولكن ليس فى هذه النتائج القليلة ما يشفى العلة ، فهى إن أثمرت فإن ثمرتها لا تتعدى بضع عشرات أو مئات ، أما الآلاف بل الملايين فلن تصل اليهم يد الإصلاح الصغيرة . على أن صغر هذه اليد لا يعنى انعدام أثرها بل هى يد كريمة ، نذكر لها أنها البادئة بشق الطريق والبادئة بإنارته . ومهما كان الطريق طويلا ومظلما فإن للعمل الأول فضل الابتداء فى إزالة الصعوبات وللشمعة الأولى فضل الهداية . فكم ساعد نجم ضئيل على ارتياد الفيافى والقفار والوصول إلى شاطئ السلامة . وإنى ليحضرنى فى هذا المقام ما تحتويه أكثر أقاصيص الأطفال من ذكر ضوء بعيد أو نجم لامع ينير الطريق ويبدد غياهب الظلام فيسير الطفل أو بطل القصة على هداه حتى يتجاوز الخطر ويصل سالما إلى الهدف المنشود . وما دام هناك ضوء فالأمل قائم والسائر على هداه واصل لا محالة . فالعمل الجليل الذى تقوم به رابطة الإصلاح الاجتماعى هو هـذا النور الذى نهتدى به وإن بدا صغيرا ، وهو ذلك النجم اللامع الذى يرشد الضال إلى سواء السبيل . لذلك لا أشعر باليأس مادمت أرى هذا القبس ولا يعترينى الملل مادمت أشعر أن فى السويداء رجالا وأن فى النفوس رغبة صادقة للإصلاح . وهنا أختلف مع سعادة العشماوى بك فهو برغم جهوده الجبارة متشائم ، أما أنا فإنى متفائل خيرا ويزيد تفاؤلى كلما رأيت هذه الوجوه الصبوحة الفتية التى تجتمع فى مثل هذه الدار إذ تسترشد من العلم فى شؤون الطفولة وهى من أهم شؤون الإصلاح الاجتماعى فى بلادنا إن لم تكن أهمها جميعا .

أجل لا يوجد فى نظرى من مسائل المجتمع ومشكلاته ما يسبق مسائل الطفولة ومشكلاتها فإذا ذكرت الطفولة ذكر المستقبل والجيل الجديد بل الأجيال المتتابعة و إذا خبثت الطفولة خبث الشباب وخبثت الرجولة فى الأعقاب وأعقاب الأعقاب . لذلك قيل إن الطفل أبو الرجل ، واهتم القوم فى البلاد الغربية قاطبة بشؤون الاطفال حتى فكروا قبل الحرب فى إقامة حزب دولى ينتظم البلاد كلها يسمى حزب الطفل يكون له صوت مدو فى كل بلد ، فى صحفها وكتبها ومنابرها ومجالسها النيابية وحكوماتها ، وقد أتيح لى شرف الاشتراك فى تكوين هذا الحزب وكان معهد نشأته فى هولندا وهى بلد محايد كان أغلب الظن أنه سيبقى بعيدا عن سعير الحروب ولظاها . واحتضنت هذا الحزب ملكة هولندا باعتبارها الملكة التى تجمع الى عظمة الملك عظمة أخرى لا تقل عنها قدرا وهى عظمة الأمومة . ولكن الحرب قد عصفت بهولندا فباعدت بين ممثلى هذا الحزب فى البلاد المختلفة . و يقينى أنه إذا ما وضعت الحرب أوزارها فسيكون للطفولة الشأن الأكبر . فهى أداة تعمير العالم بعد ما جاءت به الحرب من خراب ودمار . فمن الذى سيحل محل الرجال والشباب الذين راحوا ضحية هذه الحرب الضروس غير الأطفال . سيكون صراخ الطفل بعد الحرب هو بشير الإصلاح ودعوة العالم إلى طريق العمل الهادئ المنتج فى ظل الوئام والسلام . وسنرى عندئذ فى كل بلد بل فى كل مجتمع حزبا قويا ينادى بحماية الطفولة ورعايتها حتى تخرج لنا سواعد قوية وعقولا صالحة تقود سفينة العالم بعد هذه العاصفة الهوجاء .

هذا هو الطفل . فكيف نصل إلى الإفادة منه ؟ كيف نخرج من المهد عاملا من عوامل الإنتاج المجدى والإسعاد ؟ :

ربما أخرج مهد فرقدا يخرج الناس من الجهل البهيم

ما الذى يجب أن نقوم به نحو هذا المهد حتى لا نحرم من الفرقد الذى قد يخرج منه أعتقد أن أقوم سبيل لذلك هو إنقاذ الطفل من الويلات التى يتعرض لها فى ذلك الدور الدقيق وهو لا يزال غضا رقيقا يتأثر بأقل مؤثر . فعملية إنقاذ الطفل من الأخطار التى يتعرض لها ، هى أولى الوسائل التى تؤدى إلى بقاء الطفل حيا قابلا للنمو والإصلاح . فعوامل الفناء التى تحيط به وتعمل على هدمه قوية جدا وهو ضعيف لا يستطيع لها دفعا ولا ردا . فإن لم يجد بجانبه من ينقذه من براثن هذه العوامل الفتاكة ذهب ضحيتها وفقدت الأمة عاملا لو حفظ فى فترة الطفولة الخطرة كان عمادا من الأعمدة التى يقام عليها بناء قوى متين .

وما دام إنقاذ الطفل من الأخطار المحيطة به هو الغرض الأسمى الذى يجب أن نضعه نصب أعيننا فلنبحث إذن فى وسائله . ولكن قبل أن نتحدث عن هذه الوسائل يجب أن نشير إلى من يقوم بها . فلا صناعة من غير صانع ولا إنقاذ من غير منقذ . فعلى من يقع عبء

إنقاذ الطفولة ؟ لاشك أن المسئولين عن ذلك أولا هم الآباء والأمهات ثم المعلمون . فاذا قام الآباء والأمهات بواجبهم فى حماية الطفل ووقايته من العاديات عند ما يكون فى كنفهم وقامت المدرسة بواجبها ومعلموها بواجب وقايته أثناء الدراسة انقضت بسلام مرحلة الطفولة والمراهقة والشباب (وهو جزء من الطفولة أيضا) وتدرج الطفل فيها حتى يدرك الرجولة وهو صحيح البنية والعقل والخلق . فالقائمون بالإشراف على الطفل فى أدواره الأولى مطالبون برعايته رعاية تحوطه بسياج منيع يقيه الشرور والويلات وينقذه فى الوقت المناسب من الوهدات المختلفة التى قد تتعثر فيها قدمه الصغيرة . فاذا أدرك هؤلاء خطورة مهمتهم وفهموا دقائقها أمكنهم أن يأخذوا بيد الطفل ويسلموه للمجتمع سليما قويا صالحا للعمل . وإنه ليكفى فى نظرى أن يكون القائمون على شؤون الأطفال من آباء وأمهات ومعلمين على درجة من الثقافة والإدراك تؤهلهم للقيام بهذا الواجب الجليل ليستنبطوا الطرق الناجعة للرعاية والإنقاذ التى تلائم حالة كل طفل وبعبارة أخرى لا يحتاج الأمر إلى بيان وسائل الإنقاذ وتعدادها اذا كانت رعاية الطفل موكولة الى يد خبيرة . فلنعن إذن بإرشاد الآباء والأمهات والمربين والمربيات حتى يتبينوا مسئوليتهم نحو الأطفال ونتركهم وشأنهم بعد ذلك يختارون خير الوسائل التى تؤدى الى الغرض المنشود . أما بيان الوسائل وإيضاحها وشرح تفاصيلها فلا يغنى فتيلا مادام المباشر لهذه الوسائل ليس أهلا لمهمته . فخير الوسائل إذن لإنقاذ الأطفال هو أن نكلهم إلى من يحسن رعايتهم وإنقاذهم . لهذا سأقصر كلامى فى هذا الحديث على المقومات التى تجعل من الأشخاص الذين وضعتهم الطبيعة أو الظروف فى مركز رعاية الأطفال خير حماة لهم . أما شرح وسائل الحماية والإنقاذ فأمر تفصيلى يتناول طبعا أبحاث الإخصائيين فى كل طائفة من هذه الوسائل، وحديثى عن المقومات التى يجب توافرها فى الآباء والمربين ليس موجها لطبقة دون أخرى فالأغنياء أو الفقراء أو متوسطو الحال كلهم فى حاجة لهذه المقومات ليقوموا بتلك المهمة الكبرى، مهمة رعاية الطفولة وإنقاذها على أكمل وجه، وقد يكون الطفل فى بيت شامخ يحيط به الترف والنعيم ولكن لا يجد ما يحميه من أخطار الطفولة .

وأول المقومات التى تساعد على حسن رعاية الأطفال هو الحب، فلا يمكن تولى شؤون الطفولة إلا اذا كان الحب رائد القائمين بهذه الشؤون، فهو أول شرط لقيام أبوة صحيحة وحبذا لو أنشئت معاهد أو دراسات لتعليم الآباء وغيرهم من القائمين بتربية الأطفال المبادئ الصحيحة التى تؤهلهم للإشراف على هذه الأرواح الطاهرة الصغيرة . وكل هذه المبادئ تقوم على الحب . لقد أعجبتنى كلمة ألقاها المستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة بمناسبة عيد رأس السنة، إذ قال "إن كل مايوصى به أهل وطنه هو الحب، ففيه حل أكبر المشاكل وأعقدها . فاذا سادت المحبة العلاقات بين الآباء والأبناء وبين المعلمين وتلاميذهم

فهم الآباء والمعلمون أولادهم وتلاميذهم فهما حقيقيا وساعدوا على توجيههم التوجيه الصحيح . وتتجلى ضرورة توافر الحب فى الأم بصفة خاصة . فالأمومة هى ذلك الينبوع الفياض لأسمى العواطف ،وهى المثل الأعلى للطفل، إذ يجد فيها رمزا لكل مافى الحياة.وقد قرأت فى كتاب فرنسى عنوانه : "الأم والطفل" لشارل لويس فيليب أنه يذكر شعوره نحو أمه وهو طفل فكان يتمثلها قوة من قوى الله جميلة وصافية كصافى النمير وممثلة تمثيلا كاملا لكل مافى الوجود ، فهل يتحقق كل ذلك إذا لم يكن أساسه العطف والمحبة ؟.

وتبدأ آثار المحبة من وقت الحمل . فالأم المحبة العطوف تعنى بجنينها وترعى صحتها حرصا على حياة الجنين . وهذا الحب ينعكس من الأم على المحيطين بها . فالأب بدوره يرعى زوجه الحامل ، وكلما زاد شعوره بالمحبة والعطف زادت عنايته . والمجتمع كذلك كلما قويت فيه الروابط الروحية زادت عنايته بالأم قبل الوضع وبعده . ولهذا نجد الأمم التى تسمو فيها العواطف الروحية أكثر الأمم رعاية للأمومة بعكس المجتمعات الهمجية فإنها كانت لاتعطف على الأمومة حتى إنه قيل إن من مقاييس المدنية فى أية أمة من الأمم معرفة مدى عناية أهلها بالأمومة أثناء الحمل ووقت الوضع . فيقص علينا التاريخ مثلا أن القبائل المتوحشة كانت تنظر للأم الحامل شذرا وبلا عناية ، وإذا لم يتم الوضع بسهولة لجأ القوم نطرق قاسية مؤلمة للتعجيل به . ويعتبر المؤرخون من علامات عظمة بعض الشعوب القديمة كالمصريين والرومانيين واليونانيين القدماء أنهم كانوا يعنون عناية فائقة بالأم الحامل وعندما تدهورت الدولة الرومانية عادت وجهة النظر المتوحشة واستمرت فى أوربا أكثر من ألف سنة إلى أن جاء وقت النهضة ، كذلك كان الإسلام بمبادئه السامية عاملا قويا على تهذيب النفوس والعناية بالأمومة والطفولة وإزالة ما سارت عليه الجاهلية من عادات قاسية كحرم وأد البنات . قال تعالى :

وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۞ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۞ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۞

وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۞ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۞

ووضع نظاما للعناية بالأمهات والأطفال حتى الرضاعة والفطام قال تعالى :

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ۞

وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۞

المحبة إذن هى الصفة الأولى التى يجب أن يتحلى بها كل من يتصدى لأمور الطفولة وهى كفيلة بإرشاده إلى الوسائل الناجعة لإنقاذ من يرعاهم من الأطفال . أما المظاهر الخارجية لهذه المحبة سواء فى ضروب العناية الصحية أو الطبية أو الاجتماعية التى تضمن سلامة الأمهات والأطفال أو حسن تغذيتهم أو نموهم فهذه مسائل تفصيلية تختلف باختلاف الزمان والمكان والعوامل الأخرى من اقتصادية أو جوية أو إقليمية . فالعناية بالأطفال وقت الحرب قد تختلف عنها وقت السلم ، والعناية بالأطفال فى البلاد الباردة قد تتبع فيها قواعد صحية تتلاءم مع الجو البارد وغير ذلك . ومن أمثلة ذلك ما اتبع فى انجلترا أخيرا بسبب الحرب والغارات من إنشاء مستعمرات فى اهواء الطلق للأطفال تبلغ مساحة الواحدة منها نحو ثلاثة أفدنة كلها بساتين وأراض مزروعة يعنى فيها بمئات من الأطفال تتراوح سنهم بين بضعة شهور وسبع سنوات ويعوضون فيها من الهواء الطلق النقى ما أصابهم من صدمات بسبب الغارات ومن الغذاء الصحى المكون من الفواكه والخضراوات ما فقدوه من تغذية لحرمانهم من آبائهم وأمهاتهم . وقد راق لى وصف قدمت به إحدى الصحف الانجليزية بيانها عن هذه المستعمرات بتسميتها "معركة الأطفال" .

ومن المقومات التى تؤهل للعناية بالأطفال أن يكون للقائمين على شؤونهم مقدرة على تفهم الأطفال وإدراك حاجاتهم والعمل على إسعادهم بروح غنية ونفس مطمئنة وخلق قويم وهذا لا يتم إلا بدرس حالة الطفل سواء من الوجهة الصحية أو النفسية . فمن الوجهة الصحية تدرس مواضع ضعفه ومراضه ويعطى لها العلاج الصحيح . ومن الوجهة النفسانية تدرس عقليته وروحه . يجب أن يتولى المشرف عليه أمر قلبه ونفسه ويجتهد فى تكييفهما برفق حتى يصل بالطفل تدريجيا إلى المستوى الصالح . ولا تتوافر الشخصية اللازمة لتكييف الطفل تكييفا صحيحا إلا إذا فهم الخلق الطبيعى للطفولة على حقيقته . فأكثر الآباء والأمهات لا يدركون درجة إدراك الطفل فى كل مرحلة من مراحل الطفولة مع أنه يجب لنشأة الطفل نشأة سليمة أن نكون على علم بالمستوى العادى أو الطبيعى لنفسيته كما نعلم المستوى

الطبيعى لصحته أو لذكائه . وبهذا العلم نستطيع أن نقيه الزلل وأن ننقذه إذا طرأ ما يخل بتوازنه . وحسن فهم الطفل يجب أن ينظر اليه كشخصية نامية منتظرة فى ضوء سنه ونموه فنراعى أدوار نموه وتطوره الجثمانى والعقلى والعاطفى . وليس هـذا بالأمر اليسير علينا نحن الكبار ، بل هنالك صعوبات تحول دون حسن إدراكنا للأطفال أولها أننا كبار فى تفكيرنا وعواطفنا ومستوى سلوكنا ودرجة التأثير عليها ، وكل هذه الأمور تختلف فى الكبار عنها فى الصغار . فالتصرف الطبيعى للطفل ليس طبيعيا لكبير السن .

والصعوبة الثانيـة أننا ننسى طفولتنا ، فالعواطف المختلفة التى خالجت نفوسنا أثناء الطفولة كالمحبة والكراهة والخوف والغيرة لم تعـد باقية فى الذاكرة ، واذا بقى شىء منها فإنه ناقص نقصا كبيرا يجعلنا بعيدين كل البعد عن مستوى الطفل ، ومن هنا تنشأ صعوبة ثالثة ، وهى أن الطفل هو نوع من البشر له طابعه الخاص ويجب أن نفهمه بهذا الطابع لا بطابع عقليتنا الكبيرة المتقـدمة ، كذلك يجب لمن يقوم على شـؤون الأطفال أن يكون له من الشخصية ما يساعده على تعويد الأطفال عادات حسنة ، وهذا لا يتأتى الا بالاطمئنان والثقة ، فالاطمئنان هو أن يشعر الطفل من وقت ولادته بأن والديه يقبلانه كما هو ويرضيان به كل الرضاء باعتباره فردا من الأسرة ، وكلما كبر الطفل احتاج لزيادة درجة اطمئنانه بأن يلقى فى روعه أنه مهما فعل يستطيع أن يعود لداره ويقص ما وقع منه دون خوف الانتقاد أو العقاب وأنه يجب أن يثق دائما بأن والديه سيقدمان له كل مساعدة ضرورية ورشيدة لتنقذه من أية صعوبة يقع فيها ، لأنه من المسلم به أن الطفل كلما تقدم فى السن وتعلم وجب أن يكون مسئولا عن نفسه وأخطائه . والطفـل الذى لا يرتكب خطأ أو يقع فى صعوبة هو طفل خائف مضغوط عليه لا يستطيع فى مستقبل أيامه أن يهيىء نفسه للحياة . فالاطمئنان يجب أن يقع أولا فى نفس الطفل من جهة والديه وكلما كبر اتسعت دائرة الاطمئنان إذ يجب أن يشعر بالاطمئنان إلى المدرسة وإلى الأساتذة وإلى الأمة ، وفى النهاية يجب أن يكون مطمئنا من ناحيـة نفسه أى يجب أن يشعر أنه يستطيع أن يعتمـد على نفسه وأن يطمئن لكل ما يقوم به من عمل ، وبذلك يقابل صعوبات الحياة دون أن يشعر باختلال فى التوازن أو بعدم ملاءمة بين نفسه وبين الوسط الذى يعيش فيه ، وكل هذا لا يتحقق إلا إذا نشأت فى نفس الطفـل الطمأنينة من الصغر . كذلك يجب أن تنشأ مع الطفل من صغره الثقـة أولا فى والديه ثم فى أقرانه ومعلميه ، والمجتمع الذى يعيش فيه والبيئة المحيطة به بصفة عامة وكلما نما وجب تمكين الثقـة من نفسه لأنه اذا شعر بأنه غير صالح لشىء وغير واثق من نفسه فإنه لا يتقـدم خطوة إلى الأمام بل قـد يصبح عالة على المجتمع ويقع فى حالة من التدهور لا يمكن إنقاذه منها ، فالآباء والأمهات يجب أن يقنعوا أطفالهم بحسن اعتقادهم فيهم وتمام ثقتهم بأنهـم أفضل الأولاد . وكثيرا ما يلجأ بعض الآباء إلى نقـد أولادهم

نقدا مستمرا ولومهم كلما فعلوا شيئا لا يتفق مع القواعد التى يجرى عليها الكبار ومع طريقة تفكيرهم بل يؤلمونهم بالقول ذاكرين أنهم يخجلون من أعمالهم ولكن هذه الخطة ليست المثلى فإنها تفقد الأطفال الثقة . قد يقال إن الاستمرار فى مدح الأطفال قد يدخل الغرور فى نفوسهم ويخرجهم من متناول الإشراف ولكن ثبت من التجربة أن هذا الرأى غير صحيح فكلما أثنيت على الطفل بذل جهوده ليحصل على رضائك وكلما شعر الطفل بالثقة ثبتت أقدامه فى طريق النجاح . أما اذا ضعفت ثقته فإن الأمر يختلط عليه و يملكه التردد والخوف.

نخرج من كل ذلك بأن أقوم سبيل لإنقاذ الأطفال من الويلات التى قد تعصف بهم هو أن يحسن القائمون عليهم أداء رسالتهم بأن يولوهم ما يستحقونه من محبة وعطف وأن يفهموهم على حقيقتهم ، وأن يكون لهم من الشخصية ما يساعد الأطفال على النمو والتطور فى اطمئنان وثقة . فالأطفال يخرجون كما يريد آباؤهم والأبوان يعطيان طفلهما جسمه وعقله و يتوقف نمو هذا الجسم والعقل على وسائل التربية التى يتبعها الوالدان فقد منح الله الأطفال قوة للنمو والتقدم وفى يد الوالدين تمكين هذه القوة من أن تؤتى ثمارها . فمن الوجهة الصحية يتوقف النمو الجثمانى على ما يقدمه الوالدان من غذاء صحيح وعناية جسمية كافية . فإذا قصرا فى التغذية أصيب الطفل بأمراض نقص التغذية ، لهذا كان للطفل منذ ولادته حق طبيعى فى الحصول على غذاء مناسب حتى إن بعض البلاد كالدانمارك نصت فى دستورها على أنه لا يجوز لبنيها أن يموتوا جوعا . والغرض من ذلك أن الجوع أو التجويع محرم فى النظام الأساسى للدولة . و إذا قصر الوالدان فى العناية الجثمانية بالطفل أصيب بالهزال وضعفت مقاومته للأمراض ، كذلك يجب ألا يحرم الطفل من العطف والمحبة حتى تنضج عاطفته نضوجا تاما ولا ينشأ شاذا ملتويا فى عواطفه . أما النمو العقلى فيتم بإيجاد روح الثقة والاطمئنان حتى ينشأ الطفل معتمدا على نفسه متحملا مسئولية أعماله. ومما يساعد على ذلك أنه يجب أن ينتظر من الطفل أداء ما يتفق مع سنه ولا يطلب منه أن يعمل كالكبار فإن عقليته مختلفة عن عقليتهم .

فليتعلم الآباء والأمهات هذه المبادئ حتى يمكن أن يعهد اليهم بحمل هذه الرسالة السامية رسالة الأبوة أو الأمومة ، ومتى حسن الآباء والأمهات كان طريق الحياة أمام الأطفال ممهدا وطريق نجاحهم معبدا وقل تعرضهم لأخطار الحياة وويلاتها ووصلوا إلى الرجولة بروح غنية وعقل متزن سليم .

ومن الخطأ الاعتقاد بأن الطفل ما دام صغيرا فإن هناك متسعا من الوقت لإصلاحه ، فان السنة الأولى من حياة الطفل هى أهم فترة يحصل فيها على التكييف الذى يحتاج اليه فى حياته وكل سنة تمر بعد ذلك تقل فى أهميتها عن السنة التى قبلها . لهذا يجب ان يبذل الجهد من

اول الأمر الى يوائم الطفل تدريجيا بين دوافعه الغريزية وحاجات المجتمع على ألا يكره على ذلك بالقوة فلا يجبر على النمو والإدراك قبل الأوان ، فكل ما ينتظر من الطفل يتوقف على مقدرته الشخصية والوالدان الناصحان هما اللذان يسمحان لطفلهما بأن ينمو نموا عاديا حسب طبيعته ويعترفان بحاجاته العاطفية أو الروحية ، فالعواطف حاجات لا تقل فى أهميتها عن الحاجات الجثمانية ، ولتربية الروح أكبر الأثر فى تكوين الخلق ، بل إن ما نشاهده فى عدد من الكبار من اضطراب نفسانى أو تردد أو خوف يرجع دائما الى حالة الصغر ، فمن الأقوال الصحيحة أن الاضطراب العصبى لا ينشأ فى الكبر بل هو يبدأ دائما بالخوف والنفور أثناء الطفولة ، فإذا أريد إنقاذ الناس من الاضطرابات العصبية وهى أساس ما يقعون فيه من فوضى وما يرتكبونه من حماقات ، فيجب تقصى أسباب مخاوف الأطفال ووضع وسائل لوقايتهم منها ، إذ لا يخفى أن الخوف من أول العواطف التى تخالج نفوس الأطفال ويرجع سببه الى أى عمل مزعج أو صوت مستنكر أو شعور يعكر اطمئنان الطفل واذا تكرر ما يخيفه يستمر شعوره بالخوف فى كل الظروف خصوصا الجديد منها على نفسه وبتقدم السن بالطفل واستطاعته الكلام يمكن أن يفضى إلينا بمصادر مخاوفه وهى ترجع فى أكثر الأحوال الى خشية الكبار وفى طليعتهم والداه وبوجه خاص والده ، ثم قد نجد أيضا من أحلام الطفل ما يفسر لنا شعوره الداخلى فأحلامه أبسط من أحلام الكبار ، فهو إلى ما قبل الرابعة من عمره يحلم عادة أحلاما مزعجة تدور مثلا حول الحيوانات المتوحشة وافتراسها ، ومن الرابعة إلى التاسعة أو العاشرة يحلم باللصوص وقطاع الطريق والأشباح والهياكل ، وكل هذه الأشياء تؤدى معنى واحدا فى الحقيقة وإنما تختلف باختلاف البيئة ، فقد وجد أن الطفل الذى يعيش فى منطقة نائية كأواسط إفريقيا يحلم بوحوش الغابات كما وجد أثناء الحروب أن الاطفال يحلمون بهجوم الأعداء وهكذا . وقد يؤدى هذا الخوف بالأطفال إلى التبول فى فراشهم ليلا . واذا سئل الطفل من شخص يستطيع اكتساب ثقته عن شكل " البعبع " الذى أخافه فى الليل فإنه فى أحوال عدة يذكر أنه والده أو والدته . ومن المشاهد خصوصا فى بلادنا أنه كثيرا ما يساعد أحد الوالدين على تخويف الطفل من الآخر كأن تصور الأم لطفلها والده فى صورة مخيفة أو يصور الوالد الأم لطفله تصويرا مرعبا ؛ وكثيرا ما نرى ذلك فى أحوال الخلاف أو الشقاق بين الأبوين فإن كلا منهما يسعى أن ينفر الطفل من رفيقه الآخر على أثر غضبه منه أو رغبته فى الانتقام ، وقد يتهز أحدهما أحلام الطفل المزعجة ليفهمه أنها حقيقية ، والطفل لا يستطيع التمييز بين الحقيقة والخيال ، والوالدان فى هذه الحالة يغفلان عن حقيقة ثابتة وهو أن المجنى عليه فى كل ذلك هو الطفل البرىء فان خوفه من أحد والديه ربى فى نفسه النفور فيكبر مضطرب الأعصاب كثير المخاوف ، فهما نشأ من خلاف بين الأبوين فإن الطفل يجب أن يكون بعيدا عن أثر الخلاف مطمئنا إلى كليهما بحيث يستطيع أن يحدثهما

عن كل ما يخالج نفسه و يقص عليهما كل مخاوفه دون حذر أو خجل ، فان الخوف الذى يكتمه الطفل قد يكبر فى نفسه و يزيد فى أثره السيئ ما يكتنفه من شعور بالمذلة و يؤدى كل ذلك إلى اضطراب نفسانى فى مستقبل أيامه .

على أنه يجب الحذر من التطرف إلى ناحيـة أخرى ، وهى تدليل الطفل ، فإن بعض الآباء والأمهات يعطون لأولادهم من الحنان أكثر مما يحتاج إليه ، بل أكثر مما يجب ، إذا مرض أو أصيب بتوعك بسيط كبر الأمر على الوالدين واشتد قلقهم فيقاق الطفل بدوره وهكذا فالحنان أو القلق الزائد يؤدى أيضا إلى اضطراب ، و ينمو الطفل والثقة تنقصه و يصبح سهل الانفعال. وهناك نوع آخر من الآباء والأمهات يترددون بين القسوة والحنان فيخرج أولادهم حيارى مشوشين نافرين . لو استطاع إذن كل أب وكل أم وكل معلم أو معلمة أو مشتغل بشؤون الطفولة أن يشاهد أثر المعامله غير السديدة أو أثر سوء المعاملة فى الكبار لأدرك ضرر وسائل التربية العقيمة وضرورة الابتعاد عنها .

وقد لا يطول الوقت لظهور أثر أسلوب المعاملة أو التربية فى تطور الطفل ، بل قد يؤثر عليه تأثيرا مباشرا فى دور المراهقة وهو دور خطر ، وصفته سيدة من سيداتنا المشتغلات بالمسائل الاجتماعية وهى : "السيدة زاهيه مرزوق" بأنه دور انقلاب حاد لا فى الحالة الجسمية فقط بل فى الحالة النفسية والعقلية والاجتماعية ، وفى هذا الدور يبدأ الأطفال فى التطور و يأخذون تدريجيا مظاهر الكبار على أن تطورهم لا يسير على قاعدة واحدة ، فقد يكون سريعا ، وقد يكون بطيئا ، وليس للسن التى يبـدأ فيها ميعاد محدد ، فبعض الأطفال خصوصا فى مصر يبدأ المراهقة فى سن التاسعة والبعض يصل الى الرابعة عشرة بل السادسة عشرة ولما يبلغ المراهقة ولذلك يجب ألا تؤخذ السن معيارا للسلوك الطبيعى المنتظر من الطفـل ولكن يجب أن يلاحظ أن هناك علاقة وثيقة بين التطور فى الجسم والأعضاء والتطور فى العواطف فمنذ بدء المراهقة يدب التغيير فى كل الجسم ، وقد يكون سبب ذلك إفراز الغدد الصماء فيتغير الطول والحجم و ينتج من النمو السريع بعض مشاكل منهـا قبح المنظر وأن العضلات والعظام قد لا تنمو بالسرعة ذاتها ، فهناك عضلات تنمو أسرع من غيرها ، وقد تمر سنوات حتى يصل بعض الأولاد والبنات إلى درجة مقبولة من حسن التناسق ، ولكن فى فترة عدم التناسق يشعر المراهق بشىء من الحيرة وقد تتعرض صحته لبعض التأثر فتتعب بسرعة ولا يستطيع المثابرة على المذاكرة خصوصا فى الليل ، وهنا تعرض مسألة لا يلتفت إليها كثيرا وهى تقدير الألعـاب الرياضية التى تلزم فى سن المراهقة ، فقد يكون الإفراط فيها مضرا فى تلك الفترة. كذلك تتغير قوة المقاومة للأمراض ، و يقول أهل الطب إن فترة المراهقة تزيد المناعة ضد بعض الأمراض كالبرد العادى فتقل إصابة الأطفال بأمراض الزكام والبرد بعد العاشرة مع كثرة تعرضهم لها قبل هذه السن ، ولكن تقل المناعة لأمراض أخرى أشد خطورة كالسل ، وهنا تعرض

مسألة أخرى وهي ضرورة الاهتمام بوقاية الأطفال فى سن المراهقة من هذا الداء الوبيل، فكما أن للكهولة أمراضها كأمراض القلب أو اسرطان فإن الشباب مهدد بذلك المرض الفتاك الذى يسمونه بالموت الأبيض ولكن من الممكن طبعا الوقاية منه قبل وقوعه، ولهذا يجب أن تكون محاربته عنيفة وقوية لأن الأمل فى نجاحها كبير، ففى بعض البلاد خصوصا فى أمريكا يخصص أسبوع كل عام لفحص السل فحصا مبكرا يسمونه diagnosisweek early فى كل المدارس ، وهناك طريقة يعرفها الأطباء وهى حقن الأطفال بمادة تسمى توبركولين Tuberclin وهى مأخوذة من ميكروبات السل . فاذا ظهرت بقعة حمراء دل ذلك على أن الطفل أصيب بالداء و إن لم تظهر كان فى ذلك مايدل على حسن صحته . وهذه هى الطريقة الوحيدة على ما أعلم لتحقق من سلامة جسم الطفل من ميكروب السل فى هذه السن و يتم الشفاء بشىء من العناية اللازمة . وفى ظهور الميكروب مايفيد أيضا بالنسبة للكبار من أعضاء العائلة أو يدل على أن أحد أفرادها مصاب بالسل ، وقد يكون فى ذلك ما ينبه للعلاج فى الوقت المناسب. وإذا فحص الطفل ووجدت النتيجة إيجابية أمكن فحص رئتيه بالأشعة للتحقق من مدى سلامتها ، هذا الفحص من الأهمية بمكان و يجب أن تعنى به المدارس وأعتقد أن نظام الصحة المدرسية سيتوفر على هذه العناية .

هنا فى سن المراهقة يجب أن يستمر الاطمئنان والثقة لدى الطفل، بل يجب أن يشعر بأن شخصيته قد بدأت وأن له شيئا من الاستقلال والحرية فلا يكره على شىء لا يقتنع به فإن الإكراه لا يفيد فتيلا . هل نستطيع إكراه طفل على المذاكرة وهو لا يرغب فيها أو نستطيع منعه من التورط فى صعوبات خارج المنزل بالضرب أو بالشغب، كلا! وكل ماينتجه الإكراه هو النفور والميل للثورة، وأقوم سبيل لمعاملة المراهق أن يفهمه والده أو والدته كل مايتعلق بنفسه و بجسمه و بيئته حتى لا تصل إليه معلومات خاطئة من الغير ثم يعود على الاستقلال وعلى تحمل المسئولية مع إمكان الالتجاء الى الأب أو الأم فى أى وقت للاسترشاد برأى مجرب سنيم فإن الطفل فى دور المراهقة يحتاج إلى الاسترشاد ولكنه لا يذهب عادة إلى أبويه أو معلمه وهم أجدر الناس وأقدرهم على إرشاده . وقد أظهرت التجارب أن المراهقين كالكبار كثيرا ما يكرهون النصيحة التى تدفعهم على ما يجب عمله ومالا يجب، و إنهم يفضلون التحدث مع شخص يثقون برجاحة رأيه ليبين لهم كل شىء أو يوضح لهم كما يقول الانجليز الصورة the whole picture ومتى عرفوا ذلك استطاعوا حل مسائلهم بأنفسهم و يصلون غالبا إلى حلول مقبولة . وقد تطرأ فى المراهقة صعوبات يتورط فيها الأطفال و يرجع ذلك غالبا إلى عدم تعويدهم أثناء الصغر على الاعتماد على النفس والمسئولية فلم يحضروا لدور المراهقة بتعود الاستقلال عاما فعاما فإذا أصبحوا وزمامهم فى أيديهم لدرجة ماوقفوا حيارى أمام هذا الاستقلال ولا سبيل لإنقاذهم من هذه الحيرة إلا اذا وثقوا فى والديهم أو اطمأنوا إليهم

وصارحوهم بصعوباتهم . ومن المهم أن يعطى الأب أو الأم فرصة لطفلهما أن يصارح بما لديه من صعوبات لأنه قبل كل شيء فرد فى المجتمع وكما أن للنشاط المدرسى أهميته فكذلك للنشاط الاجتماعى فإذا لم يظهر اهتماما بالمجتمع الذى حوله يتفق مع سنه فهذا فشل لا يقل عن فشله فى الحساب أو الكيمياء بل بالعكس يتوقف النجاح فى سن المراهقة إلى حد كبير على استعداد الفرد للانسجام مع المجتمع socialisation فليساعد الآباء والأمهات على الوصول إلى هذا الانسجام بالمناقشة الودية والاستمرار فى اكتساب الثقة فاذا لم ينجح الأب أو الأم فى تذليل صعوبة طرأت على طفلهما أو صلاح موقف من المواقف ، ففى هذا ما يدل على أن لدى الطفل أو الاب أو الأم عقدة نفسانية يحتاج إلى معونة خارجية تساعد على تسوية الموقف . على أن يترك جانبا استعمال القوة فلم تكن القوة يوما من الأيام وسيلة لاكتساب الاحترام أو للتقويم الصحيح وإنما يحترم الأولاد آباءهم وأمهاتهم بتنمية هذه العواطف لديهم لا بإكراههم عليها أو بإدخالها فى نفوسهم إدخالا صناعيا .

محمد عبد المنعم رياض

الحياة الاجتماعية فى مصر بعد ربع قرن

"يسرنا أن نذكر أن الكلمة التى سبق أن نشرناها فى العدد الماضى من هذه المجلة بعنوان " الحياة الاجتماعية فى مصر بعد ربع قرن " لحضرة صاحب العزة الدكتور محمد عبد المنعم رياض بك قد أنتجت أثرها فأنشئ فعلا مكتب للأبحاث المستقبلة يتوفر على دراسة المشكلات الاجتماعية على أساس علمى قائم على الإحصاءات الصحيحة، وكونت لهذا المكتب لجنة تتولى الإشراف على عمله برياسة حضرة صاحب السعادة محمد طاهر باشا ، ويكون المكتب وجها من وجوه نشاط الجمعية المصرية للدراسات الاجتماعية التى أقرت إنشاءه فى جمعيتها العمومية السنوية فى انعقادها الأخير ، وستقوم بالعمل فى المكتب هيئة فنية يرأسها الدكتور محمد رياض اسنوانى الإخصائى فى الإحصاء .

وقد عقدت لجنة المكتب فعلا ، وبحثت نظام العمل التى ستسير عليه فى أبحاثها ، وكان أول قراراتها تشكيل لجنة فرعية لبحث موضوع الأجور الزراعية وهو من أهم المسائل التى تهم الحياة الريفية فى مصر ، ويرأس هذه اللجنة سعادة الأستاذ محمد العشماوى بك نائب رئيس رابطة الإصلاح الاجتماعى ومن أعضائها حضرة السيدة الجليلة حرم الدكتور حافظ عفيفى باشا وهكذا يمكننا أن نهنئ حضرة واضع البحث المنشور بتحقيق فكرته بأسرع مما كان ينتظر".

المحرر

اثر بنك التسليف الزراعى فى الإنتاج القومى

لحضرة صاحب السعادة عبد القادر الجمال باشا

المستشار الاقتصادى ببنك التسليف فى الاجتماع الزراعى

اشتدت حاجة المزارع المصرى إلى السلف الزراعية على اختلاف أنواعها عندما أخذت البلاد فى استغلال أراضيها إلى أقصى مقدرتها الانتاجية أى بعد إصلاح نظام الرى فيها والاستغناء عن نظام الرى بالحياض . ولم يكن الفلاح قبل ذلك فى حاجة كبرى إلى الاقراض لهذا الغرض بل كانت موارده على ضعفها تكفى حاجاته . وحين تطورت حال الزراعة اشتدت حاجته إلى الأسمدة الكيماوية والتقاوى الجيدة التى لا يمكنه إنتاجها بنفسه و إلى نفقات لزراعته . مما حدا به إلى ولوج باب الاقتراض لمساعدة الإنتاج فكان أول ما اتجه اليه للحصول على المال الالتجاء إلى طائفة المرابين فى الأرياف ومن هم على شاكلتهم من صغار تجار التقاوى والسماد . وأمعن المرابون فى إرهاق الفلاح إلى أبعد مدى ، وكثيرا ما أجبروه على بيع محصولاته بمجرد ظهورها سدادا لدينه مما دعا إلى بخس ثمنها . وكان هؤلاء المرابون يسهلون له الاقتراض فى أول الأمر ثم يرهقونه بطلباتهم بعد ذلك . و يبيعون له ما هو بحاجة اليه من سماد وآلات زراعية بثمن مرتفع جدا ثم يضيفون على ذلك الثمن فوائد مرتفعة تثقل كاهله .

ولم يكن فى مقدور المؤسسات المالية الكبرى فى البلاد إعطاء الفلاح سلفا لمنافاة طبيعة التسليف الزراعى لنظام هذه المؤسسات ، إذ أنها فى الواقع مؤسسات تجارية تعتمد فى تسليفها على ما لديها من أموال الودائع وهذه بطبيعتها يتعذر إقراضها لمدد طويلة .

و إزاء ذلك كان المنتج المصرى مضطرا لبيع حاصلاته قبل نضجها للتجار وغيرهم بأثمان بخسة حتى يستطيع الحصول على بعض المال ليستعين به على قضاء حاجات إنتاجه الزراعى ، وقد أصاب الزراع من جراء ذلك إرهاق ومتاعب جمة .

أمام هذه الحالة غير المرضية كلفت الحكومة فى سنة ١٨٩٦ البنك الأهلى أن يقدم قروضا للزارعين بشروط حسنة . غير أنه رئى أن هذا العمل يخالف نظام البنك الأهلى ولم تنجح هذه السلف لقلتها إذ لم تصل الى أكثر من ٤٠٠,٠٠٠ جنيه فى السنة الواحدة فعدل عنها . وفى سنة ١٩٠٢ عمل هذا البنك على تأسيس البنك الزراعى برأس مال كبير لمساعدة

المنتج المصرى حتى بلغت سلفياته فى سنة ١٩٠٧ ثمانية ملايين من الجنيهات قسمت على ٢١٣٠٠٠ سلفة زراعية وعقارية . ولكنه رغم هذه المساعدة القيمة لم تتحسن حالة الفلاح الصغير كثيرا كما كان يرجى لها وظل منغمسا فى الاقتراض من المرابين مما عرض ثروته للضياع فسنت الحكومة قانون الخمسة الأفدنة لحماية صغار الملاك الزراعيين . وقد حد هذا القانون الجديد من نشاط البنك الزراعى كثيرا بل قضى عليه ، لأنه امتنع عن معاملة صغار الملاك واضطر على توالى الأيام الى تصفية أعماله نهائيا .

وجاءت فترة الحرب العالمية العظمى الأولى وعم فيها الرواج وانتعشت حالة المزارع المصرى لما صادفه من أسعار مغرية مرتفعة لحاصلاته وقل فى أثنائها احتياجه الى الاقتراض. ولم تدم هذه الحالة طويلا ، ولم يدخر المنتج فى إبانها مالا للأسف الشديد ، وتملكته فى أثنائها روح من التفاؤل الكبير ، ثم تلتها فترة من الهبوط العظيم فى أسعار الحاصلات الزراعية اضطرت معه الحكومة الى التدخل مرارا فى سوق القطن مشترية . ولجأت الى وضع نظام سخى للتسليف على القطن تقوم به وزارة المالية كما قامت وزارة الزراعة ببيع السماد والتقاوى للفلاحين بأجل . واشتدت الأزمة الزراعية فى العالم أجمع وكويت مصر بشظاياها الى درجة مروعة ، وعم الضيق فى البلاد وكاد اقتصادنا الزراعى ينهار . فرأى ولاة الأمور أن يوحدوا الجهود التى تقوم الحكومة بها لمساعدة المنتج المصرى وأسست بنك التسليف الزراعى المصرى ، وألقت على عاتقه عبء مد الفلاح بكل ما هو فى حاجة اليه من سلف عينية كالسماد والتقاوى أو نقدية كسلف لنفقات الزراعة والحصاد وشراء الآلات والماشية .

* * *

يسعى البنك منذ إحدى عشرة سنة فى القيام بهذه المهمة التى عهد بها اليه ، وسنرى فيما يلى هل كان موفقا حقا فى أدائها وإلى أى حد وصل أثره فى إنتاجنا القومى وهل حقق الآمال العظيمة التى عقدت عليه فى وقت إنشائه ، وهل ساعد فى توجيه سياستنا الزراعية الاقتصادية الى الوجهة المثلى ؟

ينص قانون تأسيس بنك التسليف الزراعى على أن الأغراض من إنشائه هى :

(أولا) عمليات لأجل قصير لا يتجاوز أربعة عشر شهرا بضمانة حق الامتياز أو برهن حاصلات .

(ثانيا) تقديم سلف للجمعيات التعاونية الزراعية الخاضعة لقانون رقم ٢٣ لسنة ١٩٢٧ ولصغار المزارعين ومتوسطيهم لنفقات الزراعة والحصاد .

(ثالثا) بيع الأسمدة والبذور لأجل لجميع المزارعين على السواء وكذلك بيعها نقدا .

(رابعا) تقديم سلفيات على المحاصلات للجمعيات التعاونية ولصغار المزارعين .

(خامسا) القيام بعمليات لمدة لا تتجاوز عشر سنين كتقديم سلفيات لشراء الآلات الزراعية والماشية وتقديم سلفيات لإصلاح الأراضي الزراعية بواسطة حفر المساقي والترع والمصارف.

(سادسا) تمويل المنشآت التي تعمل لمنفعة الزراعة بقصد المساعدة على إيجاد هذه المنشآت وانتشارها .

(سابعا وأخيرا) عمليات لمدة لا تتجاوز عشرين سنة كتقديم سلف لاستغلال ولإصلاح الأراضي التي يمكن أن تفيدها أعمال الري والصرف عامة .

فترى البنك يبيع السماد الى أي مزارع في البلاد بسعر معتدل مكتفيا بالربح القليل ولا يستغل الظروف لرفع أسعاره ، فما كان البنك في جميع معاملاته على الإطلاق وسيلة للربح بل هو مؤسسة وطنية غرضها الأول مساعدة المنتج المصري ويكتفي بتغطية مصاريفه وفائدة ضئيلة توزع على أصحاب رأس المال . ولعل أحسن دليل على صدق هذا ما رأيناه في السنة الماضية اذا ما قارنا أسعار السماد في البنك وفي خارجه . ولما كان بنك التسليف الزراعي أكبر مستورد للسماد في البلاد فقد عملت خطته هذه على خفض مستوى أسعار السماد في البلاد عند كل الشركات التي تبيعه للجمهور، فكأن البنك حكم عادل بين تجار الأسمدة ومستهلكيه، وميزان للأسعار اذ يوزع البنك ما يقرب من نصف كمية السماد التي تستورد سنويا من الخارج، أما عند توزيع التقاوى والبذور فيعمل البنك على انتخاب أجودها وأصلحها بعد فحصها بواسطة الأقسام الفنية بوزارة الزراعة وبذا يضمن للمشترى جودة الصنف ونقاوته . وإننا ننتهز فرصة انعقاد هذا المؤتمر الزراعي الكبير — لنناشد كل مزارع مصري أن يعنى العناية كلها بتقاويه التي تلزمه لزراعاته ففي جودتها أكبر ضمان لمحصوله . ونناشد أولي الأمر فينا أن يواصلوا الدعاية القوية الفطنة بين طبقات المنتجين ليقبلوا على شراء أحسن التقاوى وأجودها وألا يقيموا لفرق السعر أي حساب مما سيجنونه من وفرة المحصول وجودته يعوض عليهم هذا الفرق مرارا عديدة .

ويقوم البنك أيضا بإعطاء سلف لنفقات الزراعة والحصاد . وقد توسع فيها أخيرا بعض التوسع تسهيلا للمنتج على القيام بتلك النفقات الضرورية ومنعا له من بيع محصوله مقدما بسعر منخفض وتفاديا من أضرار قطع السعر في وقت غير مناسب كما هو حاصل فعلا في أغلب الحالات وقد أتت البلاد من تفشي عادة بيع القطن مقدما وقطع سعره — والقطن هو المحصول الذي يقوم عليه قوام الحياة الزراعية في مصر — ويتراوح ما يقدمه البنك من سلف لنفقات الزراعة والحصاد بين نصف مليون جنيه وستمائة وخمسين ألف جنيه سنويا . ويود البنك لو أقبل المنتج المصري على طلب نفقات زراعته وأقلع نهائيا عن تلك العادة السيئة —

أى عادة بيع محصوله مقدما على الكونتراتات — فليس فى مقدور المنتج الزراعى فى أى بلد كان أن يكون منتجا زراعيا وتاجرا فى وقت واحد، وما جعل التسليف الزراعى الاليحميه من مثل هذه التصرفات. وبذلك يتمكن المزارعون من استغلال أراضيهم على الوجه المرضى ويقذون من أيدى المرابين كما أشار إلى ذلك جناب محافظ البنك الأهلى فى الخطبة التى ألقاها فى الجمعية العمومية فى سنة ١٩٣٦ لمساهميه حيث قال " ويلاحظ فيما يختص بصغار الزراع الذين يحتاجون إلى المال لشراء البذور والأسمدة وما إليها أن التسهيلات التى يقدمها هم الآن بنك التسليف الزراعى المصرى لا بد أن تكون قد أنقذتهم إلى حد بعيد من أيدى المرابين" .

أما فيما يختص برهن المحاصيل الزراعية فقد أنشأ البنك عددا كبيرا جدا من الشون يبلغ حاليا حوالى ٤٢٠ شونة منتشرة فى أنحاء البلاد من أدناها إلى أقصاها، وذلك بخلاف المخازن الخصوصية الملحقة بها تيسيرا للمنتج ليودع فيها مايريد من محصولاته ويقترض عليها، وذلك منعا من تهافت كل المزارعين على بيع حاصلاتهم فى وقت واحد إبان ظهور المحصول مما يخس من ثمنها. ويتقاضى البنك على التخزين بشونه أجورا طفيفة تشجعه على إيداع محصوله فى شون البنك فى اطمئنان وثقة. ويجب أن نضيف إلى ذلك ميزة أخرى للبنك، فهو لا يطالب مودعى المحصولات بأية تغطية فى مدة سريان السلفة فى حالة نزول الأسعار بل نراه على العكس يقدم للمودعين قروضا إضافية أخرى فى حالة ارتفاع أثمان المحاصيل المرتهنة . كما قام البنك فى مناسبات عدة عند اشتداد الأزمات الزراعية بالتسليف على المحاصيل بواقع ٩٠٪ من ثمنها التجارى تخفيفا من حدة الأزمة ومساعدة للزارع، فكان للبنك نصيب يذكر فى النهوض بأسعار الحاصلات الزراعية ، إذ أنه بفضل معاونة الحكومة يتبع قاعدة ثابتة فى الإقراض على تلك الحاصلات فانتظم العرض والطلب، وأصبحت أسعار الحاصلات إلى الثبات أميل ويحرص البنك فى قيامه بهذه العملية على أن يكون عملاؤه من الزراع دون سواهم مستبعدا التجار الذين لهم بنوك أخرى يعاملونها، اللهم إلا إذا كانوا فى الوقت نفسه زراعا فإنه يعاملهم باعتبارهم زراعا فى الحدود المرسومة لهؤلاء . وكان من أثر اتساع نطاق أعمال البنك وتعدد فروعه وتوكيلاته وشونه ومخازنه ومكاتبه لتصريف الحاصلات أن أصبح ركنا ركينا فى بناء اقتصاد مصر الزراعى، وكان أظهر أثره أن تضاءلت المرابأة فى البلاد إلى مايقرب من الزوال بعد أن كانت قبل إنشائه حرفة ذائعة، وداء وبيلا طالما امتص دم الفلاح وأضاع عليه جهوده . فلا إرهاق من البنك ولا تعنت مع المودع، بل هناك الرغبة الشديدة والعمل على تيسير الأمر له إلى أقصى حد ما استطاع لذلك سبيلا، ويقوم البنك بتقديم سلف متوسطة الأجل لا تتجاوز عشر سنوات لشراء الآلات الزراعية والوقود والماشية لخدمة الأرض وإصلاح الأراضى بشتى الطرق بشروط معقولة استفاد منها المنتج المصرى كل الفائدة .

ولا يدخر البنك وسعا فى مد يد العون إلى المزارع والأخذ بناصره كلما بدت الحاجة أو أصابت البلاد شدة متوخيا فى ذلك المصلحة العامة قبل مصلحته الخاصة .

* * *

من أهم أغراض انشاء البنك تدعيم حركة التعاون فى البلاد ايمانا من القائمين بالأمر فيه بفائدة التعاون . فأخذوا للأمر عدته وتمت حركة تعامل البنك مع عامة الجمعيات وأصبحت فى ازدياد سنة بعد أخرى . فبعد أن كانت قيمة السلف التى حصلت عليها الجمعيات التعاونية من البنك فى سنة ١٩٣٣ لا تزيد عن مائة ألف جنيه إذا بنا نراها قد وصلت فى سنة ١٩٤٠ إلى نيف ومليون جنيه . وبعد أن كان عدد الجمعيات التى تتعامل مع البنك ٢٩٨ جمعية عند أول انشائه أصبح عددها ٤٩١ جمعية فى سنة ١٩٤١ ، كما سعد البنك على قدر طاقته على إنشاء هذه الجمعيات ومدها بالمال اللازم لها . وقد والى البنك عنايته بالعنصر الجديد الذى دخل ميدان التعاون وهو عنصر خريجى كلية الزراعة ومدارس الزراعة المتوسطة إذ قدم لجمعياتهم ما لزم لها من سلف ومكنها من استغلال الأراضى التى وزعتها الحكومة على أعضائها . ويخص البنك جمعيات التعاون كلها بكثير من المزايا سواء أكان ذلك فى تخفيض سعر الفائدة أم أثمان البذور والسماد ويقصر أنواعا معينة من السلف عليها مثل سلف شراء الوقود ومهمات لجان التدخين وما يلزم لمحصولى البصل والبطاطس من جوالات وأجور نقل وسلف لإعداد وتعبئة وشحن الفاكهة للتصدير حتى تنمو هذه الجمعيات وتزدهر وحتى تنهض بقسطها من اقتصادنا الزراعى القومى .

وهناك وجه آخر من نشاط البنك نود أن نذكره ، وهو أن البنك لا يرهق المدينين له فى التحصيل ما دام يجد عندهم حسن النية متوفرا ويلمس منهم رغبتهم الأكيدة فى تسديد ما قد يستحق عليهم من مال . بل كلما توفرت هذه الشروط فى المدين نجد البنك يمد له يد المساعدة إلى أقصى حد تسمح به ضرورة المحافظة على أمواله من الضياع . وطالما تمهل البنك فى تحصيل ما يستحق له من مال فى إبان الأزمات الزراعية التى تمر على البلاد وتثقل كاهل منتجيها .

هذا موجز لأثر البنك فى إنتاجنا القومى وصورة مصغرة لما يقوم به من خدمات للبلاد وإذا كان البنك قد قام حتى الآن بما عهد اليه من أعمال على الوجه المرضى وبنجاح مطرد فإنه لا يعتقد أنه أتم مهمته أو أنه حقق كل ما عقد عليه من آمال بل يدرك حق الادراك أن ميدان نشاطه لا يزال فسيحا وأن أمامه مهمة متشعبة طويلة يسره أن يتابع القيام بها لخدمة اقتصاد مصر الزراعى الذى لا ينتظر أن يصل الى ما نرجوه له من نهوض إلا إذا ارتكز على دعامة من الائتمان السليم . والزراعة فى مصر كما لا يخفى عماد ثروتها وقوام حياتها الاقتصادية .

وجدير بالذكر أن نقول إن الحكومة المصرية تقدر هذا الموضوع الحيوى حق قدره وتعتمد على بنك التسليف الزراعى فى تنظيم الائتمان الزراعى كما أشارت الى ذلك فى كثير من خطب العرش والبيانات التى يفيض بها حضرات أصحاب المعالى وزراء المالية فى البرلمان .

وإننا نغتنم هذه الفرصة لنؤكد للحكومة أن البنك لن يدخر وسعا فى تنظيم الائتمان الزراعى ومعاونة الزراع على زيادة إنتاجهم وإنماء ثروتهم ، ولا سبيل الى إدراك الغاية التى ننشدها لاقتصادنا الزراعى إلا إذا ضاعفت الحكومة اهتمامها بالابحاث الفنية الزراعية وعملت على الإكثار من حقول التجارب وعنيت بتحليل تربة الأراضى المصرية فى مختلف المناطق وبحثت تكاليف عملية الإنتاج والتصريف ومهدت اسبيل لضغطها . وكل ما نرجوه أن تنهض زراعتنا على الأسس العلمية الحديثة لتتبوأ المكانة التى أهلتها لها الطبيعة وبذلك تصبح مصر كما كانت فى الأزمان الغابرة خزائن الأرض موطن الثراء ومورد الخيرات. وليس بلوغ ذلك على مصر بعزيز .

عبد القادر الجمال

من أدب القرآن

" إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ " .

التربية الحديثة

للدكتور عبد السلام الكردانى بك

مراقب تعليم ثانيات

تطورت أساليب التربيـــة مع الزمن تبعا لتطور المثل العليا التى تسود كل عصر من العصور، فأتى على الانسان حين من الدهر كان يرى فيه أن القوة الجثمانية هى غاية يجب أن تتجه اليها التربية . وعلى هذه الأسس أقيم صرح التربية فى ذلك العصر واتجهت العناية إلى تقوية الجسم وتمرينه على مختلف أنواع الرياضة وضروب الفروسية .

ثم جاء عصر آخر اتجه فيه الفلاسفة نحو العنـاية بالقدرة الكلامية فى الحوار والمناقشة وقرع الحجة بالحجة وغير ذلك من أساليب المنطق، فسيطرت هذه الفكرة على القائمين بتربيـة النشء، فجعلوا كل همهم إعداد الفرد لإتقان الكلام ووزن الحجج حتى يتفوق على منـاقشه ويفوز بكسب قضيته .

ثم أتى على الإنسان حين آخر أكبر فيه العلم والمعرفة واستولى عليه الاعتقاد بأن أسمى الغايات هى أن يحصل المرء من العلم أكبر قسط ويحصل من المعرفة على أكبر مقـدار . وعندئذ أخذت السلطات التعليمية تتنافس فى تزويد الناشئين بالمعلومات علهم يحيطوا بعلم الأقدمين والمحدثين، وقد أدى ذلك الى الحرص على جمع العلوم والمعارف وترتيبها وتقسيمها وتوزيعها على أوقات الدراسة بالمدارس . وصار المختصون فى كل مادة يزعمون لها أعظم المزايا وأعمق الآثار فى تربيـــة النشء ويطالبون السلطات بأن تزيد فى الساعات التى يجب أن يخصصها المتعلم لمـادتهم . ونشأ من ذلك تزايد ساعات العمل الدراسى وتضاعف المناهج وتفنن المدرسون فى الأساليب التى بها يشوقون تلاميـذهم لمـادتهم ويسترعون انتباههم لدروسهم . والتلميذ المسكين يزداد الحمل عليه يوما بعد يوم .

ثم وضعت السلطات التعليمية نظما عتيقة بغيضة أطلقوا عليها اسم الامتحانات . وأحاطوها بجـو رهيب مصطنع لا يقيس فى التلميذ سوى ذلك القـدر الذى استظهره من تلك المواد التى تعلمها . وكلمـا اشتدت تلك الامتحانات اشـتد تبعا لذلك اصطباغ التعليم بالصبغة الميكانيكية التى جوهرها تنافس المعلمين فى شحن أذهان تلاميـذهم بالمعلومات التى لا يمكن لهم هضمها والإلمـام بأسسها و بإحاطة بحقيقة مدلولاتها .

انتشر التعليم الذى من هذا النوع وكثر عدد خريجيه من المدارس والجامعات وامتلأ بهم السوق وإذا بأولى الأمر يلمحون فى كثير من هؤلاء الخريجين عجزا عن المغامرة فى الحياة وتقصيرا عن النجاح فيما هم بسبيله من أعمال . وعندئذ أخذ كثير من المربين وأولى الرأى فى الهيئة الاجتماعية يتساءلون : هل هذا النوع من التعليم الذى نقدمه لأبنائنا وبناتنا هو خير الأنواع ؟ وهل هو عدة مناسبة لهم فى الحياة ؟ وفيما كان رجال التربية يراجعون أنفسهم فى أغراضها وأساليبها كان علم النفس يتقدم بخطوات واسعة وتتطور بحوثه وتصطبغ بالصبغة العملية التجريبية بعد أن كانت تغلب عليها النزعة النظرية فدرست الطفولة فى مختلف مراحلها وانتهى علماء النفس فى القرن العشرين إلى مبادئ عامة وضعت تحت نظر المربين والباحثين فى أغراض التربية وخير الوسائل لتحقيقها ، ومن أهم هذه المبادئ ما يأتى :

أولا — أن لكل مرحلة من مراحل نمو الإنسان جسميا وعقليا خصائص ومميزات . فالدور الأول من الطفولة مثلا أهم مميزاته اللعب وما يتجلى فيه من نشاط وما يبدو فيه من خيال واسع .

ثانيا — أن لكل فرد مميزات واتجاهات خاصة تتكون منها فيما بعد شخصيته وأن نشاط الطفل الحر يكشف عن استعداداته الخاصة ومواهبه الكامنة .

ثالثا — أنه يجب للاعتبارين السابقين أن تكون دراسة الطفل والاهتمام بألعابه وميوله والحياة الخاصة التى يحياها مع رفاقه هى الأساس الذى تبنى عليه أساليب التربية . فالطفل إذن يجب أن يكون هو المركز الذى يدور حوله تفكير المربين .

وظهر من علماء التربية وقادة الرأى فيها فريق يدعو إلى تطور أساليب التربية تبعا للاعتبارات السابقة . وبجهود هؤلاء المربين كأفراد وجهودهم مجتمعين فى حلقات صغيرة ومؤتمرات كبيرة تطورت أساليب التربية والتعليم فى ربع القرن الأخير تطورا عظيما . وظهرت طرق جديدة طبقت فى مدارس خاصة وأهم مميزات هذا النوع الجديد من التربية الحديثة هو :

أولا — كان الطفل فى نظر المربين فيما مضى ليس إلا كائنا بسيطا وديعا مستقبلا . وكانوا يشبهون عقله بلوح تنطبع عليه نتائج التعليم انطباعا ثابتا و يصورونه كقطعة من الطين يشكلها المعلم كيفما شاء ، فالتلميذ ليس عليه إلا أن يجلس منصتا لمعلمه الذى يصب فى ذهنه أكبر قدر من المعلومات و يشكل خلقه فى أجمل قالب يراه . وهذه الحقائق فيها كثير من الصحة ولكنها تهمل العنصر الأساسى الذى اهتدى إليه علم النفس الحديث وهو أن الطفل كائن حى وأن كل كائن حى ينمو بنشاطه الذاتى و يتفاعل مع الوسط والبيئة التى يعيش فيها والحياة الزاخرة بالنشاط الذى يحياها .

ثانيا — لكى يستغل نشاط التلميذ الذاتى أو فاعليته يجب أن يجد الطفل من نفسه باعثا داخليا يستثير فيه هذا النشاط ويدفعه نحو التحصيل . وخير وسيلة لذلك هى إثارة المشاكل أمامه أو عرض المشاهد والموضوعات بصورة يجد فيها التلميذ مسائل تتطلب الحل وصعوبات يستشعر رغبة فى التغلب عليها، وتحفزه على تشغيل عقله باحثا منقبا يلتمس الوسائل لتحقيق غرضه هذا ، وهو الوصول إلى حل لما يقوم أمامه من مشاكل .

"فالمشكلة" من أهم مميزات التربية الحديثة، إذ أنها الحافز على النشاط العقلى استجابة لميول حية فى نفس الطفل . ذلك النشاط الذى يمده بالمعلومات التى يجد لذة كبرى فى الحصول عليها والتى تنطبع فى نفسه انطباعا ابتدائيا والتى تتفاعل مع معلوماته السابقة وذلك على عكس الحقائق التى يتلقاها التلميذ من مدرسه وهو يشرح له الدرس بالطريقة التقليدية والتى مهما أحسن المعلم عرضها واجتذاب التلميذ لحسن الاستماع إليها و إقباله على حفظها فانها تملأ ذاكرته دون أن يكون لها أثر ثابت أو تفاعل محسوس مع ماسبقها من معلومات . ولكل واحد من كبار المربين طريقته الخاصة فى تحقيق ذلك الغرض . فدكرولى له طريقته ومونتسورى لها طريقتها وهيلين بارك هيرست لها طريقتها المعروفة بطريقة دولتن وكلباترك له طريقته المعروفة بطريقة المشروعات الخ . وليس هذا مجال تفصيل هذه الطرق المختلفة وشرح مميزاتها بدقة .

ثالثا — أن المدرسة الحديثة قد اتخذت صورة مجتمع حى يعيش فيه الأطفال على النسق الذى سيعيشونه فى المستقبل كأفراد فى مجتمع إنسانى يتعاونون على تحقيق أغراض وضعوها نصب أعينهم ، فهم يجتمعون فيما بينهم و ينتخبون ممثليهم لإدارة شئونهم ومحاسبة المقصرين أو المذنبين منهم و يرسمون الخطط لتنفيذ ما يتراءى لهم القيام به من أعمال كدراسة إقليم أو تمثيل رواية أو مكافأة و باء إلى غير ذلك فيقسمون أعمالهم فيما بينهم لكل نصيب محسوس يؤديه بحماسة وأمانة مدركا أن لحسن قيامه به أثرا فعالا فى نجاح المشروع بأسره .

وهذه كلها الأسس التى تقوم عليها الحياة الديمقراطية الصحيحة و يقوم عليها التعاون الفعال بين المواطنين على اختلاف استعداداتهم وطبقاتهم ووظائفهم فى الحياة تبذر بذورها كلها فى الطفل وهو فى المدرسة فنحن هناك نعده للحياة بواسطة الحياة نفسها .

رابعا — كان من أثر الاهتمام بالنشاط الذاتى للطفل ان تغيرت معالم المدرسة تغيرا أساسيا . فبعد أن كانت مجرد فصول تشغل كل منها فرقة من الفرق و يتناوب عليها المعلمون بالتوالى أصبح يخصص فى كثير من المدارس غرفة لكل مادة يطلق عليها اسم المعمل وتحتوى على الأجهزة والكتب والمراجع والأدوات اللازمة لدراسة هذه المادة دراسة عملية يقوم بها التلميذ بشخصه تحت إشراف المعلم إشرافا بسيطا و توجيها توجيها غير محسوس . والتلميذ

يعتمد على نفسه فى رسم خطته وتنظيم أوقات دراسته واستخراج المعلومات من الكتب ورسم الخرائط وجمع الاحصاءات وإجراء التجارب الخ. وفى كل مدرسة ورش للأشغال اليدوية يصرف الطالب فيها وقتا طويلا لتدريب يده وتعويدها الدقة والمهارة وتمرينها على صنع الأدوات والأجهزة والنماذج وكل ماتحتاج إليه مشروعاته . وأعطيت للتلميذ حرية واسعة فى التصرف فى كثير من ساعات الدراسة يشغلها بالدرس أو العمل اليدوى بالكيفية التى يراها.

وتطورت دراسة العلوم تطورا محسوسا بحيث أصبحت تؤدى إلى غرس الروح العلمية الحقيقية فى التلاميذ تلك الروح التى تحملهم على تفهم الظواهر وإدراك مسبباتها والمناقشة فى كل رأى فلا يسلمون بصحته إلا عن عقيدة واطمئنان بعد إجراء التجارب اللازمة للتأكد من اتفاق ذلك الرأى والقوانين الطبيعية المعروفة وانسجامه معها .

وأما بقية المواد فقد عنى فى دراستها بالكيف لا بالكم . فمقدار المعلومات التى يحصلها التلميذ لا أهمية له . وإنما المهم هو العناية بترقية أسلوبه فى التفكير وبتعويده طرائق البحث. فيكفى فى التاريخ مثلا أن يدرس التلميذ بنفسه أى عصر من العصور (بمناسبة حافزة كتمثيل رواية) يدرسه دراسة مستفيضة عميقة بعناية واهتمام وتحمس تحت إرشاد المعلم فاذا احتاج فى المستقبل إلى دراسة عصر آخر استطاع أن يدرسه بنفسه معتمدا على خبرته السابقة .

والتربية البدنية وما تحتاج إليه من أفنية وملاعب وتنظيمات تنال أكبر قسط من العناية لأنها مجال فسيح لترويض النفس وتهذيب الخلق وتمرين الطالب على حسن المعاملة والتعاون بمعناه الكامل الصحيح . هذا إلى فوائدها المعروفة كسلامة الجسم وصفاء الذهن وهدوء الطبع . وهنا فى المدارس الحديثة يقوم التلاميذ بأنفسهم بجميع الترتيبات الخاصة بها بغير تدخل ما .

خامسا — تبدو على تلاميذ المدرسة الحديثة إشارات تنم عن السرور والمرح والسعادة وإشارات أخرى تنم عن الرجولة وقوة الشخصية والاعتزاز بالنفس . كما أن تصرفاتهم تكشف عن بعد فى الأفق وسعة فى الحيلة وسرعة فى البديهة ومرونة تعينهم على إحسان التصرف فى كل موقف ، والتخلص من كل مازق ، هذا إلى أنهم يكونون أغزر مادة فى كل العلوم لأن ما حصلوه منها قد ثبت فى عقلهم واستقر فى ذهنهم للحافز الذى حملهم على تحصيله واللذة التى وجدوها فى الحصول عليه .

ولعل خير ما نختتم به هذه الفقرة ذكر الغرض الذى وضعته نصب عينها الهيئة الدولية المعروفة برابطة التربية الحديثة التى أتشرف برياسة فرعها المصرى . وهذا الغرض هو نشر الاصلاح التعليمى وترقيته بحيث يستطيع كل طفل فى العالم أن يتلقى التربية الكفيلة باظهار شخصيته على أكمل وجه ، وتنميتها نموا متزنا ، وإعداده لإدراك التبعات التى يلقيها على عاتقه المجتمع واضطلاعه بها على خير وجه .

هذا كله عن المدرسة . ولكن البيت أيضا عامل من أهم العوامل فى التربية . والتربية الحديثة لا تقيم العلاقة فيه على مجرد السلطة والاحترام وإنما على الحب والثقة والتعاون والصراحة. فالوالد يتخذ من ولده صديقا والبنت تتطلع إلى أمها كمعاونة وملهمة . فبعد أن كان الولد يجلس منزويا فى ركن من الأركان مكتفا لا يتكلم إلا إذا أذن له أصبح للولد حرية تبيح له أن يجلس كيفما شاء فى حدود الأدب المعقول وأن يشترك فى المناقشة ما دام حريصا على آدابها متبعا قوانين المجتمع وأصبح الوالد يصارح ابنه والأم تفاتح بنتها فى مواضيع على جانب عظيم من الأهمية كالمسائل الجنسية التى يحتاج الفتى والفتاة فيها إلى إرشاد دقيق من أكثر الناس عطفا . هذا من جهة ومن جهة أخرى أدرك الوالد أن من أسس التربية الحديثة أن العقاب الرادع للطفل ليس إيلامه بالعصا وإنما الحيلولة بينه وبين إشباع رغباته والحد من نشاطه . فالولد يجد عقوبة رادعة فى عدم تمكينه من شراء قطعة خشب لازمة لمشروعه أو منعه من استعمال آلات النجارة لتهيئة نموذج يرغب فى إعداده أو حبسه عن رؤية فيلم جديد متصل بعمله الدراسى وهكذا .

بل إن الحكومة نفسها أخذت تنظر إلى العقوبات بل والمحاكمات نظرة عاطفية تأديبية جديدة فى ضوء المباحث النفسية الحديثة . فالسجون تحورت إلى صورة تصلح من نفس المسجون وتؤدى إلى خروجه من السجن وقد اختفت فيه نزعات الشر وحلت محلها نزعات الخير .

وتتجلى هذه الظاهرة بنوع خاص فى معالجة الأحداث من المجرمين فإن كلا منهم يكون محل دراسة خاصة بواسطة اخصائى اجتماعى منم بقواعد علم النفس تقدم نتيجتها إلى القاضى الذى سينظر فى القضية. والاصلاحيات التى يرسل المذنب من الأحداث إليها هى الأخرى قد أصبحت أمكنة دراسة نفسية . وأصبح برنامج العمل فيها لا يوضع إلا بعد استشارة الاخصائيين فى علم النفس الحديث .

وليس هذا التقدم بالشىء الكثير الذى نرجوه فعلم النفس إلى الآن لم يحظ بالمكانة التى تجب له ولم يشغل المجتمع بعد كما ينبغى، وإنا لنرجو فى المستقبل القريب تقدما عظيما يؤدى إلى الانتفاع بعلم النفس فى كل ناحية من نواحى المجتمع، وإنا لنرجو أيضا أن تساهم مصر فى هذه الحركة بأكبر قسط وأن يكثر فيها عدد المشتغلين بعلم النفس فى البلاد، إذ أن عددهم فى الوقت الحاضر لا يتجاوز عدد أصابع اليد وأن تقام دعائم الاصلاح الثابتة على أساس بحوثهم الخاصة حتى يتهيأ كما نرجو رابطة التربية الحديثة لكل طفل مصرى أن يتلقى فى جميع نواحى المجتمع التربية الكفيلة باظهار شخصيته على أكمل وجه والمؤدية الى إضطلاعه بأعبائه على أحسن صورة .

عبد السلام الكردانى

نحو آفاق جديدة
وفى طريق العدل الاجتماعى

بقلم الأستاذ سيد قطب

"وتحقيقا لمساواة فى تخفيف عبء الضرائب على جميع المكلفين وتيسيرا لصغار الفلاحين وملاك الأراضى الزراعية الذين يعفون من عبء ضريبة الأطيان ما يثقل كواهلهم فى حين أن غيرهم من المولين قد شرع لمصلحتهم حد أدنى لا يصح فرض الضريبة عليه . ستقدم لكم حكومتى فى ميزانيتها المعدلة مشروعا يعفى بمقتضاه من ضريبة الأطيان إعفاء كاملا جميع الفلاحين وصغار الزراعيين الذين يدفعون حسين قرشا فأقل من الأموال الأميرية ، وفوق ذلك ستزاد نسب التخفيض لغير هؤلاء من الزراعيين الذين تجاوز الضريبة المربوطة على أطيانهم مبلغ الخمسين قرشا على الوجه الذى سيبين بمشروع الميزانية المعدل . ويبلغ عدد صغار الزراع الذين سينتفعون من الاعفاء الكامل من ضريبة الأطيان ٥٠٨و٢٧٩و١ وعدد الذين سينتفعون من نسب التخفيض جميعها ٧٠١و٤٢٥و٢ من الزارع"

خطاب العرش

لم يكن بد من أن تخطو الحكومة المصرية هذه الخطوة الموفقة التى تشير بها الحكمة والنظرة الى المستقبل كما تشير بها حقائق الواقع الراهن منذ زمن بعيد ، و إذا كانت الوزارة الحاضرة هى التى خطتها فى وقت متأخر جدا عن موعدها الطبيعى فهو توفيق ينبغى إن يحسب لها بلا جدال ، وهى خطوة فى طريق الإصلاح الاجتماعى يمكن عدها أولى الخطوات العملية ذات النتائج الملموسة .

ذلك أن المشكلة الاجتماعية فى مصر هى فى حقيقتها مشكلة اقتصادية قبل كل شىء فهبوط الدخل الفردى الى هـذا المستوى الذى يندر نظيره عند أفقر الشعوب هو السبب الأصيل لجميع الأمراض الاجتماعية على وجه التقريب اذا استثنينا فساد الحكم فى عشرات القرون الماضية وماجره من آفات خلقية ونفسية ، إن لم يكن هذا الفساد نفسه هو السبب المباشر لسوء توزيع الثروة وللمشكلة الاقتصادية التى يعانيها الملايين من السكان .

ولبيان هذه المعانى نذكر (أولا) أن المرض والجهل والجريمة والتشرد وما إليها إنما هى مظاهر لعلة أصيلة هى الفقر وهبوط مستوى الدخل الفردى إلى ثلاثة جنيهات فى العام فى بعض الأوساط ، مع وجود غنى فاحش ودخل خيالى فى بعض الأوساط الأخرى ، مما

يجعل جميع القوى : المال والصحة والعلم — فى جانب ، وجميع الآفات : الفقر والمرض والجهل — فى جانب آخر ، فلا تتعادل كفتا الميزان الاجتماعى ، ولا يتحقق الانسجام الواجب بين الطبقات .

ونذكر (ثانيا) أن سوء توزيع الثروة الذى نشأت عنه هذه الأوضاع جاء أثرا لسوء توزيع السلطة فى الأجيال الغابرة ، وبتعبير آخر لفساد الحكم الذى جعل الطبقات العاملة (الفلاحين والعمال) طبقة تشبه منبوذة ينظر اليها باحتقار وتهدر حقوقها فى الملكية وفى الأجور ، وجعل الفرسان والفاتحين والحكام يستأثرون بكل المغانم : بالنفوذ والغنى والاحترام ، فتضخم ثرواتهم ويرثها أبناؤهم واحفادهم ، ويتالها بالتبعية المقربون منهم وا تملقون لهم ، فتفشو بذلك — فوق مظاهر الاختلال الاقتصادى والاجتماعى — أخلاق العبيد من الذل والملق والكذب الدسيسة والوقيعة فى جانب ، وأخلاق المستبدين من الكبرياء والأثرة والبغى واللهو والترف فى الجانب الآخر .

وميزة هذه الخطوة الجديدة التى تخطوها الحكومة المصرية اليوم أنها تشير ببدء الاتجاه الى إصلاح هذين الأمرين فى آن واحد . فهى (أولا) بدء العلاج لمشكلة انحطاط الدخل عند طائفة لا يستهان بها من صغار الملاك أورد خطاب العرش تعدادهم . وهى (ثانيا) بدء العلاج لمشكلة النظرة العالية لطبقة صغار المزارعين أو للطبقات الفقيرة على وجه العموم . فهى من هذه الناحية وتلك من معالم الطريق نحو آفاق جديدة فى العدالة الاجتماعية . ومن هنا تجىء قيمتها غير المحدودة ، وإن كان أثرها المادى محدودا بما يناسب الخمسين قرشا التى حطتها عن كواهل هؤلاء المعوزين .

هذه الخطوة إذن لن تمحو الفقر الذى تعانيه طبقة صغار الملاك ممن يملكون فدانا أو أقل وإن كان فقر هؤلاء أخف وطأة من فقر الطبقة التى تليهم والتى لا تملك شيئا أصلا وعددها يقرب من ستة ملايين يعيشون على الأجور المنخفضة التى لا يتجاوز مجموعها ستة جنيهات فى العام ، ولكنها ستخفف هذا الفقر ، فهذه الخمسون قرشا تساوى أجر نصف شهر وتساوى ثمن عشرة أرطال من اللحم هى مئونة عام كامل لدى هذه الطبقات ، وتساوى ثمن ستة أرطال من السمن هى مئونة بيت من هذه البيوت فى السنة كذلك ، وتساوى أشياء لا يتصورها السادة المترفون وهم سابحون فى عالمهم الجميل ! .

وأهم من هذا كله أن لها معنى أدبيا وهو محاولة تحقيق العدل الاجتماعى فى أضيق الحدود هذا العدل الذى فقدته مصر عشرات الأجيال فأورثها هذا الاختلال فى الاقتصاد والصحة والعلم ، وهذا الاضطراب الاجتماعى الذى تشكو منه فى كل جانب . والذى يشبه الحلقة المفرغة لا يدرى المصلح الاجتماعى من أين يبدأ فيها الإصلاح .

* * *

ولكن هذه الخطوة حملت الخزانة العامة مليونا ونصف مليون من الجنيهات، كما أن هناك خطوة قبلها وهي شراء القمح والذرة بأثمان مرتفعة و بيعها للمستهلكين بأثمان معتدلة كلفت الخزانة نحو مليون آخر، وستشترى الحكومة مقدارا كبيرا من قمح الموسم الحالى ثم تبيعه بنفس النظام، وسيكلفها هذا قدرا كبيرا من المال .

فكيف تستطيع الميزانية مواجهة هذا كله مع ما يطلب إليها فى مثل هذه الأحوال الاستثنائية من مصروفات وما يحيط بأبواب الإيراد من مفاجآت لا يستطيع أحد ضبطها؟ نعم إن الميزانية قدمت متوازنة ولكن هذا لا يعنى أنها فى غير حاجة الى المرونة التى لا بد من تحقيقها فى هذه الظروف الاستثنائية بالذات .

لا بد إذن من التفكير فى تعويض الخزانة العامة عما فقدته بسبب هذه الاجراءات التى لم يكن منها بد كذلك، ومن تحقيق المرونة فى أبواب الايراد بعد ما كانت هذه التكاليف سببا فى ضغط الميزانية ضغطا شديدا . أى انه لا بد من إيجاد باب آخر من أبواب الإيرادات .

وهذا القلم الذى يفخر بأنه كان أول قلم جهر بضرورة فرض "ضرائب متدرجة" على النسق المعمول به فى انجلترا فى وقت كان مجرد الهمس بهذا الاقتراح يعد أمرا محظورا فى دوائر الصحافة ودوائر السلطة، والذى يشعر صاحبه بكثير من الفرح والثقة وهو يرى اقتراحه تتدارسه الآن دوائر واقلام رسمية وغير رسمية. هذا القلم يجد فى ذلك الاقتراح المخلص الوحيد والمنفذ الفريد لتعويض الخزانة عما فقدته وما احتملته من تكاليف غير عادية تقضى بها الظروف الطارئة وتقضى بها العدالة الاجتماعية .

والوقت الحاضر هو أنسب الأوقات لتعديل قواعد الضرائب والرسوم على أساس التدرج فى التكاليف بنسبة تدرج الدخل، فالوقت الحاضر هو الوقت الذى تشترى فيه الحكومتان المصرية والانجليزية محصول القطن بثمن مناسب ينتفع بمعظمه كبار الملاك وكبار الممولين والتجار؛ وهو الوقت الذى تشترى فيه الحكومة لمصرية محصول القمح بأثمان عالية — وتحتمل الفرق بين سعرى الشراء والبيع — والأموال المتحصلة ينتفع بها كبار الزراع؛ وهو الوقت الذى تشتغل فيه المصانع والمعامل بأقصى قوتها وتبيع منتجاتها بأثمان باهظة تدخل خزائن كبار الممولين، وهو الوقت الذى يتلاعب فيه التجار بالأسعار و يبهظون فيها ويستصفون بها أموال المستهلكين فى غير ما رحمة ولا إشفاق .

ثم تبقى هذه الأموال كلها فى داخل المملكة فتكثر النقود المتداولة والمختزنة، مع قلة السلع المعروضة وصعوبة الاستيراد، فتقترب بسبب هذين العاملين من التضخم الوخيم العاقبة وتزيد حدة الغلاء بسبب ارتفاع قوة القدرة على الشراء عند بعض الأفراد و بعض الطبقات،

فتعانى الطبقات المحدودة الايراد كالموظفين والعمال وصغار الزراع مشقة الغلاء الفاحش ونفاد السلع فوق الغلاء .

فالمصلحة الاقتصادية إذن قبل كل شيء ، تقتضى تخفيض قوة الشراء عند بعض الطبقات ورفعها عند بعض الطبقات ، وإلى هذا المعنى أشار وزير المالية الانجليزية فى إحدى خطبه حينما قرر أن أقصى دخل فردى فى انجلترا اليوم ، بعد استيفاء ضريبة الإيراد والضريبة الإضافية — لايتجاوز عشرة جنيهات فى الأسبوع وأن هذا هو السبب فى عدم التضخم وعدم ارتفاع الأسعار إلى درجة غير محتملة مع النفقات الهائلة التى يتطلبها المجهود الحربى .

فالضرائب المتدرجة هى الكفيلة بعلاج الموقف كله : إذ هى تعفى صغار الملاك والموظفين والعمال من الضريبة إعفاء تاما ، وتخفف عن كاهل الأوساط من الناس تخفيفا مناسبا ، وتحمل كبار الملاك والمولين بعض الأعباء المتزايدة بنسبة إيرادهم ، وبذلك ترتفع مقدرة الأولين على الشراء فتتحسن حالتهم الاقتصادية والصحية ويرتفع مستواهم الاجتماعى ارتفاعا معقولا ، وفى الوقت ذاته تخفض قليلا من مقدرة الأغنياء على الشراء فتتناسب إلى حد ما قوتا العرض والطلب فى الأسواق وتخف وطأة الغلاء ، ثم تحقق فوق ذلك مرونة الميزانية ومقدرة الخزانة العامة على مواجهة الطوارئ التى لا مفر من مواجهتها فى مثل هذه الأزمات .

* * *

وبعد هذا كله يجب أن نذكر أن الميزانية المصرية لم تكن ولن تكون فى المستقبل القريب متوازنة توازنا حقيقيا ، فالميزانية الحكومية هى التى تبدو متوازنة كل مرة ، ولكن هذه الميزانية ليست مظهرا حقيقيا لميزانية الأمة ، ولن تصبح كذلك إلا يوم أن يتحقق التوازن الاجتماعى فى أبواب الإيرادات والمصروفات .

ولتوضيح هذا الكلام نذكر عدة ظواهر لعدم التوازن الاجتماعى فى الميزانية ، لعل هذا الإيضاح أن يرسم معالم وأهدافا تسير اليها السياسة العامة فى خلال السنوات العشر القادمة ، فما تستطيع أية وزارة أن تتبع سياسة الطفرة لإيجاد هذا التوازن فى أقل من هذا المدى المعقول .

وأول ظاهرة أن إيراد ضرائب الجمارك ورسوم الإنتاج يكاد يصل الى عشرين مليونا من الجنيهات . ونحن لا نتبع سياسة اجتماعية فى فرض هذه الضرائب والرسوم كما تصنع انجلترا مثلا ، فلا نلاحظ اعفاء الضروريات منها أو تخفيفها عنها مع زيادتها زيادة كبيرة على الكماليات . ومعنى هذا أن المستهلكين وأكثر من تسعة أعشارهم فقراء ، هم الذين يقدمون للخزانة العامة هذه العشرين مليونا من الجنيهات .

فإلى أن نصل إلى إعفاء ضروريات الفقراء من الرسوم أو تخفيفها تخفيفا شديدا مع تعويض الميزانية عن هذا النقص بزيادة الرسوم زيادة كبيرة على كماليات الأغنياء ستبقى الميزانية الحقيقية للشعب غير متوازنة لأن الميزانية الحكومية تتوازن على حسابها .

والظاهرة الثانية أن الايرادات العالية لا تؤدى للخزانة العامة نصيبها الصحيح من الايرادات إذ هى تؤديها بنفس النسبة التى تقوم بها الايرادات الصغيرة والمتوسطة ، فى حين أنها تنتفع من مجهود الدولة ومن أبواب المصروفات بنسبة أعلى مما تنتفع به هذه ، فالمنتفعون بأعمال الرى والصرف مثلا — وهى تشمل قسما كبيرا من المصروفات — هم كبار الملاك ، والمنتفعون فى المقدمة بالتمثيل القنصلى هم كبار المستوردين والتجار ، والمنتفعون بأكبر المرتبات هم كبار الموظفين . . . وهكذا .

فإلى أن نصل الى تحميل كل طبقة من الايرادات العامة ما يوازى ما تنتفع به من المصروفات العامة ستبقى الميزانية الشعبية غير متوازنة ولو توازنت الميزانية الحكومية فى ظاهرها .

والظاهرة الثالثة أن المصروفات العامة لا توزع بنسبة عدد المنتفعين بها بل بنسبة ثروتهم ومكانتهم الاجتماعية ، فنصيب الخدمة الاجتماعية فى الميزانية العامة محدود تشهد به ميزانية وزارة الشؤون الاجتماعية وميزانية وزارة الصحة ، وهما الوزارتان اللتان تقومان قياما مباشرا بهذه الخدمة ، ويشهد به ما ينفق على الأحياء الشعبية والأحياء الارستقراطية فى مدينة كمدينة القاهرة من أعمال الصيانة والتجميل ، ويشهد به ما ينفق على المئات من طلاب الجامعة والبعثات الخارجية وما ينفق على الألوف فى التعليم الالزامى ، بل تشهد به نسبة المجانية فى المدارس المصرية لأولاد الفقراء ؛ ويشهد به كل باب من أبواب المصروفات على وجه التقريب .

فإلى أن تصل ميزانية وزارتى الشؤون الاجتماعية والصحة الى عشرة أمثالها اليوم ، وتتعادل النسبة بين ما ينفق على مصالح الفقراء ومصالح الأغنياء فى الميزانية ستبقى الميزانية الشعبية غير متوازنة فى حقيقتها .

* * *

إن حزب العمال الانجليزى قد هدف نحو الاشتراكية الصريحة ، وانجلترا هى أم الديمقراطية المحافظة . فلا أقل من أن تهدف مصر نحو الضرائب المتدرجة ونحو التوازن الاجتماعى ولو بخطوات بطيئة ، ولتكن خطوة إعفاء صغار الملاك هى الخطوة الأولى نحو هذا الهدف العادل المطلوب .

سيد قطب

قوة الكلمة

والإصلاح الاجتماعى فى مصر

للكلمة" قوتها التى لاترد ، وحياتها التى لاتموت ، وقد بقيت للكلمة قوتها حتى فى عصر البخار والكهرباء وعصر المواد والآلات ، لأنها تنبع من القوة الأزلية التى لاحدود لقدرتها من زمان أو مكان .

والفكرة الحقة لا يمكن أن تموت ولو عارضتها جميع القوى الآدمية الدنيوية ، ولابد أن تتلاشى أمامها قوى المال والجاه والسلطان وقوى الجوارح والأبدان ، وقد تتوارى فترة من الزمان أمام المعارضة القوية ولكنها تعود للظهور بأقوى مما توارت مادام الإيمان يشد أزرها ويمدها بنفحة البقاء والدوام .

وكل مابلغته الإنسانية حتى اليوم من رقى عقلى أو وجدانى أواجتماعى ، بل كل مابلغته من رقى فى الحضارة المادية إنما كان مرده إلى قوة الكلمة التى تسبق الحاضر إلى المستقبل وتشير إلى الأفق البعيد فتهدف إليه الإنسانية مهما اعترضتها العوائق والصعاب .

وفى حدود ضيقة يمكننا تطبيق هذه الحقيقة على الدعوات الاجتماعية التى تنبعث فى مصر الآن ، فطالما عيب علينا أننا نكثر من الكلام ، بينما نحن لانزال فى حاجة إلى الكلام ، ولا نزال فى المرحلة الأولى من بيان حاجات المجتمع الجديد ، وأهدافه التى نريد .

وقد كان للكلام حتى اليوم آثار لم تبلغ أقصى الآمال ، ولكنها وضعت المعالم فى الطريق أمام السالكين ، وسيظل الكلام يقيم هذه المعالم ويحقق بعض الخطوات حتى نصل إلى الهدف المقصود .

إن الكلام هو الذى أنشأ وزارة الشؤون الاجتماعية لتقوم على إصلاح المجتمع المصرى الذى حطمته الأحداث ونخرته الآفات ، وهى وزارة ناشئة محدودة الموارد ولكنها صنعت شيئا كثيرا فى خلال فترة قصيرة ، ولو لم تكن قد صنعت شيئا إلا أن تكون شارة ترفرف فتلفت الأنظار إلى وظيفتها فى الإصلاح الاجتماعى لكفاها ذلك فى أيامها المعدودة .

والكلام هو الذى جعل الكثيرين من باشواتنا وكبار ممولينا يمنون بالطبقات الفقيرة — ولوعناية كلامية — فليس بالقليل أن يتحدث رجال من طراز صدقى باشا وعبود باشا وعلى الشمسى باشا وسواهم من أعضاء اتحاد الصناعات عن ضرورة العناية بهذه الطبقات !

والكلام هو الذى جعل إعفاء صغار الملاك من الضريبة العقارية يقابل بالتصفيق والترحيب من جميع الأوساط ، بعد ما كان مجرد التفكير فى هذه الاتجاهات يعد تفكيرا "شيوعيا" ! فالحكومة اليوم تخطو هذه الخطوة الطيبة الموفقة بين ضجيج الاستحسان . والفضل فى هذا التحول راجع إلى الكلام !

والكلام هو الذى جعل فكرة فرض ضرائب متدرجة تصبح نظرية تكاد تكون مقررة يسلم بها الجميع ويتحدث بها المسئولون عنا دون أن يتهموا بما اتهمت به وزارة سابقة وهى تقدم مشروع قانون بإعفاء صغار المستأجرين من الحجز على قوتهم وفاء لإيجار الأطيان .

والكلام هو الذى سينهى فى هذه الدورة — إن شاء الله — مشروع قانون ضريبة التركات ومشروعات القوانين العمالية التى طال انتظارها ، والتى ظلت تتعثر سنوات وسنوات لأنها تمس برفق بعض المصالح غير المشروعة لبعض الطبقات !

والكلام هو الذى سيحقق كفالة العدل الاجتماعى فى النهاية توزيع المغانم والمغارم بين جميع الطبقات ، وقد بدأت بوادر هذا الاتجاه فى إعفاء صغار الملاك من الضريبة وفى رفع الحد الأدنى لأجور العمال إلى خمسة قروش فى اليوم ، وفى مبادرة الشركات والدوائر لتلبية هذا القرار العادل المعقول .

فاذا أدركنا قوة الكلمة فيجب أن نحسن استخدامها ، وقد كان وجود وزارة الشئون الاجتماعية سببا فى تنبيه هذه القوة وتجريدها وتوجيهها إلى أهدافها ، ولكنا لا نزال فى أول الطريق ، وفى الاستطاعة زيادة النفع بهذه القوة غير المحدودة .

إن الدين والأدب والإحصاءات والدراسات الاقتصادية والصحية وسواها يمكن أن تتساوق وتتلاقى فى طريق التوجيه الاجتماعى . وهذه المجلة تؤدى قسطا مهما من هذه الدراسات وتقوم بجزء أساسى من هذا التوجيه ، ولا يزال أمامها المجال فسيحا لأداء هذه الأغراض .

ولكن الصحافة الحرة والجمعيات المنظمة والنوادى الكثيرة تستطيع هى الأخرى أن تقوم بالشىء الكثير متى شعر القائمون بها أن معركة الإصلاح الاجتماعى فى مصر تحتا . إلى التجنيد العام فى هذه المرحلة الحاسمة ، وأن على كل مفكر زكاة يجب أن يؤديها لهذا المجتمع المنكوب .

إن مشاكل الفقر والمرض والجهل ، ومشاكل الأسرة والطفولة ، ومشاكل الأحداث والشبان ، ومشاكل الأخلاق والتعليم ، ومشاكل التعطل والتشرد ، وما إلى ذلك كله من المشاكل المزمنة التى يعانيها المجتمع المصرى ، فى حاجة إلى الدراسة وإلى اقتراح وسائل العلاج وإلى الصيحات المتتابعة التى لا تمل الضجيج والهتاف .

* * *

وإذا نحن مجدنا قوة الكلمة ، فإنما نمجدها لأنها تحقق خطوة العمل ، فاذا نحن وقفنا عند الكلام فلا فائدة إذن فى الكلام ولا جدوى ؛ ومن العبث أن ننتظر نتائج الكلام من الدوائر الحكومية وحدها ، فالتبعة ثقيلة ، والإدارات الحكومية مثقلة ، والأداة الحكومية بطبيعتها بطيئة الحركة ، فيجب أن تنهض إلى جوارها جهود الأفراد وجهود الجماعات ، والخدمة الاجتماعية قد استحالت فى كثير من أمم العالم عملا شعبيا بحتا ، ليس للحكومة عليه إلا فضل الإعانة والإرشاد فى بعض الأحيان ، بل لقد سبقت الجماعات الشعبية جهود الحكومة بعشرات السنوات والمراحل ولم تحتج إلى أية معونة من السلطات الرسمية اكتفاء بمواردها المادية والشخصية .

وفى مصر عشرات الجمعيات ولكنها لا تزال بحاجة إلى أشياء تستكمل بها أدوات النهوض بمهمة الإصلاح . وفى مقدمة هذه الأشياء التخصص ، بحيث تنصرف كل جماعة إلى هدف خاص من أهداف الإصلاح الاجتماعى تدرسه وتتقن دراسته وتنتفع بتجاربها فيه إلى أقصى الحدود .

على أن هـذه الجمعيات لا تزال قليلة العدد محدودة الموارد ، وكثرتها رهينة بنمو روح الخدمة الاجتماعية والإقبال على إنشاء الجماعات بوفرة . وتوافر مواردها رهين بنهضة كل فرد بواجبه . هذا بماله وذاك بفكره وذلك بوقته . ولو أن كل قادر جاد بفضلة من ماله أو وقته أو فكره لغنيت هذه الجماعات ونهضت بما ينهض به أمثالها من خدمات .

ولنا وطيد الأمل فى قوة الكلمة أن تصنع هـذا كله ، وأن تنبه الغافلين وتحفز الوانين . وعلينا أن نتفاءل ولا نتشاءم ، وكل آت قريب بعون الله ولو طال الأمد وبعدت الشقة .

المراكز الاجتماعية وما حققته للفلاح

للدكتور أحمد حسين

مدير إدارة الفلاح

أصبح الفلاح الآن رجل الساعة فى البلاد ، فقد استأثر بكل اهتمام أولى الرأى والمصلحين وملأ الحديث عنه قاعات المحاضرات وأعمدة الصحف حتى كاد يطغى على أنباء الحرب . وإن كان هذا الاهتمام بإصلاح حال الفلاح لم يتحول بعد إلى الناحية العملية التنفيذية فهو على كل حال ظاهرة طيبة لابد أن سيكون لها باذن الله أثرها مع الوقت .

وأعتقد أننى أستطيع أن أوفر على القراء وعلى نفسى الاسترسال فى وصف حالة الفلاح وما وصلت إليه من تأخر، وكل ما أريد أن أكرر التنبيه إليه أن هذا الفلاح الفقير المريض المحروم من التعليم يكون أكثر من ثلاثة أرباع السكان أى غالبية الأمة ، أى أننا عند ما نتحدث عن الفلاح وتأخره وهبوط مستوى معيشته نتحدث فى الواقع عن الشعب المصرى وتأخره وهبوط مستوى معيشته . ولا يغير من ذلك ما نشهده من بعض مظاهر التقدم حولنا فى المدن فهى لا تمثل البلاد ولا يتمتع بها إلا قلة لا تذكر من السكان .

كما أريد أن أنبه الى أن مشاكل الفلاح التى استعصت وتشابكت وأزمنت نتيجة اهمال شأنه ونتيجة عوامل سياسية واقتصادية مدى آلاف السنين لا يمكن أن تعالج بين يوم وليلة كما لا يمكن أن تجدى فى علاجها الحلول المرتجلة التى لا تقوم على أساس سليم من البحث العلمى والتجربة العملية .

وأضرب لذلك مثلا أنه لما أنشئت إدارة الفلاح منذ عامين كان موضوع الشاى الأسود يحتل المكان الأول من اهتمام الرأى العام الذى اعتقد أن الشاى الأسود هو أساس بلاء الفلاح فهو الذى يهدم صحته ويستنفد كل دخله ويحرمه الغذاء والكساء .

وكنا إذا ما طالبنا بأى إصلاح للفلاح كوضع حد أدنى لأجره مثلا كان الجواب أن لا ثمرة فى هذا، لأن الفلاح سينفق الزيادة فى أجره على الشاى الأسود أيضا، وأننا لو قصرنا اهتمامنا على منع هذا الشاى لتغيرت حال الفلاح واستغنى عن أى إصلاح آخر ويبحث هذا الموضوع علميا تبين أنه ليس لهذا الشاى الأسود ضرر صحى يتجاوز ضرر أنواع الشاى الأخرى وأن ما تنفقه البلاد على الشاى الأسود والأحمر والأخضر معا لا يتجاوز فى مجموعه ١/٩ ما تنفقه على الدخان، وبذلك فقدت معركة الشاى أهميتها. وقد قصدت بهذا المثل مجرد التدليل على

قيمة البحث العلمى وخطر التأثر بالظواهر والآراء الطارئة و إنى بالطبع أبعد ما يكون عن التشجيع على استعمال الشاى الأسود فالفلاح أولى بالاستفادة بكل مليم من دخله الضئيل ينفقه فيما ينفعه .

نقطة ثالثة أريد التنبيه اليها فى بداءة هذا المقال، وهى أن أول خطوة فى سبيل اصلاح حال الفلاح هى تغيير اتجاهه العقلى وحالته النفسية، وذلك بأن يشعر بما يحتاج إليه من اصلاح وأن يقتنع بضرورته وأن يسعى لتحقيقه، فلن تثمر مشروعات الاصلاح التى تفرض على الفلاح دون أن يتفهمها و يقتنع بفائدتها و يكون له نصيب فى تحقيقها .

أضف إلى ذلك أن موارد الدولة لن تتسع لتحقيق كل مشروعات الاصلاح إذا قامت بها الحكومة وحدها فمشروع تعميم مياه الشرب يحتاج الى ٢٠ مليونا من الجنيهات، ومشروع القرى النموذجية يحتاج الى ٩٠ مليون جنيه وهلم جرا .

والآن نعود الى موضوعنا وهو المراكز الاجتماعية وما حققته للفلاحين. وأعتقد أن هذا العنوان فيه كثير من التجوز إذ لم يمض بعد على البدء فى تنفيذ مشروع المراكز الاجتماعية إلا نصف عام أو أكثر قليلا، وقد اتفقنا على أن اصلاح حال الفلاح على أساس سليم ليس مما يتيسر تحقيقه فى مثل هذا الوقت القصير وربما كان العنوان الأنسب لموضوعنا : "المراكز الاجتماعية وما بدأت بتحقيقه للفلاح".

وقبل تناول ما بدأت المراكز الاجتماعية فى القيام به من خدمات أرى أن أذكر بايجاز ما هية هذا المشروع :

وضع هذا المشروع بعد دراسة وافية لظروف الريف المصرى واحتياجاته وما قامت به بعض البلاد المشابهة لنا كالهند و بعض دول البلقان فى ميدان الإصلاح الريفى، وكذلك التجارب العملية لإصلاح القرية التى تقوم بها بعض الهيئات فى مصر .

ويقوم المشروع على أسس ثلاثة :

أولا — أن يتناول خدمة الفلاح والقرية من كافة النواحى الاقتصادية والصحية والثقافية والاجتماعية فى وقت واحد، إذ من الثابت أن الخدمة فى اتجاه واحد لا ثمرة لها فما فائدة إرشاد الفلاح الى وسائل النظافة والصحة إذا حال فقره دون القدرة على شراء الصابون كما أن تعليم الفلاحين مع تركهم على ما هم فيه من فقر وجوع قد يضر ولا ينفع .

ثانيا — اقتناع الفلاحين بمزايا الاصلاح وكسبهم للمعاونة على تحقيقه من طريق مساهمتهم المادية فى التكاليف واشراكهم الفعلى فى ادارة العمل اشتراكا يزيد مع الوقت حتى يصبح المركز الاجتماعى هيئة محلية بالقرية يديرها الأهالى بأنفسهم وتكتفى الحكومة بإرشادهم وتوجيههم واعانتهم ماليا فى حدود متواضعة .

ثالثا — مراعاة البساطة وقلة التكاليف حتى يسهل تعميم المشروع.

ويتولى العمل فى كل مركز ثلاثة موظفين يقيمون فى القرية بين أهلها وهم :

أولا — إخصائى زراعى اجتماعى من خريجى كلية الزراعة يلق منهجا خاصا فى الخدمة الاجتماعية الريفية ومهمته العمل على زيادة دخل الفلاحين بإرشادهم إلى اختيار أفضل البذور واتباع أحدث أساليب الزراعة وطرق مقاومة الآفات ، ومعاونتهم فى تصريف حاصلاتهم وتشجيع التعاون بينهم و إدخال مايلائم المنطقة من زراعات مربحة وصناعات زراعية لاستغلال منتجاتهم وصناعات منزلية تمكنهم من استثمار وقت فراغهم بشكل مربح كما تتناول مهمته المعاونة على تحقيق كل مايؤدى إلى رفع المستوى الثقافى والاجتماعى بالقرية .

ثانيا — طبيب يعمل كل الوقت أى ليست له عيادة خاصة ومهمته دراسة القرية دراسة صحية ووضع سياسة لتلافى مابها من عيوب كما يقوم بإرشاد الأهالى إلى طرق توقى الأمراض .

ويتولى هذا الطبيب علاج الفلاحين بالمجان وصرف الدواء لهم بالمجان أيضا سواء فى العيادة الطبية أو فى المنازل عند الضرورة .

ثالثا — زائرة صحية اجتماعية من خريجات مستشفى قصر العينى تلقت تدريبا خاصا فى الخدمة الاجتماعية لريفية وتعنى بصحة الحوامل والأمهات والأطفال كما تعمل على رفع مستوى القرويات بتعليمهن النظافة و إرشادهن اجتماعيا وتلقينهن بعض الصناعات اليدوية النافعة كمصدر دخل إضافى لهن. وتستعين الزائرة فى عملها بدايات القرية الحاليات مع توجيههن والإشراف عليهن ، وقد بدئ بتعليم بعض فتيات القرية التمالحات التوليد والتمريض بمراكز رعاية الطفل وذلك بغية رفع مستوى الخدمة فى القرية عن طريق أهلها أنفسهم .

وأول مهمة لموظفى المراكز الاجتماعية بعد التعرف إلى الأهالى وكسب مودتهم وثقتهم هى بحث حالة القرية بحثا علميا . وعلى الطبيب أن يفحص جميع أهل القرية فردا فردا فحصا طبيا شاملا ، وعلى الإخصائى أن يدرس حالة كل عائلة دراسة اقتصادية اجتماعية كاملة وسيكون لتلك البحوث عند إتمامها قيمتها العلمية والعملية .

والأساس فى عمل هؤلاء الموظفين هو الروح التى تسودهم فهم ليسوا من الحكام بل هم مرشدون و إخوة للفلاحين يقيمون بينهم و يدرسون متاعبهم واحتياجاتهم و يتعاونون معهم على النهوض بأنفسهم وقريتهم وليس لهم من سلطان أو نفوذ إلا بقدر مايكتسبون من ثقة ومحبة ، فطبيب المركز مثلا يسعى لتلافى أسباب الإصابة بالأمراض و ينير أذهان الفلاحين بأحاديثه معهم و يعنى بعلاج الفقير قبل الغنى ولا يتأخر عن تلبية طلب أصغر فلاح فى أى وقت بالليل أو النهار بلا مقابل ، وهو ينظر اليهم نظرته إلى أهله وعشيرته . عليه أن يقيمهم

ما استطاع من الإصابة من الأمراض، وعليه أن يعالج ويرعى مرضاهم . وقد شاهدت عند زيارتى لأحد المراكز الاجتماعيـة أخيرا مريضا فقيرا يحتاج لعناية متصلة أبقاه الطبيب لديه شهرين يسهر على علاجه ويطعمه من جيبه الخاص .

أما عن منشآت المركز الاجتماعى فتتكون من بهو فسيح للاجتماع وسماع المحاضرات والراديو ملحق بها غرفة للمكتبة القروية واجتماع المجالس واللجان وأخرى للإخصائى . ومن دار لرعاية الأم والطفل تقيم بها الزائرة الصحية، وأخرى لعيادة لطبية ومسكن لكل من الطبيب والإخصائى . كما تشمل تلك المنشآت طلمبات لتوفير المياه النقية وحمامات للرجال وأخرى للنساء .

أما عن تكاليف المراكز الاجتماعية فقد قدرت عند وضع المشروع بثلاثة آلاف جنيه من جانب الحكومة لكل مركز فى السنة الأولى تهبط بعد ذلك إلى ١٠٠٠ جنيه سنويا أى بمعدل عشرة قروش لكل شخص فى السنة نظير خدمات المركز الشاملة على أساس أن كل مركز يخدم ١٠٠٠٠ نفس من أهل الريف وهو مبلغ تافه بالنسبة لقيمة تلك الخدمات .

وقـد خفضت الحكومة بسبب الظروف الحالية الحاضرة الاعتماد الشخصى لإنشاء المراكز الاجتماعية من ١٠٠,٠٠٠ جنيه لثلاثين مركزا إلى ١٥٠٠٠ جنيه لخمسة مراكز .

بعد هذا العرض السريع لأغراض مشروع المراكز الاجتماعية وأسسه ووسائله أود أن أشير ثانية إلى أننا لم نبدأ بتنفيذ هـذا المشروع إلا من منتصف العام الماضى أى أننا لم نزل فى البداية وأمامنا طريق طويل شاق فى العمل المستمر حتى نصل إلى تحقيق الاصلاح المرجو فالمقصود من هذه الكلمة أن أصف بداءة العمل فى المراكز الاجتماعية على ما شاهدناه من بوارق الأمل والنجاح يضاعف إيماننا بسلامة هـذا المشروع ويقوى ثقتنا بأننا نسير فى الطريق السليم وأن اصلاح حال الفلاح أمر ليس بالمستحيل عمليا كما يظن بعض المتشائمين فعلى الرغم مما لاقيناه من مختلف الصعوبات وخصوصا ما سببته الحرب من ارتفاع فى أسعار مواد البناء والأدوات الصحية والحاجيات الطبية وتعذر الحصول على الكثير منها ، بدأ المشروع بنجاح نغتبط له كل الاغتباط .

وضع المشروع على أساس أن يتحمل الأهالى نصيبا من تكاليف المبانى اللازمة كأن يتبرعوا بالأرض والطوب والعمل ، وقد كان تقديرنا هذا مثارا لسخرية الكثيرين الذين لم يؤمنوا بأن الفلاح يدفع قرشا .

والواقع أن الفلاح وإن كان كثير الشك قليل الايمان بموظفى الحكومة بطىء الاستجابة لنداءاتهم فالذنب ليس بذنبه لأنهم لم يشعروه أنهم يريدون خدمته وفهم مصاعبه ومساعدته

فى التغلب عليها، فأكثر ما يلمسه الفلاح الصغير من جانبهم مظاهر التحكم والتعالى والايذاء بالمحاضر والمخالفات دون أن يحاولوا إفهامه مزايا القوانين والأنظمة التى يقومون على تطبيقها.

والفلاح لو فهم وآمن باللين والعطف لما تأخر عن التعاون والسخاء، و بالفعل لمسنا ذلك عندما كررنا زياراتنا للقرى شارحين لأهلها المشروع معتمدين على الايمان والاقناع بعيدين عن أى ضغط أو إكراه وقد تجاوز سخاء الأهالى تقديرنا، ولما علموا بتخفيض عدد المراكز تسابقوا فى كسبها لقراهم وتحمسوا حتى تعهدوا بإقامة المبانى على نفقتهم رغم أن تكاليفها تتجاوز الألفين من الجنيهات و زاد عدد القرى التى أبدى أهلها هذا الاستعداد عن ضعف ما تسمح به ميزانيتنا كما أبدى أهالى ٦٠ قرية أخرى استعدادهم للمساهمة بما لا يقل عن ١٠٠٠ جنيه فى كل جهة .

وليس هذا مجرد وعد كلامى فقط، فقد أوشكت المبانى أن تتم فى أول مركز وهو بناحية هلا مركز ميت غمر وقد بلغت تبرعات الأهالى فى تلك الجهة للآن ١٤٥٠ جنيها وفدانا من الأرض و ١٠٠,٠٠٠ طوبة حمراء جمعت كلها بغير اجبار و بمعرفة لجان مختارة من أهل الجهة أنفسهم .

وتسير عملية جمع التبرعات والمبانى أو "التشوينات" فى بقية المراكز بهمة ونشاط، ولن يمر هذا العام بإذن الله حتى تكون المبانى قد تمت فى الخمسة المراكز الأولى رغم غلاء الأسعار .

و يقبل الأهالى على التبرع والمساهمة فى إقامة المبانى صغيرهم وكبيرهم كل بحسب طاقته وذلك بأن اتفقوا فيما بينهم على فئة معينة عن كل فدان تتراوح بين ٢٠ و ١٠٠ قرش وفقا لحالة كل قرية، كما ساهم غير الملاك كل بقدر طاقته ولم يتأخر عن التبرع حتى أرق أهل القرية حالا. فساهم البناء والنجار والعامل بعملهم أياما معلومة. ومن طريف ماحدث فى أحد المراكز أنه علاوة على التبرعات العادية قام شبان القرية بمناسبة العيد بتنفيذ مشروع القرض للمركز الاجتماعى فى قريتهم بمعدل قرش واحد عن كل شخص وقد استجاب لندائهم ٨٦٠٠ شخص دفعوا مبلغ ٨٦ جنيها مع مراعاة أن أهل هذه القرية أقل عددا من ١,٠٠٠ نفس وقد شهدت بنفسى فى جهة أخرى أن الحماسة للتبرع دفعت مساح أحذية للتبرع بمبلغ جنيه فنصحته شخصيا بتخفيض تبرعه إلى ٢٠ أو ٥٠ قرشا فلم يقبل وأصر على دفع الجنيه . كما تقدمت فلاحة فقيرة بدجاجتها للجنة جمع التبرعات لبيعها وأخذ ثمنها للمشروع .

وفيما يلى بيان بما وصلت إليه التبرعات فى المراكز الاجتماعية حتى نهاية الشهر الماضى:

هلا — و يشمل قرى هلا والقيطون وكفر الشيخ بالدقهلية، و بلغت التبرعات التى دفعت بالفعل فيه ١٤٥٠ جنيها وفدانا من الأرض و ١٠٠,٠٠٠ طوبة حمراء وقد تم إقامة مبنى دار رعاية الأم والطفل والعيادة الطبية وأوشك بناء المركز الاجتماعى أن يتم .

برما — ويشمل قريتى برما وحصة برما بالغربية وبلغت التبرعات به ٨١٤ جنيها وتم بناء دار رعاية الأم والطفل ووصلت مبانى العيادة الطبية والمركز الاجتماعى إلى ارتفاع متر ونصف.

العلاقمه — ويشمل قريتى العلاقمه وكفر موسى عمران بالشرقية وبلغت التبرعات به ٩٠٦ جنيهات وتم شراء منزل يصلح دارا لرعاية الأم والطفل و"شون" ١٢٠,٠٠٠ طوبة حمراء و١٥٠ مترا مكعبا من الزلط والرمل وسيشرع فى حفر الأساس لمبانى العيادة الطبيـة والمركز الاجتماعى قريبا.

أبو النمرس — ويشمل قريتى أبى النمرس وترسا بالجيزة وبلغت التبرعات به ٨٦٢ جنيها و"شون" ٥٢٠ مترا مكعبا من الدبش و٣٠ مترا مكعبا من الجير وأمكن الحصول على فدانين من أملاك الحكومة لإقامة المبانى عليه.

منية الحيط — ويشمل قرية منية الحيط بالفيوم، وبلغت التبرعات به ٥٣٧ جنيها و"شون" ٨٠٠ متر مكعب من الدبش والطوب الأحمر والرمل، و٢٤ مترا مكعبا من الجير الحى وأمكن الحصول على جبانة قديمة ملك الحكومة تزيد مساحتها على ثلاثة أفدنة لإقامة المبانى عليها بعد تمهيدها بمعرفة الأهالى، وتم تمهيد مايزيد عن مساحة فدان ونصف.

محلة زياد — ويشمل قريتى محلة زياد ومحول بالغربية. وقد أمكن انشاء هذا المركز الاجتماعى السادس أخيرا من نفس الاعتماد وبلغت التبرعات به ١٥٠ جنيها، وأمكن الحصول على مساحة ٦٠٠٠ متر من أملاك الحكومة لإقامة المبانى عليها.

وإن كان لهذه التبرعات قيمتها المـادية فى تخفيض نفقات المشروع ممـا يشمل تعميمه فلها ناحيتها الأدبية التى لا تقل عن الأولى أهمية. فهى تحفظ على الفلاحين كرامتهم وتشعرهم بأن المركز الاجتماعى مركزهم يعتزون به ويعملون على نجاحه ويقبلون على الاستفادة بخدماته وهم مرفوعو الرأس موفورو الكرامة.

ولم تسمح حماسة الأهالى للمشروع بالانتظار حتى تتم إقامة المبانى، فنزلوا لنـا مختارين عن أفضل منازلهم بلا مقابل ليبدأ بها العمل ويقيم فيها الموظفون.

بدأ موظفو المراكز عملهم بالتعرف إلى الأهالى وكسب مودتهم وثقتهم واتهاز كل فرصة لتفهيمهم جميعا ماهيـة المركز الاجتماعى وأغراضه ومزاياه واختيار الشخصيات التى تميل لخدمة العامة وتصلح للقيادة للاستعانة بهـا فى العمل. وتمشيا مع أساس المشروع فى اشراك الأهالى فى تولى اعمال الإصلاح كونت فى كل جهة جمعية للمركز الاجتماعى وانتخبت هذه الجمعية من بين أعضائها لجانا تختلف أوجه النشاط وهى:

لجنة الاقتصاد والزراعة — لجنة الصحة والنظافة — لجنة الثقافة والتعليم — لجنة تنظيم الإحسان — لجنة المصالحات — لجنة الإصلاح الدينى.

و يتولى الاخصائى الزراعى ارشاد تلك اللجان وتوجيهها على أن تتدرب على تولى مهامها بنفسها كما يعنى الأخصائى بجمعيات التعاون القائمة بالعمل على تنشيطها وتنظيمها وإنهاض الضعيف منها، وانشاء جمعيات نموذجية على أسس سليمة حيث لا توجد جمعيات. وسنتناول فيما يلى أهم الخدمات التى أدتها المراكز الاجتماعية :

الخدمات الاقتصادية :

أولا — تحسين الإنتاج الزراعى — نجح الإخصائيون فى توجيه الأهالى نحو تحسين انتاجهم بإرشادهم واقناعهم باستعمال أحسن أصناف التقاوى التى لا تصل عادة إلى صغار الزراع كالقمح المبروك فى ناحية برما و بذرة القطن الأشمونى الممتاز فى قرية أبى النمرس والمطن الكرنك فى محلة زياد . كما تناول نشاط الإخصائى إدخال أساليب الزراعة الحديثة كزراعة الذرة بالنقر فى أبو النمرس ، والأرز بالشتل فى حلا ، والقطن بالضرب بالعصى والرمل فى كل المراكز .

ونجح الإخصائيون فى حث الأهالى على تنظيم جهودهم فى مقاومة الآفات الزراعية فنجحت مقاومة دودة ورق القطن عن طريق الأهالى فوفرت قرية برما مثلا مالا يقل عن ثلاثة آلاف جنيه كانت تتكلفها للتراحيل الحكومية سنويا .

وقد وافقت وزارة الزراعة على إنشاء حقل صغير نموذجى لكل مركز اجتماعى يشرف عليه الإخصائى وذلك لاستكمال الناحية العملية والنموذج المدروس فى الارشاد الزراعى .

ثانيا — إدخال زراعات جديدة — أمكن اقناع الأهالى بزيادة مساحة زراعة الخضر بدلا من القطن ، مثال ذلك أن زادت مساحة الخضر ٩٠ فدانا فى ناحية أبى النمرس . كما أمكن ادخال زراعات جديدة مربحة لأول مرة فى قرى المراكز الاجتماعية كالبطاطس فى العلاقمة وبرما ، والخرشوف والبسلة والكتان بأبى النمرس ، والعنب والبرتقال بالعلاقمة والأشجار الخشبية بكميات كبيرة بكافة المراكز مما شجع على انشاء مشتل صغير بكل قرية لمد الأهالى بما يحتاجون اليه من أشجار مستقبلا . وقد غرس كثير من تلك الاشجار فى مداخل وطرق القرى لتجميلها والاستفادة بظلها .

ثالثا — تربية الماشية والدواجن — استجاب بعض الأهالى لنصح الإخصائيين بتربية العجول على نطاق واسع لغرض بيعها للذبح ، وتم ذلك فى برما ومنية الحيط . كما نجحت الجهود التى بذلت فى تحسين نوع الدجاج باستيراد الأصناف الممتازة من وزارة الزراعة وتم مشترى حوالى ١٢,٠٠٠ كتكوت من نوع الفيومى اللجهورن لخمسة المراكز حتى الآن.

وقد تم الاتفاق مع وزارة الزراعة على استبدال الديكة الحالية بقرى المراكز بديكة ممتازة من الفيومى واللجهورن دون مطالبة الفلاحين بفرق الثمن ؛ و بذا سيتغير نوع الدجاج ووزنه

وانتاجه للبيض تغييرا كبيرا يؤثر على دخل صغار الفلاحين تأثيرا ملموسا ، إذ يبلغ ماتعطيه الدجاجة الواحدة من الجهورن سنويا ٢٢٠ بيضة كبيرة الحجم ، فى حين أن انتاج الفرخة البلدية لايتجاوز ١٦٠ بيضة صغيرة الحجم .

وقد وافقت وزارة الزراعة على تسليم كل مركز اجتماعى أربعة طلائق ممتازة من الجاموس والبقر والحمير والأغنام لتحسين سلالات الماشية فى المنطقة وللتدليل على قيمة تحسين نوع السلالات نذكر أن متوسط إدرار الجاموسة العادية للبن يبلغ حوالى ٨ أرطال يوميا فى حين أن إدرار الجاموسة من السلالات المنتقاة ببعض مزارع وزارة الزراعة تصل إلى ٤٠ رطلا يوميا فلو وصلنا ولو إلى نصف هـذه الكمية فى إدرار جاموسة الفـلاح العادى لكان معنى ذلك زيادة إنتاجه من اللبن إلى ٢٥٠ ٪ من الكمية الحالية .

ومعلوم أن صغار الفلاحين يعتمدون فى معاشهم على مثل تلك الموارد الإضافيـة أكثر من اعتمادهم على أجورهم أو ما يتبقى لهم من إيراد الأرض بعد سداد إيجارها المرتفع بل كثيرا ما لا تكفى هذه الغلة لسداد الإيجار فيوفون الباقى من ثمن الجبن والزبد والبيض .

رابعا — الصناعات الزراعية والمنزلية — أمكن إدخال تربية دودة القز لإنتاج خيوط الجراحة لأول مرة فى قرى المراكز كلها كما حصلنا من وزارة الزراعة على كميـة من أشجار التوت لكل مركز ، وذلك توطئة للتوسع فى التربية مستقبلا ويهمنى أن أنوه بأن العائلة التى تربى نصف علبة فقط من بويضات دودة القز تحصل عليها بالمجان ولا تكلفها التربية أكثر من العناية بالنظافة وجمع جانب من أوراق التوت لغذاء الديدان تحظى فى نهاية موسم التربية الذى لا يتجاوز شهرين بربح لا يقل عن أربعة جنيهات ثمنا لخيوط الجراحة الناتجة وهـذا المبلغ يعادل دخل العامل الأجير طول العام .

وقد أمكن إقناع مربى النحل فى هـلا وهم كثيرون باستعمال الطرق الحديثة النظيفة فى استخراج وتصفية عسل النحل بمعاونة وزارة الزراعة ، والمنظور أن يحصل هؤلاء المربون (تجربتنا من تجارب سابقة) على أكثر من ضعف الثمن لعملهم العادى دون تحمل أى نفقات جديدة أو مجهود سوى العناية والنظافة .

وتمت دراسة مشروع مصنع ريفى للكانس وآخر للدواسات من الليف وثالث للعجوة النظيفة فى أبى النمرس وعملت التجارب اللازمـة وسيبدأ العمل فى تلك المصانع قريبا وللتدليل على أهميـة تلك الصناعات الصغيرة أذكر أنه عند صنع عينات العجوة النظيفة وبيعها فى السوق بأقل من السـعر السائد تبين أن الفلاح يحصل بهذه الطريقة على ثمن يزيد بمقدار ٤٠ ٪ عن ثمن العجوة العادية بعد كل التكاليف وتظهر قيمة هذه الزيادة إذا لاحظنا أن بتلك القرية ٦٥,٠٠٠ نخلة ، ويلاحظ أن مصر تستورد سنويا من الخارج عجوة بما يزيد عن ٧٠,٠٠٠ جنيه .

وقد بدئ بشراء أنوال نسيج يدوية لتعليم الفلاحين تلك الصناعة المنزلية لاستغلال أيام تعطلهم وأوقات فراغهم بشكل مثمر يزيد دخلهم الضئيل و بدئ كذلك فى إدخال صناعة الجريد لإنتاج الكراسى والأسرة والأقفاص فى نواحى أبو النمرس والعلاقمة ومنية الخيط .

وتتولى الزائرات الصحيات تعليم فتيات القرى أشغال الصوف والإبرة والتريكو لصنع الطواقى والمفارش والشيلان وغير ذلك من المنتجات التى يسهل تصريفها بشكل مربح، وقد بدأت فتيات أبو النمرس والعلاقمة ومنية الخيط بإنتاج بعض الأصناف الصالحة للسوق .

وأرجو ألا نستهين بقيمة وأهمية تلك الصناعات المنزلية الصغيرة كوسيلة لزيادة دخل صغار الفلاحين ومكافحة فقرهم وهو أس ما هم فيه من بؤس وشقاء ، فالفلاح يعمل يوما ويتعطل آخر وليس لزوجته ما يشغلها من طهى ألوان الطعام المختلفة أو حياكة الملابس الكثيرة أو العناية بنظافة فاخر الأثاث فقد أراحها الفقر من هذا كله ، وبضعة قروش تكسبها الأسرة فى الأسبوع من أية صناعة إضافية كالغزل والنسج أو غير ذلك تفرج من ضيقها وتغير من حالها .

وقد سبقنا كبار المصلحين الريفيين فى الهند و اعتمدوا بنجاح على نشر الصناعات المنزلية فى القرى كخير وسيلة لمكافحة الفقر .

الناحية الصحية — كانت أول خطوة فى هذه الناحية دراسة حالة القرى ووضع السياسة اللازمة لتوفير البيئة الصحية فيها كتوفير مياه الشرب والحمامات ودراسة حال البرك الموجودة وأفضل خطة للتعاون على ردمها وحالة دورات مياه المساجد وخير الطرق لإصلاحها وحالة مآخذ المياه الحالية فى القرى وطرق تصريف الفضلات وغير ذلك وقد وجهت لنظافة القرى — طرقها ومنازلها وأشخاص سكانها — أكبر عناية ، فهناك دعاية مستمرة لحث كل عائلة على تنظيف دارها من الداخل وما يقع أمام الدار من الطريق ، ويمر الإخصائى والزائرة يوميا لهذا الغرض يعاونهم فى ذلك أعضاء لجنة الصحة والنظافة الذين قسموا القرى فيما بينهم إلى مناطق اختص كل منهم بإحداها وقد شكلت لجان من تلاميذ المدارس لمراقبة نظافة الطرق ومن التلميذات لمراقبة نظافة المنازل من الداخل وللتفوقين من أعضاء تلك اللجان شارات خاصة يعتزون بها ويحرصون على مداومة الاحتفاظ بها لأن النظام الموضوع يقضى بسحب الشارة من كل من يهمل، ويتم منح وسحب تلك الشارات فى اجتماعات هامة بالمدارس يحسب لها هؤلاء الصغار كل حساب .

وقد اختفت تقريبا أكوام الأسمدة والأتربة والقاذورات من الطرق وارتفع مستوى نظافة المنازل ارتفاعا ملحوظا .

وتلقى المدارس عناية صحية خاصة فتزورها الزائرة الصحية بانتظام لمراقبة نظافة الأولاد والبنات وإحالة المرضى منهم للعلاج .

ويسرنى أن أقرر أن أول ما يسترعى انتباه أى زائر لقرى المراكز الاجتماعية ما يشهده فيها من نظافة تختلف اختلافا بينا عنها فى القرى العادية حتى أن بعض هؤلاء الزوار يسيئون بنا الظن وينسبون تلك النظافة إلى استعداد خاص بمناسبة الزيارة والواقع أنها نتيجة لمجهود يومى متواصل .

وتلقى العناية بالعيون كل اهتمام وتنظم لهذا الغرض طوابير يومية للقطرة والمس كما تنظم بكل قرية دعاية صحية عن طريق المحاضرات والأحاديث وأفلام وزارة الصحة .

وتتغلغل بين القرويات خرافات صحيـة ويؤمن بوصفات بلدية ضارة وتبذل الزائرة الصحية جهدا متصلا فى محاربة تلك المعتقدات وقد أمكن القضاء على البعض منها بنجاح بفضل ما اكسبته الزائرات من ثقة ومحبة القرويات .

ويمر الموظفون بسوق القرية لمراقبة نظافة المأكولات المعروضة وصلاحيتها، وينصحون بتغطيتها كما تنظم حملات لمقاومة العادات الضارة كالتدخين وتعاطى المكيفات .

ويقبل الفلاحون على الاستفادة بخدمات العيادة الطبية ودار رعاية الأم والطفل وهم مغتبطون بمـا يلقون فيها من رعاية وعناية ، مرتاحون الى ما أفادوه منها وماوفرته عليهم من مشقة الانتقـال وتكاليف العلاج وهم يدخلونها بثقة وكرامة لشعورهم بأن المركز الاجتماعى مركزهم وبأنهم قد ساهموا فى نفقاته وأنهم لا يحصلون على هذا العلاج كصدقة .

وقد بلغ عدد المترددين على عيادات المراكز الاجتماعية الخمس فى الستة الأشهر الأولى حوالى ٤٠ ألفـا والمترددات على دور رعاية الأم والطفل حوالى ٢٥ ألفـا وذلك بخلاف الحالات التى لايتيسر علاجها فى القرية ويحيلها الطبيب الى أقرب المستشفيات والزيارات المنزلية للطبيب والزائرة .

الناحية الثقافية — بدئ فى كل المراكز بحملة لمكافحة الأمية وأنشئ بكل قرية فصل ليلى لتعليم الكبار القراءة والكتابة والحساب وبعض المعلومات العامة ويقوم بالتدريس فى تلك الفصول مدرسون من القرية متطوعون ويقوم الاخصائى بتدريس المعلومات العـامة والزائرة بتـدريس مبادئ الصحة . ويدفع كل طالب مصروفات شهرية قـدرها قرشان لتغطية المصاريف وإشعار الطلبة بكرامتهم وحفزهم على المواظبة، وليست بهذه الفصول مجانية إطلاقا وقد أمكن اقناع بعض الأعيان بدفع المصروفات عن الفقراء الذين يعجزون عن أدائها .

ويبلغ عدد الطلبة فى كل من تلك الفصول ٦٠ طالبا فى المتوسط .

وزودت المراكز الاجتماعية بأجهزة راديو يقبل الأهالى على الاستماع اليها كما يقبلون على المحاضرات الثقافية المبسطة التى ينظمها الإخصائيون ويشترك فى القائها المثقفون من أهل القرية .

ويتلق كل مركز اجتماعى المجلات والنشرات الملائمة ونأمل أن يتم قريبا تكوين مكتبة ريفية نافعة فى كل مركز .

ويجرى التفاهم مع وزارة المعارف لتحويل المدارس الالزامية بقرى المراكز الى مدارس ريفية عملية على نظام جديد يحقق الأغراض من هذا التعليم وذلك بعد أن جرب هذا النظام بنجاح فى قرية المايل بالقليوبية .

الناحية الاجتماعية :

لجان المصالحات — وفقت لجان المصالحات لفض الكثير من المنازعات دون الالتجاء الى الإدارة أو المحاكم كما أمكن إتمام الصلح فى كثير من القضايا التى كانت منظورة من سنين أمام القضاء وهى ١٠ قضايا فى برما و ٧ فى هلا و٥ فى منية الحيط و ٤ فى أبى النمرس وتعنى لجان المصالحات بتسوية أسباب الخلاف محليا قبل استفحالها وقد بلغ من نجاح لجنة المصالحات بأبى النمرس أن قررت جمعيات الادارة المختصة إحالة كل مايصل اليها من شكاوى على تلك اللجنة أولا .

لجان الإحسان — حصرت لجان الإحسان كأول خطوة العائلات الفقيرة فى كل قرية ودرست حالتها ثم قامت بحملة فى كل موسم لحث القادرين على إخراج الزكاة الشرعية نقدا أو عينا وصرفها عن طريق تلك اللجان حتى تصل إلى المستحقين فعلا وحتى ينتظم توزيع الإحسان فلا يستأثر فقير بمعونة عائلات متعددة ويحرم ثان من أى معونة . وقد استجاب الفلاحون لنداء تلك اللجان فى المواسم . وأذكر على سبيل المثال ما قامت به إحدى تلك اللجان وهى لجنة الإحسان بأبى النمرس إذ استطاعت بمناسبة عيد الأضحى أن تجمع ١٥ جنيها اشترت منها ملابس وزعتها على ٧٣ فقيرا ووزعت نقودا على ١٨ عائلة وجمعت اللجنة أيضا ٢٠٠ رطل لحم وزعتها على الأسر الثلاثين الباقية التى ثبت احتياجها . وقد كان لنشاط هذه اللجنة الفضل فى أن يمر العيد على تلك القرية وقد حظى كل محتاج فيها بما يلزمه من كساء أو بنصيب من اللحم . وبعد أن لمس الأهلون قيمة نشاط لجان الإحسان أمكن إقناع أعضاء تلك اللجان بوضع سياسة لمساعدة العائلات الفقيرة عن طريق خلق موارد مستديمة لهم بدلا من الصدقة المنقطعة ، وقد بدأت كل اللجان بشراء عدد من الحاكيت الممتازة السابق ذكرها

وزعتها على العائلات الفقيرة بمعدل ٢٠ كتكوتا لكل عائلة فى المتوسط ومعها الغذاء اللازم لها على أن تسترد اللجنة فيما بعد فرخة نظير كل عشرة كتاكيت .

وبدأت تلك اللجان فى الدعاية لتعزيز مواردها لتتمكن من إعطاء كل عائلة فقيرة نعجة أو عنزا صغيرة تسترد ثمنها من النتاج .

وستوجه الصناعات الزراعية والمنزلية الصغيرة كتربية دودة القز والنسيج نحو تلك العائلات الفقيرة أولا ثم الأقل فقرا وهكذا . وستكون تلك اللجان قد حققت مهمتها على أسلم طرق الخدمة الاجتماعية عند ما يتوافر لكل من تلك العائلات الفقيرة عن طريق إنتاج البيض أو تربية الأغنام أو الماعز أو عن طريق الصناعات الصغيرة دخل يكفيها دون ما حاجة الى الصدقات .

الخدمات الدينية — تعنى المراكز الاجتماعية على وجه العموم بتقوية الناحية الدينية والاستفادة بتعاليم الدين فى نشر الفضيلة والنظافة . ويعنى الاخصائيون بمعاونة لجان الإصلاح الدينى بتنظيم خطب الجمعة بالاتفاق مع أئمة المساجد حتى تتناول تلك الخطب ما يهم القرية وأهلها فى مختلف الظروف والمناسبات وحتى تتضمن الإرشاد المطلوب . وقد تم إنشاء مكتب لتحفيظ القرآن بأبى النمرس يضم ٢٠٠ تلميذ والمنتظر أن يتم قريبا إنشاء مكاتب مشابهة فى بقية المراكز . وأنشئت مدرسة الجمعة فى منية الخيط حيث يجتمع الأولاد فى صباح كل يوم جمعة ويزاولون بعض الألعاب الرياضية ثم يستعدون لدرس دينى بسيط ثم يتوضأون ويؤدون صلاة الجمعة جماعة بالمسجد .

والفرض من مدرسة الجمعة هذه تلقين الصغار المبادئ الدينية الصحيحة وتعويدهم على الصلاة وهى أول تجربة من نوعها فى مصر .

وتقوم لجان الإصلاح الدينى بجهود موفقة فى سبيل تطهير الموالد من الرذائل والمفاسد وتسلية المجتمعين بما يفيدهم كعرض أفلام وزارتى الصحة والزراعة أو الاستعانة بالفرق التمثيلية التى كونت من شباب بعض القرى ، وقد كان لنشاط لجنة الإصلاح الدينى بمنية الخيط أثره فى تغيير طريقة الاحتفال بموسم عاشوراء الماضى .

وتمكنت لجنة الإصلاح الدينى بقرية القيطون التابعة لمركز هلا الاجتماعى من اقناع الأهالى حتى امتنعت القرويات عن الخروج خلف الجنازات وكذا عن إقامة حفلات الزار .

الرياضة البدنية والتسلية — يعنى الإخصائيون من المدرسين بالقرى بتنظيم الرياضة البدنية والحفلات الرياضية لتلاميذ تلك المدارس كما يعنى الإخصائيون بنشر الرياضة البدنية

بين شبان القرى "النادى الرياضى بالعلاقة" وتتجه سياسة تشجيع الرياضة فى قرى المراكز إلى إحياء الألعاب القروية المندثرة وتهذيبها و إدخال أقل الألعاب حاجة الى المعدات والتكاليف حتى يستطيع أكبر عدد من القرويين المساهمة فيها .

خدمات مختلفة :

يشمل عمل الإخصائيين والأطباء والزائرات الصحيات مساعدة الفلاحين فى كل ما يعرض لهم من مشاكل وخدمتهم فى أية ناحية تتاح لهم ، وقد اكتسبوا بفضل إقامتهم فى القرى بين أهلها وتشبعهم بالروح الاجتماعية الصحيحة محبة الأهالى وثقتهم وتناول خدمات الموظفين للأهالى مواضيع متنوعة لايتسع المجال لسردها ، كمساعدة الأهالى لدى رجال مختلف المصالح ، مثال ذلك توفير البترول للقرية بالسعر الرسمى بمساعدة رجال الإدارة فى "برما وهلا والعلاقة" أواصلاح الطرق الموصلة للقرية فى "منية الحيط" أو توفير مياه الرى فى الأدوار السيئة فى "برما والعلاقة" أوتوفيرالذرة بالسعر الرسمى للفقراء فى "هلا" وكذا الأقمشة فى "أبى النمرس" وغير ذلك .

وأخيرا لعلى قد وفقت فى عرض مهمة المراكز الاجتماعية وما بدأت تحققه للفلاحين من خدمات فى الفترة الوجيزة التى مضت على إنشائها ، ولعل ما بدا من بوارق نجاح تلك المراكز فى تحقيق رسالتها يجعلكم تشاركوننا الإيمان بأن مشروع المراكز الاجتماعية هو أسلم مشروع شامل للنهوض بالفلاح والقرية بأقل التكاليف .

ولا يفوتنى فى ختام هذا المقال أن أقرر أن لفضل الأول يرجع إلى استجابة الفلاحين أنفسهم ومعونتهم المادية والأدبية كما يرجع إلى إخلاص وتفانى الموظفين المقيمين بتلك المراكز . وأسأل الله ألا يتأخر ذلك اليوم الذى ينال فيه الفلاحون وهم غالبية الشعب بعض ما يستحقون من ميزانية الدولة وعنايتها العملية فتعم المراكز الاجتماعية الريف المصرى وتشمل خدماتها كل أهله وتحقق للفلاحين ما يستحقون من تقدم ورخاء .

أحمد حسين

المجتمع والفنون

بقلم الأستاذ س. ق

تصاب الإنسانية فى بعض الفترات بصدمات قوية وأزمات حادة فتشك فى قيمة الحياة وفى عناصر الخير والجمال ، وعندئذ تضيق آفاقها وتصغر آمالها ، وتنكمش فى دائرة ضيقة من الصراع الأرضى المحدود ، وتصبح حياتها أشبه بحياة الوحوش المتعاركة ، لاهدف لها إلا مطالب الطعم والدم ، ووسائل العيش والبقاء .

فى هذه الفترات القاسية يتساءل الناس : ماقيمة الفنون ؟ وحين لايجدونها تلبى ماهم فيه من صراع أرضى على الواقع المحدود ، ولا تشتغل بمايشتغلون به من هموم صغيرة بالقياس إلى أغراض الحياة العليا وأهداف الكون الكبيرة وهموم الانسانيـة العظيمة ، عندئذ يحاولون تسخيرها فى أغراضهم وحصرها فى آفاقهم ، فيطلبون إليها أن تقوم على خدمة هذه الأغراض. وبتعبير آخر أن تكون فى خدمة المجتمع !!!

والمجتمع فى كل آن هو هذا الجيل الذى يعيش فى عصر من العصور ، هو هذه الفترة المحدودة من الزمان وهذه الفئة الخاصة من الناس ، وهذه الظروف والأحوال الراهنة القابلة للتغير والزوال . والفنون مطالبة إذن أن تحصر نفسها فى مطالب هذه الفترة القصيرة وهموم هذه الفئة القليلة وحدود هذه البيئة المحدودة ، وإلا فهى لغو لانفع له ، وهذر لاغناء فيه !

والمحنة التى يجتازها العالم اليوم هى إحدى هذه الفترات القاسية التى تمر بالإنسانية بين الحين والحين ، ثم تجتازها سالمة أو محطمة ، ولكنها فى كلتا الحالتين تنتعش من جديد ، وتحلق من جديد ، وتعود إلى آفاقها العالية وآمالها الواسعة فتطلب إلى الفنون أغراضا أعلى من هذه الأغراض ، وآفاقا أسمى من آفاق الطعام والشراب .

وكصدى لبعض الآراء فى الخارج تتردد الآن فى مصر بعض الأصوات تهتف بالفنون أن تحصر جهدها فى خدمة المجتمع ، فلا ترتاد آفاقا أخرى غير آفاق الصراع بين الطبقات ، ولا تتنسم إلا الغبار الثائر من معركة الخبز ، ولا تعرف الانسانية إلا القطعان المتصارعة حول العيش فى هذا الجيل من الناس وفى تلك الفترة من الزمان .

تقول هذه الفئة المحدودة النفوس الضيقة الأحاسيس : إن الآداب الإنسانية العالية فى جميع اللغات عاديات أولى بها أن توضع فى المتاحف ، ليشتغل الناس جميعا بدراسة المبادئ الاشتراكية وما إليها ، وأن "الابراج العاجية" عبث وفضول ينبغى لأديب أن يعيش فيه والعالم

يصطرع على الحياة ، وأن دراسة شكسبير والمتنبي ودانتي والمعري وأمثالهم مضيعة للوقت وأولى منها دراسة "كارل ماركس" أو "فرويد" أو حياة "فورد" !

كأن الإنسانية لاتسع هؤلاء وهؤلاء، وكأن الحياة تضيق بفريق منهم دون فريق ، بينما الكون — لو كانت نفوسهم أفسح من هذا — محتاج الى الجميع ،ولكل فريق وظيفة يؤديها الإنسانية لاتغنى عنها وظيفة الفريق الآخر فى كل عصر وجيل .

ولحسن حظ الإنسانية أن هـذه النزعات الموقوتة وتلك الصيحات المحدودة لا تقضى على الآفاق العاليـة الواسعة التى يرتادها كبار الفنانين ، فما يزال فريق منهم فى كل عصر غير عابئ بما يحيط به من أحداث قريبـة ، وغير منغمس فى تياراتها المحـدودة . وهؤلاء هم الخـالدون ، بينما يفنى أدباء المجتمع وفنانو المناسبات ، لأن المجتمع متغير والمناسبة زائلة والفن الإنسانى الرفيع هو وحده الذى يعيش ويخلد بعد انقضاء المناسبات والظروف .

يروى عن "جيتى" شاعر الألمـان الأكبر أن "أكرمان" قد سمع بأنباء ثورة يوليو الفرنسية فقصد أن يزوره ويتحدث إليه فبادره جيتى عند دخوله قائلا " ! آه حسن. ما رأيك فى هذا الشأن العظيم؟ لقد أرسل البركان حممه واشتعلت النار فى كل شىء . وليست هذه بعد محاضرة فى حجرة مسوّرة " فقال " أكرمان " " إنه لحادث مرعب ولكن ماذا يتوقع من وزارة كتلك إلا أن يؤول الأمر إلى نفى الأسرة المالكة ؟" . فعجب جيتى وقال له وكأنه يتهكم "ياصديق العزيز جدا ! يلوح لى أننا لانتفاهم. فما عن هذا تكلمت وإنما أتكلم عن أمر آخر إنما أتكلم عن البحوث التى بدأت بين كوفييه وجفرى سانت هيلر فى جلسة المجمع العامة" يشير إلى بحوث هذين العالمين فى أصل الأنواع (١) .

فهذا أديب عالمى كان يعتصم ببرجه العاجى والثورة الفرنسية تقلب أوضاع الحياة جميعها فلا يكاد يحس بها ولا تساوى أحداثها عنده ماتساويه مناظرة علمية بين عالمين من علماء زمانه. أفكان جيتى أديبا عابثا لا هيا يعنى بالعاديات؟ ،أم كان أديبا عالميا يفنى الاجتماعيون وتارهم ويبقى خالدا على الأيام ؟

ولست أعنى أن أقول : إن كل أديب كبير يجب أن يكون كما كان جيتى ، ولكن أعنى أن الإنسانية فى حاجة إلى هؤلاء كحاجتها إلى الفنانين الآخرين الذين ينغمسون فى أحداث العصر ويتأثرون بمؤثرات البيئـة ويشرعون فنونهم للنضال فيما يناضل فيـه أهـل الجيل من هموم .

والشعور بآلام الانسانية وبحاجات المجتمع فضيلة نفسـية لا شك فيها ، ولكن الفنان الكبير يحس بها على نحو خاص وتبدو فى إنتاجه بلون معين ، فقد لا يكون لسان حال طائفة

(١) نقلا عن كتاب "تذكار جيتى" للاستاذ العقاد

مغبونة ، ولكن الآلام المدوّية من حوله تظهر فى فنه . تظهر فى الألوان القاتمة التى تظلل آثاره وتخلل إنتاجه ، ولو لم يشر بكلمة واحدة إلى هذه المسائل الواقعة . ومن هنا تصبح هذه الآثار عملا إنسانيا عاما يبقى بعد فوات مناسبته .

والانغماس فى صراع المجتمع وتوجيهه وظيفة يجب أن يقوم بها بعض الفنانين ، ولكن لا يجوز أن يطالب بها جميع الفنانين لأنها ناحية واحدة من نواحى الحياة الكثيرة ، وغرض واحد من أغراض الانسانية المتعددة ، فقصر الفنون على أداء وظيفة واحدة تضييق لدائرتها وتحطيم لأجنحتها وحبس لها فى نطاق ضيق لا ترتضيه .

على أن نشأة الفنون وتطورها يتعارضان مع حصرها فى هذه الدائرة الضيقة . إذ الفن تعبير عن الواقع من جهة ، وتنفيس عن الأشواق المكبوتة من جهة أخرى ، وتصوير للآمال المرموقة من جهة ثالثة . فإذا نحن حبسنا الفنون فى دائرة الواقع أمكن للإنسانية أن تستغنى عنها بالعلم والتشريع . ومن حسن الحظ أننا لا نستطيع أن نحبسها فى هذه الدائرة مهما حاولنا ذلك بقوة الدعاية أو قوة السلطان ، لأن الحياة نفسها — وهى أوسع من الواقع المحسوس — تطلق هذه الفنون من عقالها لتعبر عن آفاق الحياة جميعا . إن العلم والصناعة أرجل الإنسانية والفنون أجنحتها . وقد تستطيع الانسانية أن تسير بالأقدام ولكنها لا تحلق بغير جناح .

وقد قرأت لأحدهم مرة كلمة يمثل فيها بموسيقى "ڤاجنر" وكيف اعتمد عليها النازيون فى بث روح الحماسة والقوة فى نفوس الألمان ، وعدها لهذه المزية أعظم موسيقى عالمية ، فإذا نصنع إذن بموسيقى بتهوفن وشوبير وشتروس وهى ألوان ثلاثة تختلف فى طبيعتها واتجاهها ولكن تتفق فى أنها لا تؤدى هذه الوظيفة التى تؤديها موسيقى ڤاجنر فى بث روح القوة والحماسة فى النفوس ؟ أنلقى بهذه الموسيقات الإنسانية العالية فى عرض الطريق لأنها لا تؤثر تأثيرا مباشرا فى أداء الأغراض الحربية والقومية ؟ وكم تخسر الإنسانية حين نلقى بسيمفونيات بتهوفن أو مقطوعات شوبير أو رقصات شتروس فى عرض الطريق ؟ إنها تخسر ولا شك أضعاف ما تكسبه من ألف مقال كالذى كتبه صاحبنا فى إحدى المجلات !

* * *

على أن نظرية " الفن للفن " لا تتعارض مع نظرية " الفن للمجتمع " عند النفوس الرحيبة التى تنظر للمسائل نظرة شاملة وتلاحظها من زوايا متعددة لا من زاوية واحدة ضيقة محدودة . فقد كانت الفنون العالية وما زالت تؤدى للإنسانية أنبل الأغراض ، وتسبق كل نهضة علمية أو صناعية بما تفتح من مغاليق النفوس وبما تثير من أشواق الناس إلى الرقى والكمال .

وادراك الجمال — وهو أسمى هدف تتوجه إليه الفنون بالقرابين — ليس مطلبا سهلا ، ولا تستطيع النفوس الانسانية أن ترقى إليه إلا بعد أن تجتاز تجارب شاقة ، فاذا وصلت إلى هذا المستوى الرفيع فلن تصبر على مافى الحياة الاجتماعية من قبح يتعارض مع هذا الجمال.

إن النفس التى تدرك الجمال عن طريق الفنون العالية لن تصبر على الظلم يحيق بطائفة من المجتمع ، ولن تسيغ الذل يحيط بالوطن والانسانية ، ولن تصبر على الحرمان تتجرعه طائفة والترف تنعم به طائفة ، إذ أن الظلم والذل والحرمان والترف مظاهر قبيحة لاتتفق مع إدراك الجمال .

إن الفنان الذى يعلمنى كيف أحب الطبيعة وأعجب إعجابا حقيقيا بما فيها من مفاتن يعلمنى فى الوقت ذاته حب الحرية ، إذ أن الحرية هى أجمل مافى الطبيعة ، وإذ أن الطلاقة هى أثمن ما فى هذا الجمال. وفنه فى هذا خير وأبقى من دعوة ثائرة الى تحطيم قيود الاستعباد. وإن اللحن الموسيقى أو القطعة الشعرية أو الصورة الفنية التى ترفعنى عن العالم الأرضى المحدود الى العالم الانسانى غير المحدود ، لهى التى تعلمنى فى الوقت ذاته ألا أحقد على أحد وألا أوذى أحدا لأنها رفعتنى عن المصارعات الصغيرة بين الأفراد الى الآفاق العالية بين الآباد . وهى فى هذا خير وأبقى من نصيحة خلقية جامدة أو موعظة منبرية جافة .

وحقيقة أن تأثير الفنون عن هذا الطريق تأثير بطىء . ولكنه عميق . وقد تكون الأمم فى بعض الأحيان محتاجة الى الدعوات المباشرة والتأثيرات السريعة ، فليكن . ولتتخصص طائفة من فنانيها لتلبية هذه المطالب السريعة ؟ ولكن هذا لا يعنى أن ينصرف الجميع الى هذه الغاية ، وأن يدعوا الانتاج الفنى الخالص ، وأن يهملوا الجانب الانسانى الخالد ، لينغمسوا فى صراع موقوت ، تموت فنونهم فيه بعد حين من الزمان .

إن احصائية عن الفنانين الخالدين فى تاريخ الانسانية تثبت أنهم جميعا ارتفعوا بفنونهم عن مطالب العصر وحاجات الجيل فكانوا روادا لعصور جديدة ، وسابقين لأجيالهم المحدودة وقد بقيت لهم آثارهم الفنية الخالصة وفنى منها ما كان تلبية لمطالب البيئة ، فلا نذكر لهم الا للتسجيل والتاريخ ، ولا يحسب لهم منه شىء فى سجلات الخلود .

والدعوة التى يدعوها اليوم بعض الكتاب المحدودو النفوس الضيقو الاحساس الى حصر جهود الأدباء فى الصراع الاجتماعى دعوة خطرة تجب مقاومتها والتنبيه الى خطورتها ولاسيما فى مصر ، حيث تنتشر بين الشبان اليوم بدعة إهمال القديم من الآداب والفنون ، وإهمال الدرس والمطالعة بحجة أن العالم يعيش فى عصر السرعة فليس هناك وقت للدراسة والتحصيل .

فإذا جاء هم كاتب أو أكثر ليقول لهم : لا تقرءوا أدب العاديات، وهو يعنى بالعاديات آثار شكسبير وهاردى وجيتى وشيلر وشيلى وبيرون والمتنبى والمعرى وابن الرومى والبحترى والعقاد وطه حسين وهيكل وتوفيق الحكيم وأمثالهم ، ولكن اقرءوا الآداب الاجتماعية وانغمسوا فى الصراع الاجتماعى وحده ، وتابعوا فقط أخبار الحرب والسياسة ، وأنباء الاختراعات والكشوف ، فإنما يلبى رغبة فى نفوسهم من حيث عدم الصبر على الدرس والمطالعة ، فلا يتهيأون لقديم ولا جديد ، ولا يخرجون بشىء من أعمارهم القصيرة إلا بأشتات من هنا ومن هناك فى عجلة وسرعة لا يستقيم معها درس ولا ينشأ عنها اطلاع .

أقول هذا وأنا أخصص جزءا ضخما من مجهودى الأدبى لهذا الصراع الاجتماعى على صفحات هذه المجلة وسواها ؛ ولكننى أستمد فى هذا الصراع من معينى الأدبى الخالص ، فهذا المعين هو الذى يثير فى نفسى رغبة الإصلاح الاجتماعى من جميع الوجوه ؛ ولو أنى قصرت همومى على الصراع الاجتماعى وحده لخبطت حرارة نفسى بعد حين ونضب معين الكتابة ومعين التوجيه حين لا تمده روافد إنسانية أكبر من المجتمع وأشمل من الجيل .

وهناك دعوة أخرى إلى الشعراء أن يقصروا جهودهم على الشعر القومى وتلبية المناسبات والأحداث التى تحيط بمصر والعالم فى هذه الظروف ، وهى دعوة لا تقل خطرا على القومية والمجتمع من الدعوة السابقة ، ولقد قرأت فى مجلة أسبوعية كلمة كتبتها فى مقدمة استفتاء توجهت به للشعراء "لم لا تنظمون فى الأغراض القومية" جاء فيها :

" لقد كان الشعر القومى فى مصر إلى عهد غير بعيد يحتل مكان الصدارة بين مختلف الفنون العليا والأدب الرفيع ، فكانت القصيدة ينظمها " شوقى " أو " حافظ " أعظم أثرا فى نفوس الجماهير من عشرات الخطب والمقالات. وما يزال الناس يذكرون لشوقى قصيدته الخالدة التى يقول فيها :

إلام الخلف بينكم إلاما ... وهذى الصحة الكبرى علاما ؟
وفيم يكيد بعضكم لبعض ... وتبدون العداوة والخصاما ؟
ترامیتم ، فقال الناس قوم ... إلى الخذلان أمرهمو ترامى
وكانت مصر أول ما أصبتم ... فلم تحص الجراح ولا الكلاما

هل فى شعرائنا من فكر فى أن ينظم قصيدة بهذا المعنى يوجه الكلام فيها إلى زعمائنا وأقطابنا الذين أصبحوا يقتتلون على كراسى الحكم ، تاركين كل شىء عداها فى الوقت الذى نرى البلاد على أبواب محنة عالمية لا يعرف إلا الله متى تنتهى وتزول ؟ !

أين فيهم من نظم لنا قصيدة ، نصف لنا فيها غارة جوية ونرثى ضحاياها ، والغارات — بحمد الله الذى لا يحمد على المكروه سواه — تتوالى هنا وهناك ، فى الاسكندرية ،

وفى الاسماعيلية ، وفى بور سعيد ، وفى القاهرة ، وأخيرا فى الفيوم ، فتودى بحياة العشرات من الأبرياء وتقضى على مئات من الأسر بالتشرد فى العراء ؟

أين فيهم من نظم لنا قصيدة " يتغزل " بها فى " رغيف " أو فى "جلابية" وهو يرى الملايين من مواطنيه وقد نكبهم غلاء الأسعار وجشع التجار بما لاطاقة لهم به من عرى على عرى ، وجوع على جوع ، فعز عليهم الغذاء بعد أن عز الكساء ! "

وأحب أن أقول لأصحاب هذه الدعوة : إن مثل هذا الشعر هو أفشل الشعر فى تأدية الأغراض القومية ، وأن الذين يقولونه فى هـذه الأيام بحمد الله كثيرون ، ولكنهم ليسوا من شعراء الطليعة ، ولا من الشعراء الذين يحترمون فنهم ، أو يعرفون وظيفة الفنون .

ولقد كان الشعر يؤدى وظيفة الخطابة والنصح والإرشاد المباشرين يوم كان الشاعر ممثلا للقبيلة فى مرحلة من مراحل التطور الإنسانى ، فلما تقدم الإنسان ، ونشأ التخصص صار الشعر عملا فرديا مطلوبا منه أن يعبر عن نفس فرد لا عن حياة قبيلة . وهذا الفرد الممتاز يعرض لنا الكون والحوادث من خلال نفسه الخاصة ، وليس مطالبا قط أن يكون دفتر تسجيل للحوادث ولا خطيبا واعظا يهتف بالدعوات القومية والحزبية والخلقية . وحسبه أن يوسع آفاق الحياة فى نظر الناس ويعلمهم مافى الدنيا من الخير والجمال ، فيثوروا هم على مافيها من القبح والاختلال .

* * *

بقيت الأغانى والقصص والروايات ، ويرى بعضهم أن توجه توجيها مباشرا لمعالجة أمراض المجتمع ، ولست أعارض فى أن يتولى بعضها هذه المهمة المحدودة ، ولكن ينبغى أن يبقى جانب منها حرا لأداء رسالة الفن الخالصة .

ولكن ينبغى هنا أن نقول : إن معظم ما يذاع من الأغانى وما يعرض من الروايات ويقرأ من القصص مؤذ للأخلاق وللفطرة الانسانية ، ويجب أن تقوم عليه رقابة بصيرة لا يكون المسيّر لها فى الرفض والترخيص هو التوجيه الخلقى والاجتماعى ، بل يكون هو تنقية هذه الأغانى والقصص والروايات مما يؤذى الذوق الانسانى فى لفظه أو أدائه ، ومعظم مايذاع يؤذى هذا الذوق الإنسانى بغض النظر عن المجتمع الحاضر وعن الأخلاق المتعارفة .

وأقرب ما يفسر هـذا الإجمال أن عرض عاطفة الحب وهى عاطفة إنسانيـة رفيعة فى تلك الصورة الوضيعة التافهة التى تبدو فى الأغانى والأفلام المصرية والقصص الرخيصة الموضوعة هو تشويه لشعور إنسانى كريم تنبغى صيانته ورفع مستواه .

وهكذا يجب أن ترتفع النظرة إلى العواطف الانسانية ، ولو لم نحصر نفوسنا فى المجتمع الحاضر والبيئة المحدودة والتوجيه المباشر الذى نقرر أنه ليس من واجب الفنون .

س . ق

شعب مترف

والعالم من حوله فى شظف وحرمان

تكتوى شعوب الأرض جميعها — بويلات هذه الحرب الطاحنة من تقتيل وتجريح وتشويه وتخريب ، ومن مخاوف وأهوال لم تخطر على قلب بشر فى جميع العصور ، مخاوف وأهوال أقلها وأخفها ويلات الجوع والحرمان من الكماليات ومن الضروريات .

ومع هذا كله فتلك الشعوب تقاوم وتناضل وتتحور حسب الظروف والأحوال وتنسى ما كانت عليه حياتها فى أيام الأمن والرخاء لتساير الظروف الجديدة وتنسجم مع التكاليف الحاضرة .

وليس على وجه الأرض إلا شعب واحد لا يزال غير عابئ بما يحيط به و بالعالم كله ولا يزال مترفا يعنى بالكماليات و بكل مطالب الرفاهية . ذلك هو الشعب المصرى الذى يعيش الآن وكأنه يحيا فى أحلام .

ففى انجلترا الأمبراطورية ذات الموارد التى لا تنفد أصبح لبس القديم " مودة " تدل على الذوق السليم والفطرة المستقيمة وأصبح أفراد الطبقات الأرستقراطية يفتخرون بهذه " المودة " و يضربون المثل فيها للأوساط والفقراء بحيث صار التأنق فى الأزياء ولبس الجديد مجلبة للنقد والاشمئزاز . وعمدت السيدات الى ملابس أزواجهن القديمة فعدلنها ولبسنها وابتدعن فيها مودات جميلة .

وفى استراليا أغلقت الملاهى ودور السينما والتمثيل لأن الموقف جد لا هزل فيه ، وتكليف للترويح فيه ، وعمل لا راحة فيه ؛ فيجب أن ينصرف الجميع للعمل والكدح والجهاد بعد سنوات طويلة من الراحة والاستمتاع والرفاهية .

وفى الولايات المتحدة ذات الثروة الخيالية راحوا يفكرون فى اقتصاد الأجزاء الزائدة فى اللباس كياقة القميص وثنية البنطلون وجيوب الجاكت وسواها ، وحسبوا الوفر الناشئ عن إلغاء هذه الأجزاء بخمسين مليونا من الجنيهات فى العام .

وفى فرنسا يستحيل على الفرد أن يتناول طعامه بأقل من ٢٥٠ فرنكا وثمن الحذاء من ٢٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ فرنك وتصل طرود البريد إلى المرسلة إليهم مفتوحة وتكاد تكون فارغة إذ أن كل أحد يبحث عن الأكل حيث يستطيع أن يجده .

وفى معظم دول العالم توزع الضروريات بالبطاقات فينال الفرد الواحد فى انجلترا مثلا من اللحم ما ثمنه شلن واحد فى كل أسبوع وهو لا يتجاوز نصف الرطل على وجه التقريب . وفى الصين حرمت القوانين بيع النبيذ والكحول فى المطاعم كما حددت ألوان الطعام ولا يوجد من الملاهى سوى دور السينما . وليس لصينى أن ينتقل من مكان إلى آخر فى سيارة خاصة .

والحالة فى دول المحور أشد ضيقا منها فى الديمقراطيات لفقرها من الأصل ولحصار المضروب حولها ولتخريب الذى أصاب البلاد المحتلة بحيث تكاد لا تكفى نفسها فضلا على تغذية الفاتحين .

وبينما الحالة هكذا فى جميع أرجاء العالم حتى تركيا وسويسرا وأسوج المحايدة إذا بالحالة فى مصر حالة ترف وإسراف بدرجة لا تطيقها أوقات السلام لا أوقات الحروب .

نعم لا يزال الإسراف فى ألوان الطعام لدرجة الإفراط والتخمة . والأيام الثلاثة التى مضت فيها اللحوم لا تزال الموائد تزخر فى اليوم الأول منها باللحوم المختزنة فى اليوم السابق ، وفى اليوم الثانى تعمر الموائد بالدجاج والأوز والحمام ، وفى اليوم الثالث تتفكه بالأسماك واللحوم المحفوظة تحت أنف الأوامر العسكرية التى لا تستطيع وحدها أن تصنع المعجزات .

ولا يزال الإسراف فى الملابس ؛ فلم يتخلف أحد من القادرين فى الشتاء الماضى عن شراء الأصواف المعتادة له ولزوجه ولأبنائه وبناته فى كل عام ؛ وها هو ذا الربيع والصيف فى أثره حيث يقبل الجميع على الحرائر وسواها على الرغم من ارتفاع الأسعار ، وبخاصة السيدات اللواتى لم يشعرن حتى اليوم بأن هناك أزمة وأن هناك حربا طاحنة ذات ويلات !

ولا يزال البذخ فى الولائم والحفلات — ومصر أكثر بلاد الله ولائم وحفلات — حيث تصف الموائد وتتنوع المطاعم والمشارب ، كأنما هى الليلة الأخيرة فى الحياة فلا بد أن يحتاز كل آكل وكل شارب أقصى ما يستطيع احتيازه قبل فوات الأوان .

ولا يزال التبذير فى مظاهر الفرح والحزن على السواء . فالسرادقات هى السرادقات وإعلانات الوفاة والشكر هى كما كانت مع ارتفاع أسعار الاعلان ، والمآكل والمشارب والمظاهر لم تتأثر بشىء اسمه حرب ولا بما يقول عنه الناس فى العالم الآخر : أزمات ! .

وتأثيث البيوت ولا سيما جهاز العرائس ، لم يتأثر بالظروف الحاضرة مع الشكوى من ارتفاع السعر ورداءة الأثاث والأدوات . فالشكوى على ما يبدو شىء والشراء شىء آخر . ومهما تكن التكاليف فلا بد من استحضار ما كان معتادا استحضاره فى أزمنة الرخاء . ثم الشكوى بعد ذلك من الغلاء !

والمقاهى والمشارب والملاهى لاتزال تعج برواديها رغم أنف الغلاء وأنف الظلام . ولايزال المئات بل الألوف ملطوعين على المقاهى والمشارب يلوون أعناقهم متلفتين للرائحات والغاديات فى شبه ذهول طول النهار ونصف الليل . وهؤلاء غير مرتادى الملاهى والحانات وهم يعدون بالمئات !

بل إن أدوات الزينة لم ينقص استعمالها شيئا فالعطور و" الروج " و" البودرة " و" الريميل " وسواها من بضاعة السيدات تتمتع بنفس الإقبال الذى كانت تتمتع به فى سنى الرخاء .

لم يدرك أحد فى مصر أن فى الدنيا أزمة وأن فى العالم حربا ، وأن فى أوربا وأمريكا شبانا وفتيات يعيشون عيشة خشنة جافة ورجالا وسيدات يتحملون آلام الشظف والحرمان والجميع يتحملون بعد هذا كله آلام التقتيل والتخريب بالليل والنهار .

وتلك بلاهة شنيعة ، بل أثرة مجرمة ، بل موت فى الضمائر والاحساس !

وهذا القول لا يوجه بطبيعة الحال لاثنى عشر مليونا من المصريين يعيشون فى شظف مرهق حتى قبل هذه الحرب ، وإنما يوجه للملايين الأربعة الباقية من المترفين والأوساط الذين يتمتعون والعالم كله ومواطنوهم الآخرون فى شظف وحرمان .

هذا الترف جريمة وطنية فوق أنه جريمة إنسانية ، فاستخدام قوة المقدرة على الشراء إلى آخر حدودها يستنفد السلع من الأسواق — وهى محدودة فى أيام الحروب — فضلا على أنه يرفع أثمانها رفعا غير معقول ، والذين يشقون بارتفاع أسعارها أو نفادها هم الفقراء المحدود والدخل الذين لا يجدون بدا من الحصول على الضرورى لهم بأفدح الأثمان .

ومن هنا تزيد حدة الفقر الذى يعانيه ملايين المصريين وتعجز الإيرادات الصغيرة عن مواجهة الغلاء الفاحش وعن استيفاء الضروريات التى لا غنى عنها للحياة ، فيصاب الملايين بالأمراض وينشأ عن هذا ضعف فى قوة الإنتاج يؤثر فى الثروة العامة للبلد . وتنشأ عنه كوارث قومية مؤذية ، وكل هذا لينال فريق من الناس أقصى شهواتهم فى الطعام والشراب واللباس !

* * *

وها هى ذى الحرب تقترب من مصر فيزيد الخطر ، فلا بد إذن من حركة عاجلة لمقاومة هذا الترف ، وقد سبقتنا الأمم الأخرى فى هذا المجال مستخدمة وسائل ثلاثا نستطيع استخدامها بلا عناء .

فالوسيلة الأولى هى تنظيم الدعاية فى كل مكان للاقتصاد ، ونشر روح الاستهجان لكل ترف وكل إسراف بحيث ينقلب التأنق والبذخ رذيلة تدعو للانتقاد ، وهذه الروح حين تنتشر تقوم مقام القوانين الرادعة ، ولا سيما إذا استطعنا نشرها فى أوساط السيدات .

والوسيلة الثانية هى استخدام نظام البطاقات ، وما دامت وسائل الاقناع لا تجدى فيجب الأخذ بوسائل الإلزام ، و إذا كانت بعض المواد غير المضبوطة لا يمكن توزيعها بالبطاقات فالمواد الأخرى كالملابس والأحذية والأثاث وأدوات المنازل يمكن أن يسرى عليها هذا النظام .

والوسيلة الثالثة هى ضبط الاستيراد والإنتاج بحيث تقدم الضروريات على الكماليات وقد أخذت الحكومة المصرية فعلا بهذه الوسيلة ولكنها لا تزال فى حاجة إلى استبعاد بعض المواد نهائيا وتوفير أماكن الشحن ودور الانتاج لبعض المواد الاخرى من الضروريات .

ومسألة مقاومة الترف لا تقل أثرا فى أخلاق الشعب وكيانه عن مقاومة الجرائم والمخدرات وعن إلغاء البغاء ، فلننظر إليها من الوجهة الخلقية أيضا فوق نظرتنا إليها من وجهة الاقتصاد .

من أدب القرآن

وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ۞

[سورة الاعراف]

قانون الفقر

وجوب تشريعه لإنقاذ المملكة من التدهور الصحى

للدكتور حسين الهراوى

تتجه أنظار الباحثين فى الاستنتاج الى الروح التى يتناولون بها مواضيع البحث والنظرة التى يفحصون بها المواضيع التى يتناولونها .

فاذا أراد باحث أن يتحدث عن الثروة القوميـة من الوجهة الوطنية وكفاية العقول المصرية فإنه لا يعدم ألف دليل على كفاية المملكة من الوجهة الثقافية والمـالية والتقدم المـادى والأدبى .

ولكن الباحث فى الحالة الاجتماعية من الوجهة الصحية فى مصر يتردد كثيرا فى التفاخر بقوة الشعب المـادية والصحية .

وفى سنة ١٩٣٩ نيط بى إلقاء محاضرات لحضرات أطباء قسم الدعاية الصحية توجيها لهم للعمل فى نشر التعاليم الصحية فى القرى التى تحل فيها الوحدات . ولذلك اتجه البحث الى التحدث عن مشكلة الفلاح الصحية مجردة من كل عامل يؤثر فى وجهة النظر بل يجب أن نذكر لحضرات الأطباء الجدد وصفا صحيحا لحالة الفلاح وما يحتاج اليه من الثقافة الصحية لتوقى الأمراض . بل يجب أن نشرح لهم حالته الصحية وما يؤثر فيها من وجهة الوسط والبيئة .

وكانت أول نقطة للبحث أن نذكر أمراض القرى ، ومساكن الفلاح ، وملبس الفلاح . وحياته ودخله ، ووسطه ، وأن نعلم الفلاح كيف يعيش حياة صحية . ويلبس ويسكن ويقى نفسه من الأمراض . وبذلك نرفع مستواه الثقافى ليتجنب الأمراض المتوطنة بنفسه .

ولما كانت الأمراض المتوطنة هى أهم ما ينبغى للفلاح أن يتعلم كيف يقى نفسه منه فقد رجعنا إلى احصائيات عن الأمراض المتوطنة فى مصر فوجدنا أن ٧٥ ٪ من المصريين مصابون بالبلهارسيا و ٥٠ ٪ بالانكلوستوما و ١٥ ٪ بالملاريا مع عدوى الطفيليات الأخرى .

ورجعنا إلى احصائيات من وزارة المعارف واخصائيين فوجدنا أن القراع يصيب ١٥ ٪ والبلاجرا ١٠ ٪ والزهرى ١٥ ٪ والرمد الحبيبى ٩٠ ٪ أى أن كل مصرى تصيبه أربعة أمراض تقريبا .

ولو رجعنا الى متوسط دخل الفلاح بحسب بعض الاحصائيات لوجدنا متوسط دخل البيت الواحد فى السنة تسعة جنيهات وهذا ما تؤيده تقارير عدة من مختلف أنحاء المملكة وما أيده أكثر من مائة احصائية من وحدات قسم الدعاية الصحية .

ولو رجعنا الى الثروة الصناعية أو الكسب لوجدنا ١٦ مليون مصرى يسكنون المملكة منقسمين كالآتى :

	ذكور	إناث
بدون حرفة	٢,٠٥١,٤٨٦	٦,٣٨٠,٧١٣
حرفة غير منتجة	٥,٠٠٠,٠٠٠	١٢٢,٠٠٠
مشتغلون بالزراعة	٢,٠٠٠,٠٠٠	١,٠٠٠,٠٠٠

وبعدالة الاحصاء يجب أن نستبعد منه النساء اللاتى بدون حرفة ونصفهن كزوجات وإذن يكون مجموع من ليس لهم حرفة فى المملكة نحو ستة ملايين شخص. ولقد قدر الاحصائيون عدة احصائيات ولكننا أخذنا بالمتوسط .

وإذا رجعنا الى احصائيات الملاك المصريين نجد أنه فى سنة ١٩٢٤ كان عدد الملاك المصريين نحو مليونى مالك يملكون نحو ٥ ملايين فدان أى بمتوسط ٢,٤٨ فدان للشخص.

وفى سنة ١٩٣٦ هبط المتوسط الى ٢,٢٣ مع أن متوسط نصيب المالك الأجنبى نحو ٨١ فدانا للمالك الواحد أى أربعين ضعفا للمالك المصرى فى نفس بلده .

وإذا وزعنا الأطيان المملوكة للمصريين بالنسبة لتعدادهم كان مايصيبه الشخص الواحد عشرة قراريط على حساب آخر احصاء سنة ١٩٣٧

والأملاك المصرية مرتهن منها نحو ستمائة ألف فدان وفاء لديون نحو ٢٤ مليون جنيه موزعة على نحو سبعمائة ألف سنفة .

هذا فيما يخص الأرض فقط بخلاف العقارات حيث إن شرحها يطول ، وعلى العموم فإن هذا الموضوع الدقيق من اختصاص الماليين وانما يعرض للباحث الصحى فيما يتعلق بالناحية الصحية وأثرها فى البلاد من النواحى العملية .

وقد يكون من الخير أن نشير الى محاضرات الأستاذ الدكتور خليل عبد الخالق عن أثر الأمراض الطفيلية فى عدم القدرة على إيجاد جيش عامل فى المملكة. وكان هذا من الأسباب

التى عاقت مصر عن أن تتقدم حربيا وستعيقها إن لم تباشر فورا إبادة أهم الأمراض المتوطنة. وكانت الخبرة التى استفادتها البلاد من تجربة إبادة البلهارسيا فى الواحات كافية لأن تبدأ التجربة الأخرى فى كوم امبو بحيث يضمن إبادة البلهارسيا بتكاليف لاتزيد عن ستة مليمات للفدان.

واذا كان البحث الصحى يجر الانسان للبحث عن المواضيع التى تترتب على انتشار الأمراض ومقدار أثرها فى إضعاف حيوية الأمة فاننا نستنتج أن هذه الأمراض المتوطنة وسوء التغذية قد أوجدت لنا شعبا مريضا يصعب عليه الكفاح فى الحياة . من جهة أخرى فإن الشعب يتزايد بشدة. رغم تلك الأمراض الفتاكة ورغم النسبة العالية جدا من الوفيات. مما أفردت له احصائيات خاصة مروعة يمكن الرجوع اليها فى مصادرها .

ولكن بالرغم عن هذه الأمراض ونسبة الوفيات المرتفعة نجد أن حيوية الشعب فى انتاج الذرية قوية إذ أن الاحصائيات تبين لنا أن تعداد المملكة سنة ١٨٤٦ كان أربعة ملايين ونصف وفى سنة ١٩٣٧ كان نحو ستة عشر مليونا فقد صار نحو أربعة أمثال ما كان فى نحو مائة عام .

ومن الملاحظات القيمة التى لاحظها معالى الدكتور على باشا ابراهيم هى أننا إذا تتبعنا نسبة السكان على حساب السن نجد أن أغلبية التعداد عندنا من الأطفال إلى سن العاشرة يبلغون نحو ربع عدد السكان وهى نسبة تفوق ما هو موجود فى البلاد الراقية الأوروبية، وذلك نتيجة اتجاه عقلية الشعب للبحث عن الأسرة من غير تفكير فى أثر هذه الحالة فى مستقبل الأمة الاقتصادى والمعنوى . وقد يطول الشرح إذا قارنا بين حياة المدن وحياة القرى ونسب الوفيات فى كل منها . ولكننا نكتفى بأن نقول إنه بالرغم عن المصاعب الصحية والأزمات فإن المدن فى مصر قد كبرت على حساب القرى . فالقاهرة مثلا تضاعف عددها فى مدى نحو ثلاثين عاما وكذلك مدن المملكة والثغور حيث يرحل إليها الفلاحون طلبا للرزق وسعيا وراء رغد العيش . ولا شك أن حياة المدن مغرية غاية الاغراء بما فيها من وسائل المدنية وحياة القرية جهاد مستمر مع فقر وفاقة .

فالفلاح الذى دخله فى القرية كما قدمنا فى المتوسط تسعة جنيهات للمنزل الواحد لا يعدم أن يكسب مثل هذا المبلغ لو رحل وعائلته إلى أقرب البنادر أو إلى القاهرة أو إلى الاسكندرية حيث إن الحياة العملية أكثر نشاطا وأنعم حالا. والوسط الصحى أرقى من القرى بما فى المدن من حياة وتنظيم ونور ووسائل المدنية المتعددة المغرية . فترى الناس يفضلون الإقامة فى المدن ولو من الاستجداء مما جعل القاهرة مباءة الشحاذين "والبلطجية" .

وقد نشأ من ازدحام المدن وسهولة المواصلات ونشاط التعليم ونشر الثقافة أن عرف الفلاح وساكن البندر قيمة نفسه فلجأ إلى العلاج فازدحمت مستشفيات البنادر بما أرهق أطباءها ، فهبط مستوى دخل الأطباء الخصوصيين .

نعود إلى أول هذا البحث وهو محاضرات قسم الدعاية للأطباء :

كان لابد فى استعراض هذه الحالة أن ننهج لتعليم الفلاح سبيلا وسطا للارشاد والنصح وأن نرفض دائما تلك النقط الحساسة وهى أننا يجب أن نتحاشى تعييره بالفقر أو إخجاله بالجهل وأن نتبع فى الوقاية الصحية ما لا يكلف ثمنا كترشيح المياه من زير وتعديل غذاء دقيق الذرة بالمواد المغذية والفيتامينات كالخضر والفاكهة الرخيصة ، ولفت الفلاح الى أن الجبن يحوى من المواد البروتينية ما يعوض عليه أكل اللحم وأن يلجأ إلى العلاج من الأمراض المتوطنة فى أقرب مستشفى ، وأن العلاج البسيط الذى يتناوله فى الوحدات المتنقلة هو بمثابة إرشاد .

ولكن كان لا بد مع النظرة الأولى لحالة الفلاح أن نستعرض الحلول التى اقترحت لتحسين حالته الصحية ، والثقافية ، ورفع مستوى حياته الاجتماعية من سبل الوقاية والعلاج .

ففى سنة ١٩٣٤ اقترح حضرة الدكتور خليل عبد الخالق مشروع العلاج الالتزامى للفلاح وشرحه فى عدد مارس سنة ١٩٣٤ من المجلة الطبية ، وملخص مشروعه أن يعطى طبيب لكل عشرة آلاف من صغار الفلاحين وعلى الطبيب أن يعيش بينهم و يعالج نصف أمراضهم بلا أجر و يعلمهم التوقى من الأمراض . وقد ترك المشروع بعد أن سجله . لأن المفكر عادة يبرئ ذمته بأن يسجل مشروعه ، وعلى من بيدهم التنفيذ أن يستفيدوا من خبرته .

وفى سنة ١٩٣٨ بدأت الفكرة تظهر عمليا بإنشاء قسم الدعاية الصحية . والقسم الآن يحوى أربعا وعشرين وحدة . تقوم متنقلة بين القرى للعلاج البسيط والتعليم الصحى بزيارة المنازل والعلاج و إلقاء المحاضرات وعرض أفلام سينمائية عن أهم المواضيع التى تعنى الفلاح للوقاية .

وكان لا بد للمشتغل فى هـــذا الموضوع والمتتبع لأثر هذا النوع من الارشاد أن يتناوله بالتعديل حسب ما توحيه إليه فكرة العمل . خصوصا إذا استعرض هذه المواضيع بشىء كثير من التفكير وأراد برغبة صادقة أن يذلل المصاعب أو أن يترقى بالفكرة إلى مستوى النجاح وأن أول ما يتبادر للذهن أن يسائل الإنسان نفسه : ما سبب فشل أو عدم تبنية الدعوة للإصلاح الصحى فى مصر . حتى يكون هذ الاصلاح عاما شاملا يستأصل الداء من منابته لا موضع مساومة وتجارب واختبارات تمضى سنون فتملأ السجلات و الملفات ، ثم تركد وتنتقل من دور النشاط إلى دور السجن فى الخزائن ثم الحفظ حيث لا يرجع لها .

والسبب على حسب ما يمكنني أن أعلله هو أن هذه المشاريع أو الاقتراحات تكون وليدة تجارب شخص مايقضي فيها وقته و يتشبع بالفكرة فيعمل على إخراجها إلى دور التنفيذ فتتناولها أيد غير مهتمة بها أو غير متشبعة بتلك الروح فتخمد جذوتها وتنتقل من يد إلى يد حتى تفتر وتبرد ويدركها الفناء .

فاذا كانت فكرة الإصلاح الصحي في الريف أخذت أدوارا كثيرة وتجارب فقد نشأت خلال ذلك مشكلات المدن وكانت وليدة بعض جهود من وحدات الدعاية من جهة ووليدة الظروف الطارئة والمصالح الطبية المتعددة من جهة أخرى ونتج من إحصائيات بعض مستشفيات الأمراض السرية أن أكثر من ٢٥ ٪ من سكان المدن مرضى بالأمراض السرية وثبت من إحصائيات بعض الوحدات المتنقلة أن سكان بعض القرى برمتها مرضى بالأمراض السرية الخبيثة .

أضف إلى ذلك أن سوء حالة الريف المالية قد جعت كثيرا من الفلاحين ينزحون إلى القاهرة فتضاعف عدد سكانها بينما بقيت القرى على حالتها الأولى من السكان إلا من نسبة الزيادة الطبيعية . فالقاهرة والاسكندرية مثلا لا تتناسب في كبرها مع تعداد نفس المملكة إذا قارنا بين جميع الممالك وتعداد عواصمها . فباريس تعدادها مليونان ونصف وتعداد فرنسا ٤٢ مليون بينما القاهرة مليون وربع وتعداد المملكة ١٦ مليونا .

ومن تكدس الناس بالمدن وقلة أسباب الكسب وللتطور الحديث في سقوط المرأة وبالنسبة لما نشأ من نشر التعليم أصبحنا نجد كثرة فاحشة في المتعلمين في المدن . ذلك أن التعليم يجرى على نظام البرامج التي تهتم بالثقافة العقلية لا الأعمال الصناعية و إننا لنرى خريجي الجامعة لا يجدون مرتزقا . وطلبة الحقوق لم يعين منهم واحد في السنتين الماضيتين وقل مثل هذا في بعض الكليات كالمعلمين وغيرها .

وكذلك نشاط المدارس الثانوية التي تخرج آلافا، وأترك الإحصاء عامدا لأنه من شأن رجال التعليم، هذه الآلاف لا تجد مرتزقا .

ولا يمكن لأحد أن يقول إن التعليم في ذاته ضار ولكن الضرر هو أننا نخرج جيوشا من المتعلمين ولم نعد لهم ميدان العمل فنتركهم بلا مورد . فيكونون نوعا خاصا من الفقراء .

و إذا أضفنا إلى ذلك فئة العمال والصناع وأصحاب الحرف الذين طغى على رزقهم العصر الآلي واكتساح الصناعات الصغيرة بفعل الميكانيكا والسيارات والآلات، حتى المباني فقد أصبحت بطريقة كيمائية من الأسمنت المسلح، وانتهى رزق الناس الذين كانوا يؤكلون غيرهم من عرق جبينهم .

وأسباب هذه الأزمات كلها أن العالم يتقدم. ونحن باقون على حالنا كعهدنا منذ أجدادنا قدماء المصريين لا شيء يطعمنا غير الأرض والحرث .

ولو نظرنا إلى تفاصيل ذلك وأثره الصحي لوجدنا الاضمحلال في الصحة العامة نتيجة عدم كفاية التغذية . ومن التعطل والبطالة نشأت عادات الاستهتار والخنا والميسر وانتشرت الأمراض السرية وأصبحنا أمام معضلة اجتماعية نفسية كالاتجار بالأعراض سواء في النساء أو اقتناص الأطفال حتى بلغ الأمر أن أفسدت أخلاقهم لإدلالهم ثم بيعوا كالرقيق وبلغ ثمن الطفل البالغ اثني عشرة سنة خمسين قرشا في إحدى القضايا التي أتلف فيها عرض ألف غلام.

وهذا يفسر لنا أزمة الزواج في المدن دون الريف . إذ أن التعطل وأسباب تسهيل المغريات وتكدس السكان جعل المراقبة والاحتياط متعذرين ولجأ المتعطلون إلى شغل أوقاتهم بالنساء فانتشرت الآفات النفسية والأمراض السرية .

ولا يوجد إحصاء دقيق لهذين المرضين في الواقع . لأن الأمراض النفسية بين الناس لا يعرف مداها لأنها مكتومة بين المرء ونفسه .

ولكن الإنسان يمكنه أن يتعرف مدى انتشارها من آثارها في حياة الناس الذين يعالجهم كطبيب عادي فيلاحظ كثرة حالات القلق النفسي في سكان المدن، وقد نشأ عن هذا القلق استهانة وعدم تقدير يعرفه كل من له احتكاك بدور أعمال تضم عددا كبيرا من الموظفين . ولكي أضرب مثلا واحدا أذكر أن مجلة الشؤون الاجتماعية ذكرت في عدد فبراير سنة ١٩٤١ أن الحاكم العسكري لمدينة القاهرة قرر فصل ثلاثة آلاف من الشبان المتطوعين للوقاية أثناء الغارات الجوية لأنهم لا يقدرون المسئولية التي تطوعوا لها . ولا شك أن هذا نتيجة حياة الاستهتار والرخاوة في الطباع وسلوك طريق الحياة المرحة أو الاستهانة بالأنفس والأعراض. بل من المؤلم أن يعترف الانسان أنه يشاهد أثر رخاوة الطباع وعدم الخشونة في أخلاق أهل المدن في زمن تتشاحن فيه الأمم بالحديد والنار مما يوحي إلى النفس العزيمة الصادقة والرجولة والشهامة .

وذلك نتيجة تكدس الأعمال المريحة في المدن ووجود الأمثلة السيئة من الاستهانة والتطرية والتبرج . فكانت القدوة السيئة لها أثرها في الشباب سواء في التذكور أو الفتيات وقلت قيمة الكرامة الشخصية .

ويتصل هذا كما ذكرت بالأمراض النفسية وخمول غرائز الشهامة والرجولة والكفاح فأصبح الكثير من سكان المدن كالفرة أو الوحوش المستأنسة قلت عزيمتها وضاعت منها تلك النزعات التي تدفع الانسان إلى السعي والكفاح في سبيل الحياة . ولا نحب أن نقول أزيد من هذا بعد ما يراه الإنسان من أثر هذه الرخاوة .

وإذا أردت أن تقوم بإحصاء نسبي بسيط فما عليك إلا أن تقف قليلا ولو وقفة عابر سبيل في أي حي وطني من أحياء القاهرة . حتى ترى حولك العشرات من الناس يسألونك ويتحدثون إليك وعشرات الأطفال يستجدون ويمدون عليك المنافذ ، ثم أدر بصرك فيما يسير حولك من الأخلاق ؟ ؟

نشأ هذا كله من تكدس السكان وقلة العمل فلو كان كل شخص مشغولا بعمل وتفرق الجماعات من الناس لقلت وسائل الإغراء وقل التزاحم الخطر .

والنتيجة العامة لهذه المباحث التي استنفدت مجلدات ضخمة — أن المصريين فقراء متعطلون ومرضى يتحدرون إلى هاوية الفقر والمرض . وبعضهم إلى هاوية الرذيلة والأمراض النفسية والجنون .

الحلول التي اقترحت : لو نظرنا إلى هذا الملخص السابق نظرة الفاحص ، وطبقناه على تاريخ الإنسانية لوجدنا أن الحالة الآن هي أشبه شيء بالهيئة الاجتماعية قبل التاريخ .

فاقتناص الأولاد والتغرير بهم وبيعهم هو الرق بأقصى وأقسى معانيه ، وكثير من القضايا أثبت أن بعض الآباء يلجأون إلى قتل فلذات أكبادهم تخلصا من النفقة أو من العار . وهذا هو الوأد الذي كان شائعا في العرب للوقاية من الذل . وإذا كان الرق قديما من الحلول البدائية فإن الحالة المالية والفقر الآن جعلا الرق نوعا خاصا من البغاء وتصيد البنات كما كان الناس قديما يسرقون الانسان ليبيعوه .

وفي القرون الوسطى ونظام الاقطاعيات بدأت تنتشر روح الرهبنة . وإذا كانت هذه الطريقة قد انتقدت الانسانية من ناحية فكثير من علماء الاجتماع يعزون إلى هذه الطريقة نشر الكسل والتواكل والتسول .

أما الإسلام فقد وضع نظاما لدرء هذا الخطر فريضة الزكاة والحسنة وبيوت المال . إلا أن ضعف الإيمان قد حوّل هذه الجهود العمرانية إلى نوع آخر من الإحسان المدني وأصبحنا نرى كثرة التكايا والمرتزقين على حساب الدين .

ووزارة الأوقاف أحد مصادر هذا الخير في مصر ، ولكن تنقصها احصائيات دقيقة عن طرق تحقيقها لويلات الانسانية .

وفي سنة ١٩٣٤ نشر الدكتور خليل بك عبد الخالق اقتراحه في شأن الالتزام العلاجي القروي .

وفي سنة ١٩٣٨ أنشيء قسم الدعاية الصحية بوزارة الصحة لنشر التعاليم الصحية على قدر حالة الفلاح .

أما فى أوروبا فقد كانت للمسألة وجهة نظر أخرى خصوصا فى انجلترا حيث سن البرلمان سنة ١٦٠١ أى من نحو ٣٤١ سنة قانون الفقراء الذى يفرض على كل قرية أن تعنى بالمسنين والعجزة وتعولهم . كما يجب عليها أى على القرية أن تجد موردا الرزق والعمل للشبان ، وذلك بأن يوكل لهيئة خاصة من القرى أن تعلم الصبيان المهن والحرف ، وأن يفتح فى كل قرية بيت للعمل يطعم فيه المتعطل و يعطى عملا يتناسب مع حاجته وقوام حياته .

وأنشئت فى كل قرية هيئة لرعاية الفقراء تأخذ الضرائب من القرية وتصرفها فى وجوه العمل لمن لا عمل له .

وفى أوائل هذا القرن بدأت حركة العمال فى انجلترا وبدأت فكرة نقابات العمال وقوانين العمال.

وفى سنة ١٩١٠ أدخل فى انجلترا نظام التأمين الاجتماعى لإعطاء معاش للعامل المتقاعد ونظام التأمين ضد التعطل بإعطاء العامل مرتبا يفى بحاجته و يقى الأمة شرور التعطل والبطالة وأدخل كذلك نظام الالتزام العلاجى .

التاريخ القريب : حدثت فى الولايات المتحدة من سنة ١٩٣٢ وما بعدها أزمة تعطل فكان عدد المتعطلين يربو على خمسة وعشرين مليونا أى نحو خمس السكان .

فجمع الرئيس روزفلت رءوس الولايات وطلب إليها وضع مشروعات لتفريج أزمة التعطل والمتعطلين ، واتخذ نظاما كالذى سنقترحه . وأنشئت طرق ومزارع ودور صناعات ولم تنقض السنتان اللتان وليتا هذا النظام حتى كانت أزمة التعطل التى خيمت على الولايات المتحدة أثرا بعد عين وفتحت المعامل وعبدت الطرق وأنشئت دور الصناعة .

وكان هذا أول مفتاح لنجاح الولايات فى الحرب الحالية ، فقد كانت مستعدة تماما لتلبية جميع المطالب الصناعية والزراعية التى طلبت منها . وصارت هى المورد الوحيد للمنتجات الزراعية والصناعية لنحو ثلاثة أرباع الدنيا فى الوقت الحاضر .

و يقول الباحثون إنه لو لم تكن هذه الخطوة اتخذت قبل الحرب لكان من الصعب على الولايات المتحدة أن تقوم بدورها المنقذ الذى قامت به فى الحرب الحالية .

فى مصر : بدأ حضرة صاحب العزة الدكتور السباعى بك (وكيل وزارة الصحة المساعد) من سنة ١٩٢٩ فكرة جديدة فى بحث علاج الحالة الصحية العامة فى مصر ، وقد يكون من الملائم أن نقتبس هنا فقرتين من محاضرته ومن كتابه فى علم الصحة حيث أشار الى وجوب وضع

الحالة الصحية موضع النظر لا بالتعاليم وحدها بل بقوانين قال فى . محاضرته فى عدد يونيه سنة ١٩٢٩ من مجلة الجمعية الصحية المصرية بوجوب الإصلاح الصحى بقوانين واقترح :

(١) قانون الزواج لوقاية الطفولة من الأمراض الخبيثة الموروثة .

(٢) جعل التعاليم الصحية من ضمن برامج التعليم .

(٣) تعديل القوانين بحيث تشمل وقاية الأمة من أخطار الأمراض .

ونقتطف هذه الجملة لنبين المقصود " إن المزارعين يهتمون بتحسين نتاج خيولهم . فإذا كان هذا الاهتمام عندنا بالحيوان ، فكم يكون الاهتمام شديدا عندما نفكر فى صحة الأمة وما يجب أن تكون عليه من القوة ؟

وفى ممالك أوروبا مثل هذه القوانين ولكن نتيجة بحثها واحد، وهو أن هناك قوانين تؤمن العامل ضد التعطل ، وضد الفقر ، وضد إهمال الأمة له .

أما الحلول التى عملت فى مصر فهى لا تزال بدائية وقد قدمنا أن الدكتور خليل عبد الخالق اقترح تعميم الالتزام العلاجى .

واقترح الدكتور نجيب محفوظ باشا تحديد النسل وعقدت لهذه الفكرة مباحثات جمة سجلتها المجلة الطبية المصرية . غير أن الحل الذى يشمل جميع الطبقات ولا يستثنى أهل المدن ولا القرى ولا البدو هو سن قانون الفقر أو الفقراء لمصر .

وكما أثمر هذا القانون فى انجلترا وهى بلد صناعى فإنه فى مصر يكون أوفى ولا يكلف الخزانة شيئا .

الفكرة الأولى للقانون :

(١) أن تكون الإقامة فى المدن محدودة بالقدرة على الكسب أو الالتحاق بعمل .

(٢) جميع من لا صناعة لهم ولا مورد رزق يرحلون إلى الأماكن التى تديرها الحكومة. وذلك بإنشاء مدن صناعية وزراعية فى الأماكن القليلة السكان .

(٣) أن تصرف جميع الأوقاف الخيرية فى الريف فلا تستأثر بها المدن فتكون مباءة للمتعطلين والمتشردين .

(٤) توزع الملاجئ والتكايا ودور الإحسان وملاجئ العجزة فى الريف .

(٥) عدم تكديس المنشآت فى المـدن " بل توزع دور الصناعات على عدة مدن " كالحال فى شركة الغزل والنسيج .

(٦) تحديد عدد الأفدنة التى تملك للشخص الواحد بما لا يتجاوز خمسة آلاف فدان حتى يمكن تشغيل رءوس الأموال فى الأعمال الصناعية .

(٧) تنفيذ مشروع الالتزام العلاجى والوقاية الصحية .

(٨) سن قانون لضريبة التركات بأن تستولى الحكومة على نسبة مختلفـة تصاعدية من التركات .

(٩) سن قانون للهجرة وتحرير الملكية . فلا تباع الملكية لغير المصريين .

(١٠) عند إنشاء أو نقل دور الاحسان والتكايا والملاجئ فى القرى يكون مركز هذه القرية وهذه المنشأة مركزا لطبيب الالتزام العلاجى . وللجنة مكونة من الطبيب ورئيس الملجأ ومندوب المصلحة المختصة أن تصرح بتناول الطعام المجانى باعتبار وجبـة واحدة فى اليوم لكل فقير يثبت للجنة أنه غير قادر على تغذية نفسه أو يثبت لها أنه فى فقر شديد .

(١١) إذا زاد ربح أى شركة عن ١٥ ٪ من رأس المـال فى السنة فإنها تكون ملزمة بدفع نصف الزيادة بموجب قانون الفقراء للحكومة أو الوزارة المهيمنة على المشروع لإنشاء مراكز صناعية أو زراعية وتحسين حالة الفقر .

(١٢) الترحيل الإجبارى الى المناطق الزراعية بعد حكم قضائى للتخفيف عن الضغط فى المدن .

(١٣) عند إنشاء دور الاحسان والملاجئ فى القرى تكون لجنة من طبيب الالتزام العلاجى ورئيس المؤسسة ومندوب من الداخلية تخرج أى شخص قادر على العمل بعد أن تجد عملا له تحت إشرافها . فاذا امتنع قدم لمحكمة تحكم بترحيله الى مناطق العمل الإجبارى .

(١٤) مناطق العمل الاجبارى هى المنشئات الحكومية التى تعمل للصالح العام كحفر الترع والمشروعات .

(١٥) يخصص من أطيان القرية واحد فى المـائة ليزرع خضرا كالفجل والجرجير ويوزع على فقراء القرية مداواة للنقص الفيتامينى بواسطة مركز الالتزام العلاجى .

(١٦) جميع أموال المشروع تخصص أولا لإبادة جميع الأمراض المتوطنة السالفة الذكر .

(١٧) ترصد الأموال المتجمعة لإعادة بناء القرى ، وتمويل المشروعات الصناعية .

(١٨) يطبق ما عمله الرئيس روزفلت الحالى على تنشيط الشعب ووقايته من الجوع كما حدث فى أمريكا من سنة ٣٥ الى ٣٩

هذه هى الفكرة البدائية لقانون الفقر فى مصر ، ولا شك أنها متى التفت اليها الباحثون أدخلوا عليها من التعديل مايضمن نجاحها لرفع مستوى الأمة ماليا وصحيا بما يضمن مستقبلا ثابتا للعائلة المصرية .

كلمة ختامية : يقول بعض المعترضين على سنّ قانون الفقراء فى البلاد الزراعية إن الصناعة شيء والزراعة شيء آخر ، إذ أن السبب فى عمل قوانين العمال هو حمايتهم من التعطل. أما الزراعة فهى مهنة لا تعطل فيها .

والباحث يرى أن الزارع أو الفلاح المصرى محتاج لحماية أكثر مما يحتاج اليها الصانع لأن أخطار الزراعة فى مصر أكثر من أخطار العمل . فالزراعة تعرض الناس لأمراض لا يمكنهم الوقايه منها ؛ إما بسبب العمل نفسه أو بسبب عدم قدرتهم على الوقاية .

والزراعة كحرفة تجبر الناس على الرضوخ لنظام مالى قديم لا يمكن إنقاذ الفلاح منه إلا بسن قانون يحميه ، كما حمت جمعيات العمال أعضاءها من مخاطر العمل ، وأمراض العمل ، والتعطل .

إن الضمير الانسانى وحده هو الذى يجعل مشكلة الفلاح فى عنق كل مفكر . وكل قادر على التنفيذ . والضمير الحى هو من يستجيب النداء .

الدكتور

حسين الهراوى

المرأة الحديثة والاجتماع فى الشرق والغرب

بقلم الأستاذ محمد لطفى جمعه

قال أحد مشاهير الكتاب المعتدلين المحافظين [١] ممن لا يمكن أن يعزى إليهم الخوف أو القلق أو النقمة على شيء لتمتعه بكل الثمرات والخيرات التى أنتجها العصر الحديث فى صحيفة تعد من أمهات الصحف المحافظة :

" الانزعاج والقلق حالة نفسية تبدو فى ظروف خاصة بين الأفراد والجماعات على حد سواء ، وقد تتولد من اسباب معروفة ملموسة كما تنشأ من أسباب معنوية يتعسر تحليلها . ولعل أصدق ما توصف به حالتنا فى هذه الأيام أنها حالة قلق وانزعاج تسيطر على نفوسنا افرادا وجماعات ، تبدو مظاهر هذا الانزعاج وذلك القلق فى حياتنا الخاصة وفى حياتنا العامة ، وأثر هذه فى تلك جلى واضح كما أنها تبدو فى شؤوننا الاقتصادية والسياسية ... ... لا يستطيع الفرد أن يبنى حسابه على أساس ثابت معروف وهو فى كلا الحالين يتخبط فى الظلام. والضرائب تلقى معارضة عنيفة فى مجلس النواب وقد يكون شأن الأيلولة والمهن الحرة والدفاع شأن الأرباح الاستثنائية ، وكل هذا مصدر قلق وانزعاج. وفى الحالة السياسية مثل هذا القلق والانزعاج وأسبابها التعب والملل وحرب الأعصاب ، نمسى ونصبح بين أنباء القتال والمعارك فى الشرق والغرب . فى كل مكان روح القلق والانزعاج الخ ... "

هذا الروح روح القلق والانزعاج ليس مصدره الحرب وحدها ولا الأزمة المالية ولا عدم الثقة ولا الخوف من الغداة فى العشية أو من العشية فى الغداة . ولكنه ملازم لروح العصر الحديث ، فلو لم تكن الحرب لكانت مخاوف أخرى للأفراد والجماعات ، غير أن الحرب طعم أو لقاح جديد أضيف إلى شجرة الحياة فزادها مرارة واهتزازا تحت العاصفة. وإن الطبيعة البشرية قادرة على التحمل والتضحية وتخدير الذات وخداع النفس بما يفوق التصديق . فإن الانسان المتحضر — حتى فى البلاد الشرقية — يمكنه أن يخفى حقيقة حال شعوره ، حتى لا يبين منها شيء فقد أتقن كل ضروب الرياء والنفاق الاجتماعى بما تلقاه بنفسه و بما ورثه و بما ركب فى فطرته بدون وراثة و بما أرغم عليه لمجاراة المجتمع تعلقا بحاجاته وبرغباته وأهوائه . وأن تصوير ذلك وتحليله وتعليله يقتضى وضع الكتب الضخمة وقد وضعت هذه الكتب فعلا ولم تفد إلا فى فتح أبواب جديدة فى النفاق والرياء واتخاذ وسائل حديثة لاتقاء الفضيحة ، والشرق والغرب فى ذلك سيان لا يفترق أحدهما عن الآخر .

---

[١] اعنى به مورى الكاتب الاجتماعى والمؤرخ الشهير فى مجلة « العصر الجديد »

ومن المسائل التي تصور حقيقة الحال ووصف الوسائل التي يتخذها المجتمع للتفعمية والتعمية وينساق منها الى ما نسميه نحن أسباب أو سبيل الفساد، ما اخترعته الثورة الفرنسية ونقلته عنها أمم العالم وهو مايسمى بالولائم والحفلات والاعياد. وقد جنت الثورة الفرنسوية بهذا النوع من الحياة الاجتماعية ، لأنها صبغته بصبغة رسمية وأشركت فيه رجال الحكومة بجعلت بذلك غيرها من الحكومات فى حل من تقليدها حتى صارت الحفلات والأعياد والذكريات تقاليد قومية وشعبية وكوارث رسمية . فكان لهم عيد الحرية أو سقوط سجن الباستيل فى ١٤ يوليه ، وعيد الكائن الأعلى (ابتكره روبزبير) وقد اتخذتها الثورة لتنسى الشعب حلاوة أعياد الملوك الذين كان عهدهم فى الفترة السابقة للثورة براقا خلابا، فأمعنت فرنسا فى فتح باب الشهوات على مصراعيه، واطلاق الغرائز البشرية بعضها على بعض بلاشرط ولا قيد، بحجة أن هذا فرع من الحرية والترفيه عن الشعب وتسجيل الامجاد، ووافق ذلك شهوات رجال الحكومات ونسائهم الشرعيات والمحظيات فكانوا هم أسبق الناس الى تشريع القوانين الفاتحة لأبواب هذه الشهوات؛ ثم سرت العادة بالتقليد فصار لكل رجل وامرأة عيد ميلاد وعيد ملاذ، وأعياد فضية وذهبية وماسية وجمعوا بين أعياد الدولة وأعياد الأفراد وإن كان مظهرها واحدا فهو الطعام والشراب والرقص فى الأماكن العامة والخاصة، وقد شهدنا من الفضائح والجرائم أيام السلم والطمأنينة فى هذه الأعياد ما تقشعر له الأبدان ويندى أوجه الفجار بالخجل، دع عنك الفضلاء والمتوسطين من الناس. فان هذه الحفلات السنوية والنصفية والشهرية والاعياد الموسمية والربيعية تتحول إلى اجتماعات للسكر والفجور . ولعله يهولك أن تعلم أن البلاد الشرقية الاسلامية قد وقعت فى حبائل التقليد وانقادت للقوى الخفية التى تدفع بها الى مهواة الهلاك السريع فابتكرت السيدات ولفيف من الأعازب والمحترفين ، الأعياد للجمعيات والحفلات للجماعات. وأخذوا يلتمسون أو هى الاسباب لها فهذه للأفراح وتلك للميلاد وهذه للختان ولانقضاء أسبوع على مجيء مولود سعيد الى العالم يحيي أبواه عيده بعد ذلك كل عام، وهذه جمعية خيرية أو اجتماعية تقيم الحفل لاعاشة الشيخ أو رعاية الطفل أو معونة الفقير. وفى كل من هذه يطعم الطعام وتشرب الخمر وتنصب أسواق الرقص على أنغام الموسيقى وتحصل المخاصرة بعد المعاقرة ويصحبها اللمس والهمس ويقام للدعارة صرح عال أساسه كهول وشبان وفتيات بريئات ونسوة محرومات وصائدات، فتنتهك الأعراض وتنفذ الأغراض وتداس الحقوق وتنشر المعصية والعقوق وتفسد حياة نساء لم تكن لتفسد لو لم تتشجع إحداهن بما تراه ممن هن أكبر منها سنا وأرفع مقاما فى نظر المجتمع ولكنهن أيضا عاليات الكعوب فى الفجور، حتى لمس الإباحة فى ظل الشعور المصبوغة واحتضن الشباب

نظم Robespierre عيدا دينيا لتمجيد ما وضعه Etre Suprême

من الرجال بعد أن ودعهن الشباب فى خريف الحياة . ولم يكن هذا الفعل كافيا بل وجب استغلاله وتخليده فى بعض الصحف والمجلات الداعرة التى تؤجر على ذلك وتجنى ثمرات فساد الحياة، فإن أصحاب هذه المطبوعات يبعثون إلى الدور والقصور بأفراد لاعمل لهم ولا رزق إلا تصوير هذه المفاسد فى أوضاع تستهوى من لم يشهدوها وتصورهم على حقيقتهم فى طعامهم وشرابهم ورقصهم وغنائهم، وقد سفر النساء جميعا أثناء الرقص أو الغزل وتحت كل صورة اسم صاحبتها وصفتها واسم زوجها، وهى عنوان كاف للدلالة عليها، وكذلك العذارى والفتيات وهم يقلدون فى ذلك بيوت الملك فى أوروبا وكبار السراة الذين لم يكن غيرهم تنشر صورته . أما الآن فأحقر رجل وأفقر مواطن لو لم يكونا موظفين أو تاجرين بل كان أحدهما مرابيا صغيرا وكان الآخر عاملا فإنهما لقاء جعل معين يحصلان على صورة تمثلهما وبناتهما وأخواتهما وأصدقائهم ، ولقاء جعل آخر تنشرها مجلة أو جريدة بألقاب وأسماء يصحبها التفخيم والتعظيم . وقد أبرزت كل واحدة دمامتها وضخامتها ولكنها واثقة من أنها تجد فى سوق الفساد شاريا أو هاويا . وقد جعلوا أماكن الفجور فى مسارح الصور المتحركة حيث تجتمع الطبقات فى كل ليلة فى مكان، فهذا المسرح أولى لياليه الاثنين والآخر الثلاثاء والأربعاء والخميس وهكذا، وهذا تواطؤ بين أصحاب تلك الأماكن ليجمعوا بين جلب النظار بحجة الافتتاح، وهناك يجتمع الرجال بالنساء ويختلط الحابل بالنابل تحت ستار الظلام وفى فترات الاستراحة؛ ولهذه الأماكن شهرة سيئة فى كل الأقطار منذ نشأتها وقد زادت منذ بالغوا فى زينتها وجعلوها ملائمة لاجتماع الطبقات حتى أن الحاضرين والحاضرات لايشتغلون بما يشهدونه بقدر ما يشغلون بأقوالهم وأحوالهم وتواريخ اجتماعهم ومواعيدهم الخ .

وأن المرأة قد مثلت فى كل جيل وعصر متأسية واستعبدت الرجال وأثرت فى حياتهم مؤثرات مختلفة الألوان والأنواع ، فقد أعدمت كليوبترا رجلين من رجال رومه وهما قيصر وأنطونيوس ، واستولت اسبازيا على حياة بركليس وأفكاره ، وكانت هيلانه سببا فى حرب طروادة وخراب وطنها وغيره من الأوطان، وكانت قيصرة روسيا المستهترة لعلاقتها بالقسيس راسبوتين سببا فى هدم عهد القيصرية، وقد قلدها النساء فى اتخاذ أخدان من الخدم والفلاحين والمجذوبين وأدعياء القداسة، وكانت فى فرنسا السابقة على الثورة نساء تمكنت كل منهن من الاستيلاء على قلب ملك أو وزير أو أى رجل من رجال الدولة حتى تصير إرادتها جزءا من دستور الدولة ، كما كانت حال المرأتين دوباري و بومبا دور ، وقد سرت هذه البدعة السيئة إلى حياة العصر الحديث ، ولئن كانت فى الماضى ستور تخفى وراءها حقائق الفجور ومظالم الملوك والأمراء فى الأزمنة السالفة . إلا أن تلك الستور قد أزيلت وأصبحت مظاهر الفوضى والفساد وتحكم المرأة فى الحياة واضحة العيان، وأصبحت موضعا للفخار والمباهاة والتحدث بنعمة الحظ والاطلاع على هذه المرأة أو تلك التى نالت القرب من الرجل ذى الشأن .

وقد تكون شرور المرأة مقصورة على الرجل الذى تلاحقه فتؤدى علاقتها به إلى إفلاسه أو مرضه أو سقوط همته وضياع مروءته أو فقد منصبه، وقد تجلب الشقاء على أولاد له أو زوجة سابقة، وهذه على كل حال تعد امرأة لا خطر لها على الدولة ولا الجمهرة مادام الشر الناجم عنها مقصورا على الرجل الذى يسلم إليها قياده فتكون دائرة فتكها محصورة ، أما المرأة التى عاثت فسادا وأشعلت النيران وهدمت بنيان الدولة وحطمت جدرانها بمعاول مطامعها وشهواتها فهى واحدة من النوع الذى ظهر فى العصر الحديث واستخصب مراعى الحكومات الآفنة المعطوبة وجعلت نفسها واحدة من جماعة أو عصابة منظمة أساس حياتها استغلال الدولة واستثمارها حتى القضاء عليها ، فاذا أدركتهن أوائل الأخطار أو علائم الزوال همن على رءوسهن هن وأصحابهن وصواحبهن ، وعند بداية الانحلال والتفكك تظهر مغامرات هذا النوع من النساء، وأكبر مثل لهن فى قصة عقد الملكة قبيل الثورة الفرنسية وقد كانت الدعارة والرشوة وعجز الرجال والسلب والظلم والاستعباد ، وقد كانت هى ومثلث أخرى من الرذائل وعلائم الزوال، وإن هذه النكبات القومية التى تتوالى على الأمم بسبب الرغبات الجامحة عند فئة قليلة من سادتها ونساء يكون معظمهن مفقود العقل ومحروما من الوازع الخلقى والدينى تتجدد فى كل عصر ومصر عند مايبدأ دبيب الفناء إلى عناصرها ، وهذه القوى الشريرة تكمن وتظهر وتعتبر الحياة فريسة يجب اقتناصها وضحية لا يتردد الشرار فى القضاء عليها . ومثلها كمثل جراثيم الأدواء الفتاكة التى تبقى فى الجسم المصاب كامنة عشرات السنين حتى يحسب العليل والطبيب أن صاحب الجسم المصاب قد برئ من الداء فلا يلبث أن يشهد هجوم الجراثيم الكامنة هجوما فظيعا كأنها لم تكن إلا لتستجم وتتخذ عدة وتستمد قوة جديدة ، لأجل هذا لايقول إلا أبله بأن عصرا من العصور قد طهر ونظف وخلا من عناصر الشر، أو أن عصرا خير من عصر، أو أن دينا ما تمكن من القضاء على الرذائل بدون تدخل السلطان، أو أن هداية روحية هبطت على الدنيا فانقتها من الأدران. فإنه ما دامت المرأة تلك المرأة وما دام المال هو الحكم الأعلى والشهوات والأهواء متمكنة من النفوس فالبقية تأتى تبعا بغير تأخير. وإن الطبيعة البشرية تبقى على حالتها مهما تغيرت حركة الحياة وكل الذى طرأ على الدنيا فى الستين سنة الأخيرة حلول الصناعة محل الزراعة وتحكم آلات الحديد والنار فى حياة الأمم وطروء السرعة الخاطفة على سير الزمان . ولكن أى دخل لهذا التغيير فى تبديل النفوس أو تحويل الأخلاق، ان لم يكن ميل إلى التنعم الزائد والتفنن فى ربح الأموال واتساع نطاق المطامع والاستهانة بالحياة، وصبغ المعيشة بصبغة التنقل الدائم والسفر الذى لا نهاية له ، وعجز الأمم عن إنتاج رجال ناضجين ونساء فضليات ، وعجز العقول عن إنتاج علوم وآداب نافعة بجانب الاختراعات الميكانيكية والآلية التى تعقد الحياة ولا تبسطها والتى تساعد على تكويم الثروات عند أفراد الرأسماليين والعمل على تقريب حوادث الحياة

وشخصيات الحياة من حوادث الصور المتحركة وشخصيات الصور المتحركة وجعل كل شيء على هيئة صورة مصغرة من الأخيلة والأوهام والتكالب على تمثيل أدوار ولو قصيرة جدا على مسارح الحياة، وهؤلاء جميعا رجالا ونساء ثمرات لعصر السرعة وجيل انتهاز الفرصة والذين يوصفون بأهل العاجلة حسا ومعنى .

ومن أظهر علامات الجيل المنحل المضطرب تدخل المرأة في الحياة العامة من وراء الستار . فان اهتمام المرأة بالشؤون العامة كان دائما أكذوبة ووسيلة للاتصال بالرجال وحيلة للانتقام من بعضهم أو من بعض النساء المتزاحمات على مصالح شخصية . فالمرأة بطبيعتها تنفر من الحياة العامة ولا تطمئن لها ولا تثق بنفسها في أحضانها إلا للشهوات سواء أكان في أمور الدين أم أمور الدنيا، وكل ما ظهرن به في هذا السبيل كان بدعة سيئة ومخزاة ومدرجة للفجور . والمرأة التي اشتغلت بالشؤون العامة جلبت الدمار دائما على من أطاع هواها أو صدق بها وإنها لا تتخذها إلا غطاء أو رداء لتخفي به غايتها فإذا وصلت إليها ضربت بالحياة العامة عرض الحائط . وهي مقلدة دائما لميول الرجل الذي تتصل به فإن كان بحارا أو نجارا أو عيارا أو زمارا أو طيارا اشتغلت بقلبها وذهنها بالملاحة أو النجارة أو الصيارة أو الزمر أو الطيران حتى إذا انتقل هواها الى زارع أو صانع أو حائك أو صائغ أو دهان أو عجان انتقلت هي الأخرى بقلبها وعقلها الى الزراعة والصناعة والحياكة والصياغة والدهانة والعجانة، فهي أبدا تابعة لا متبوعة وتابعة ما دامت متعلقة أو منتفعة، وفي المجتمع الناضج السليم لا ترى لها أثرا ولا تحس لها وجودا بل تبقى قابعة خاضعة ناضة في بيتها فاذا مال ميزان المجتمع وبدأ الفساد يدب فيه ظهر أثرها وتجلت في الفضاء وتحللت من كل القيود لتقود الجميع إلى الخراب، فإذا حدث بالمصادفة أن كان رجلها سياسيا اشتغلت بالسياسة [1] . وعند ما قامت المرأة العملاق بانكهرست بالدعاية لانتخاب النسوة في البرلمان كانت تفكر بعقل رجل لأنها فقدت أنوثتها وقد لا قت أهوالا هي ومن اتبع هواها، وكانت ذات قسوة وفظاعة، فقد تعدت على بعض الوزراء بضرب السياط على وجوههم في الأماكن العامة . وكان من برود دمائهم وهدوء أعصابهم أنهم لم يحنقوا على المرأة وأعانوها بعد بضع سنين على دخول مجلس النواب، ولكن هذه التجربة بل المحنة التي دامت عشرين عاما لم تسفر عن نتيجة سارة أو محزنة . وكل ما في أمرها أن بضع نساء ذوات مال ومنصب جلسن بين الرجال واتخذن هيئة خاصة بالقبعات أو ألوان الثياب أو اعوجاج الخصور أو خفض الجفون، ولم نسمع لإحداهن كلمة جامعة أو موعظة حسنة [2] أو رأيا حصيفا يخرج الأمة أو جماعة من الأمة من الظلمات

---

(١) برتران رسل في كتب "طرائق الحرية" في الكلام على طبيعة المرأة .

(٢) تلاثون عاما في البرلمان تأليف (لنكلن) .

إلى النور، وكان الفرنسيون على طيشهم ورعونتهم وتسليم ذقونهم وأنوفهم ولحاهم الى النساء أكثر حرصا فلم يساعدوا على منح المرأة حق التصويت إلا فى المآتم ! ولا أعلم عن نساء انجليزيات أثرن فى السياسة بقدر ما فعل بعض الفرنسيات ولا سيما اللواتى كانت لهن علاقة برجال السياسة . وعند ما تناول هؤلاء النساء الفرنسيات أمور السياسة لم يكن عاملات فيها لأثر حسن أو نافع، ولكن لإشباع الشهوات الجامحة ودس الدسائس و إشعال نار الفتن وتحريك الأشباح من وراء الستار بخيوط المكايد، وكن يعملن لإدناء رجال من أحبابهن وأقاربهن و إبعاد أعدائهن وخصومهن؛ فيحرزن الوظائف الربيحة لعاشق أو حليف أو شقيق أو كاتم أسرار أو خليل متوار عن الأنظار، ويقصين عن المنافع عشيقا قديما بغيضا أو مطلقا عنيدا أو زوج مزاحمة معاكسة، و بالطبع دون اعتبار لصدق أو إخلاص أو منفعة عامة فيلقين بمال الدولة وشرفها وكفاية حكومتها ويدنينها فى سهولة وابتسامة مرحة من الهوة السحيقة التى تتحدر اليها بغير حذر. كل هذا وهن فاقدات الأفئدة والضمائر مظلمات النفوس عاملات على إعدام النسل بتاتا إذ يرين الخلف والأمومة عارا للطبقة العاليـة وتشويها للجمال وحجة حية على بلوغهن الكبر إذا نما الخلف وترعرع ؛ ومن أمثالهن أن الثوب القصير للبنت يطيل شباب الأم الخ، وقد اتخذت قاعات الضيافة أو "الصالون" مجامع ومسارح للفتن والدس والرشوة والفسوق وقضاء الأعمال بتأثير الخمور والقمار والغزل والإباحة، فتقول إحداهن إنها قادرة على إسقاط وزارة وتنصيب أخرى و إفلاس شركة وفتح بنك وهز دعائم المجتمع وابتلاع عهد، دع عنك إنجاح كاتب وشاعر وانتخاب آخرين للأكاديمية الأدبية وهن يفعلن، وقد سنت هذه السنة المرأة تاليان[1] أثناء الثورة؛ وتزوج بونابرت بالأنثى جوزفين، التى صارت أمبراطورة فرنسا، وابن أخيه نابليون الثالث بالأنثى أوجينى التى صارت هى الأخرى امبراطورة فرنسا من هذه الصالونات الإباحية .

وفى العهد الحديث عند بداية التدهور ظهر نساء بأسماء ماركيزات و بارونات ودوقات (وهى ألقاب مشتراة من وارثين مفلسين أو من بابوات رومة، و إحداهن بنت بدال (بقال) والأخرى كريمة صانع صناديق السمك لمخترن، وثالثة أبوها خمار، وتجد إحداهن تلتقط رجلا تراه صاعدا فى أفق المجد لمواهبه على فقره وسـوء هندامه وقلة عنايته بشخصه كما هى عادة النوابغ فتؤويه وتحسن حاله وتعنى بمظهره وتزج به فى ساحة المجتمع فتكون له حاشية وأنصارا ومحبذين مأجورين ، فإذا صعد[2] استغلته واستثمرته وشجعته و بذلت له كل ما يحتاج اليه النابغ المحروم من التشجيع فينصرف تدريجا عن المنفعة العامة أو يجعلها

---

(١) Tallien انظر تاريخ بونابرت تأليف بوريين Bourienne .

(١) قضية مدام كايو فى مجموعة قضايا ١٩١٤ تأليف Ceo. London .

ترد مواردها عفوا ومصادفة وهو متجه بكليته لإرضاء مطالب المرأة التى أنقذته وكونته وإلى إرضاء الذين التفوا حوله فى الساعة الأولى ، وقد روى هذا وكتب فى صحف وقضايا ومذكرات عن اريستيدبريان وعن دلاديبه وبيركو وعن جمبتا نفسه الذى قتل قتلا غامضا بيد المرأة التى مثلت معه هذا الدور ، وعن فيلكس فور الذى مات بسكتة قلبية . وقد تكون المرأة منهن ذات جمال ومال وشباب ولكنها ترتمى على دميم خلق لا يميزه إلا ذكاؤه أو خبثه كالمرأة دومنيكا بوجتيوم صاحبة البرسارو أحد وزراء العهد الأخير، وحتى أندريه تارديو الذى زعموه من أقدر الكتاب والساسة وله كتب قيمة ومقالات وجيهة فى السياسة الخارجية وكانت له مطامع فى ديكتاتورية فرنسا كان واقعا تحت قبضة مريم ماركيه الممثلة فملأت قلبه بالمطامع وأوهمته أنه لا يقل عن بونابرت وقد يصبح حاكما بأمره فوصل الى رياسة الوزارة ثم هوى، وقد قامت بعد حرب السبعين وقبلها بقليل مدام جولييت آدم بأدوار كثيرة وحكمت فرنسا من قصرها مذ كانت حرما لمحافظ باريس فرفعت قوادا إلى مناصب الفرقاء، وأدخلت رجالا إلى ساحة الأكاديمى، وأقامت وزراء وجردت حملات للحرب فى المستعمرات، وكانت صديقة للملكات والأمراء، وكان من سوء حظها أن عمرت ورأت بعينها صروح مجدها ومجد فرنسا تنهار، وقد ماتت فى المائة من عمرها بعد أن نسيها كل من عرفها، وقد قال محرر جريدة الطان فى سنة ١٩١٠ "إن اسم طالب علم له أثر فى أذهاننا أقوى من أثر اسم مدام جولييت آدم" وقد ماتت فى فقر مدقع وحيدة فى قصرها بجيف من ضواحى باريس. ولكن هذه الكاتبة لم تكن من اللواتى استعملن الفساد فى الوصول الى الغايات لأن عهدها كان أقرب الى الحسنى، ولم تكن فرنسا قد هبطت الى الدرك الذى نزلت اليه فى الأربعين سنة الأخيرة .

وكانت سياسة الصحف والشؤون الخارجية تدار فى منازل كونتيس مارتا وسوزان شربير وكونتس داركور ومونتجومرى؛ ومنهن نساء مستأسدات يلجأن الى القوة ويطلقن النار على من يدفعهن أو يعصاهن، كما هى قصة المرأة كايو زوجة الوزير التى صرعت جاستون كالميت مدير جريدة الفيجارو [1] والمرأة ستنهايل التى جهرت وفخرت بعلاقتها بفيلكس فور ولطخت يديها بدماء زوجها وخرجت من محكمة الجنايات "رافعة الرأس موفورة الكرامة"...!! والمرأة ماجدافونتانج التى أطلقت النار على شارل دى شامبرون وزير فرنسا المفوض وسفيرها فى رون. ومنهن هيلين دى بورتس التى فاقت بفتنتها هيلين دى تروا فقد أعانت ابن عمها على تأسيس حزب صليب الحديد [2] ولعبت بقلوب الوزراء وعقولهن عند ما حان حين فرنسا

---

(١) فى يونيه سنة ١٩١٤ قبيل الحرب العامة الأولى بقليل .

(٢) قضية (Cagoulard) الشهيرة سنة ١٩٣٧

سنة ١٩٣٩ ثم لحقت ببول رينو فحاكت خيوطها حوله ، وكان الرجل كهلا والمرأة فتية لا يزيد عمرها عن نصف عمره . وكان رجل جد ووقار وهمة وقد يبدو على خلقه بعض الجفاء والجفاف ولا سيما انه بدأ يخطو الخطوات الأولى فى العقد السادس ولكن المرأة الفاتنة لا تعوزها الحيلة إذا أرادت أن تلقى شباكها على رجل ، ولم يكن بول رينو أول رجل ذى شهرة واسعة ولباقة وحصافة ومطامع واستقلال فى الرأى وقوة فى العزيمة والإرادة ، يدركه تأثير المرأة فى إبان عظمته الفكرية وتشييد مستقبله الضخم فى خياله فعصف بكل هذه الآمال والمواهب كما تعصف ريح السموم بقوافل الصحراء ، أو بالجنان الخضراء فتشتتها وتذروها أو تتركها خرابا يبابا فإن قوة المرأة الشريرة كقوة عناصر الطبيعة . فإن كان الفاتنة والعاصفة الجامحة والنهر الذى يطغى فيضانه إن لم تفقها قوة الشر فى المرأة فهى لا تقل عنها حتما . وأنها لأداة من أدوات الأقضية والأقدار ، ولذا أطلق الفرنسيون على هذه المرأة اسم Femme Fatale أى مرأة القدر ، وهو اسم لا يطلق على صواحب الخير مطلقا بل أبدا ودائما على صواحب الشر والأذى ، ولأجل المقارنة العارضة بين هذا النوع و بين النساء اللواتى ورد ذكرهن فى التواريخ القديمة ، فما على القارئ إلا أن يتذكر اسم إسبازيا تلك المقنعة التى شغفت حبا بپركليس وأعجبت به لفصاحته وثباته [1] و بطولته فاستهوته ولكنها خدمت عبقريته وتعمدت أن تكون نافعة له فكان عصره من أحفل العصور واجداها على وطنه بمساعدة هذه المرأة التى كانت فى أول أمرها مجهولة ؛ أما فى هذا العصر الحديث فكل أفراد هذا النوع من النساء منصرف الى الشر المحض و إن المرأة لا تدنو من الرجل العظيم إلا لتفسد حياته بعد أن تستغله لمصلحتها ومصلحة ذويها وتتخذ منه أداة لأغراضها ، وهكذا فعلت المرأة هيلين دى بورتس التى وصفها الفرنسيون باسم " جالبة الخراب " فقد تصنعت البساطة والسذاجة و جمعت قدرتها وقضت أوقاتها فى توحيد رينو وعزلته و إفراده فعملت على إقصاء أصدقائه المخلصين بالمكايد والفتن والوقيعة والوشاية والنميمة وأوهمته بأنهم وهم الذين كانوا بالأمس أنصاره ومعاونيه قد صاروا ألد أعدائه ، وأحلت محلهم من شاءت من الخونة " واللصوص الشرفاء " وقد هيأتهم من قبل ، وأعدت لهم نفسية العبقرى الساذج الذى قد يكون عقله كعقول الأطفال فيما عدا ما جهزته به الطبيعة من حذق فى السياسة أو مهارة فى الحياة العابسة ، فلما أطبقت الحوادث على فرنسا وكانت آمالها محصورة فيه كان رينو قد صار " بقية رجل " وشبحا من الماضى .

ولم تكتف المرأة الفاتنة والغانية الساحرة بهذا الخبال الذى أورثته إياه بل ما زالت تعمل على تحطيم روحه و إضعاف ارادته وتخذيل همته للقضاء على البقية الباقية من شخصيته ، وقد وافتها منيتها عند ماوافت رينو سقطته فقد اصطدمت سيارته التى يقودها و إلى جانبه تلك " الأفعى

---

(١) Pericles et Aspasie فى تاريخ بلوطارخوس ونشأة الديموقراطية .

المطية " كأن أجلها كان مربوطا بمركبة فرنسا فلفظت تلك المرأة أنفاسها الأخيرة قبيل التسليم التاريخي بوقت قصير . وقد شاع وذاع في ذلك الوقت أن رئيس قتل وراح ضحية الحادثة وتداركوه في الرمق الأخير فانقذوه مهشما محطما فانهضوه وعصبوا رأسه وكانت هذه الواقعة ختام علاقته بها. هل كانت حادثة عارضة أم كانت رغبة غامضة أدركت الرجل عند الضيق فأراد الموت لنفسه وهنا وقد تيقظ يقظة الضمير الأخيرة ورأى في طرفة عين كل ما جنته هذه المرأة عليه وعلى شعبه. وسيبقى هذا الأمر سرا مكتوما ان كانت جناية قتل فقد استحقتها المرأة، وقطع الرقبة تحت عجلات السيارة كقطع الرقبة بيد السياف، أو على نطع الجلاد ، أو تحت مدية المقصلة .

* * *

هذه صورة من صور العصر الحديث وصفناها بايجاز لنعطي فكرة عن العصر الذي نحاول وصفه ويعجزنا تراكم الحوادث وتسابقها كأنها شريط تصاوير متحركة ازدحمت بها رأس المؤلف والمخرج والمصور قبل أن تزدحم بها رءوس النظارة . وهذا طرف وجيز من حياة المرأة في الاجتماع الحديث الذي تشعبت طرائقه وتعددت نواحيه . ولون من مسالك المرأة التي كانت مفترضة أن تكون للخير المحض ولسعادة المجتمع وكأن حلقة الاتصال بين الماضي والحاضر مصنوعة من الفولاذ لا يعتورها لين ولا يدركها انثناء وقد كان في التشريع الاسلامي الخاص بالمرأة خير ضمان لها وللرجل وللأسرة الاسلامية، فعلى المرأة المسلمة ولا سيما المصرية ترعوى وتعتدل لتنجو من الأخطار وتنجو معها الأمة .

محمد لطفي جمعه

موسيقى المخمورين !
وأغانى المخدورين التائهين !

بقلم الأستاذ " س . . . "

استمع إلى أية مقطوعة موسيقية أو غنائية — إلا الشاذ النادر — مما يذاع آناء الليل وأطراف النهار فى مصر يخيل إليك أن عازفها أو مغنيها مخمور يعزف لمخمورين ، ومخدور تائه عن الوعى ينشد لمخدورين تائهى العقول ، فاذا أفاق أو أفاقوا بطل العزف والغناء ، وبطل الطرب والاستماع ؟

ما من قطعة أو لحن إلا وهو يخيل للحس مجلس شراب ، تفوح فيه رائحة البخور ، ويعبق فيه أريج المجامر ، ويتصاعد منه دخان النرجيلة ، وقد جلس المستمعون على " الشلت " مخمورين مخدورين مفككى الأوصال ، عيونهم نصف مغمضة ، وأذهانهم شاردة ذاهلة ، تجيش فى أجسادهم شهوات ، وتسبح فى أذهانهم " تهيؤات " تصور لهم اللحم العارى والنزوات الحيوانية ، فلا يقعدهم عنها إلا الخمار والدوار !

وليست المسألة مسألة ألفاظ رخيصة أومائعة مما يأخذه بعض النقاد على الأغانى المصرية فى هذه الأيام ، ولكنها مسألة روح التلحين وروح التطريب التى تغلب على الموسيقى والغناء حتى لتتبدل الألفاظ وتتغير المعانى وتتحور العناوين ، ثم تبقى بعد ذلك كله روح الأداء الرخية المتكسرة ، وروح التلحين المائعة التائهة ، تخرج نغمات السكارى وتصور تهيؤات المخدورين وتتحدث عن الشهوة المريضة فى أجساد منحلة مخمورة !

وعبث أن نلوم محطة الإذاعة أو أن نلوم المؤلفين ، ما دام الملحنون والمطربون كافة هذه روحهم وتلك نشأتهم ؛ فالعيب هو عيب النشأة الموسيقية فى الشرق العربى كله ، إذ أن ما تدعوه " موسيقى شرقية " مأخوذ فى أصله عن الموسيقى الفارسية التى نقلها الجوارى والعازفون من الفرس إلى قصور الخلفاء وغير الخلفاء ، تلبية لمجالس الشراب والقيان دون غيرها من الأغراض .

خلقت هذه الموسيقى إذن لتلك المجالس التى تحدثنا عنها " ألف ليلة وليلة " حجرات مقفلة كل من فيها سكارى مخدورون ، تطوف عليهم الساقيات عاريات أو شبه عاريات بالكؤوس والأباريق ويعبق دخان النرجيلة والبخور فوق رءوسهم ، حتى تخدر أوصالهم

وتسبح خيالاتهم، ثم تعزف لهم الجوارى أو يغنى لهم المطربون، فيتمايلون من السكر والنغم، وأمامهم اللحم الرخيص ، ووراءهم المقصورات فيها كذلك لحم رخيص !

لم يكن لهذه الموسيقى آفاق أخرى غير آفاق السكر والشهوة ، إلا ما يتخللها فى بعض الأحيان من التعبير عن الكبت والحرمان ! والعبرة فى هذا بروح اللحن لا بألفاظ الأغنية ، فقد يعى التاريخ كثيرا من الأغانى فى غير الغزل وغير البكاء، ولكن المجالس التى كانت هذه الأغانى تقال فيها لا يمكن أن تخرج لحنا خاليا من التطريب المخدور والتميع المتمايل ذات اليمين وذات الشمال تلبية للسكر والخمار !

ونحن نشهد أمثلة لهذا فى بعض أغانينا، فهناك أناشيد وطنية يخرجها المطربون وكأنها رقصات متخاذلة وتميعات متراخية ، وتأوهات حزينة ، مع أن ألفاظها وأوزانها تنضح بالقوة وتضج بالفتوة . فيجب ألا تخدعنا الألفاظ عن طريقة الأداء ، والموسيقى التى تنشأ فى جو مجالس الشراب لا تستطيع أن تؤدى مطالب الحياة الأخرى ، ولا أن تسمو فوق نداء الأجساد المهزولة ، ونزوات الأرواح المهدودة !

العيب إذن هو عيب هذه " الموسيقى الشرقية " التى لا تلبى من أغراض الحياة إلا أغراض مجالس الشراب، وقد تطورت فى محيطها الخاص من العازف أو العازفة إلى "التخت" الكامل، ولكن بقيت لها روحها وجوها ومجلسها ولا يبعد بنا الخيال كثيرا حتى نتصور هذا الجو . ففى الليالى التى يحييها المطربون والمطربات فى هذه الأيام شبه كبير بما يدركه من يأخذ نفسه بمشاهدتها وملاحظتها .

فمن هم المستمعون أو غالبيتهم ؟ جماعة تهيئوا للسماع بكؤوس الشراب ، وجاءوا إلى " الصالة " مخمورين أو مخدورين ، وما إن يأخذ المطرب أو المطربة خاصة فى أداء هذه الألحان المتكسرة بأصوات متماوجة متناوحة ، تتخللها تأوهات جنسية مريضة حتى تهتز أجساد أولئك السكارى وتضج حناجرهم بالآهات وتنفلت من أفواه بعضهم ألفاظ وأصوات تدل على حقيقة ما أثارته هذه النغمات فى دمائهم وغرائزهم . وبذلك ينفسون عن الكبت والتشهى ، حتى تستثيرهم المطربة بحركة جديدة أو نغمة معروفة فيعودوا إلى الاهتزاز من جديد وإلى الهتاف من جديد وإلى العربدة من جديد !

وليست هذه " الصالات " وتلك " التخوت " إلا صورة مكبرة لمجالس الشراب ولقيان المغنيات والعازفات، ولن تبلغ هذه الموسيقى إلا أن تكون هكذا وإلا أن تصلح لمثل هذه المناسبات، دون غيرها من المناسبات الإنسانية العالية، أو الصور الوصفية، أو تصوير الحالات النفسية ، أو استجاشة الفتوة والحمية .

تلك هى نشأة " الموسيقى الشرقية " التى يحرص عليها معهد الموسيقى الشرقى وينفق على تعليمها عشرات الألوف من الجنيهات فيخرج نسخا مكررة من العازفين والمطربين ، كل وظيفتهم تلبية مجالس الشراب وما يشبه مجالس الشراب ، فإذا حاول بعضهم أن يكون موسيقارا مجددا عمد الى بعض الألحان الأوربية فمزج بينها وبين الأوضاع الموسيقية الشرقية كما تمزج بين "الشمبانيا" و "العرقسوس" ! وأخرجها مائعة مسترخية باكية ذليلة مريضة.

وبعض هؤلاء يحتج على سلوك هذا الطريق بذوق الجماهير واستجابة الجماهير . والجماهير معذورة ، فهى مخدرة ليل نهار بهذه الالحان وليس لديها وقت تفيق فيه وليس لها غداء آخر توازن بينه وبين هذا الغذاء . والاحتجاج بالجمهور على كل حال وسيلة التاجر لا الفنان .

على عكس هذه النشأة سارت الموسيقى الغربية والموسيقى المصرية (وهى شىء آخر غير الموسيقى الشرقية) فكل من هذه وتلك نشأت فى جو المعابد — وللمعابد رهبة — نشأت رائعة هائلة تحاول أن تحوط المستمعين بجو مرهوب وأن تنقلهم إلى السماء وأن تبعد بهم عن صغار الدنيا وتفاهة العيش ، وأن تصلهم بالآلهة والأرباب .

فأما فى أوربا فقد نشأ أعظم الموسيقيين — كما نشأ أعظم المصورين والمثالين — فى حجر الكنيسة ، وكانت موسيقاهم صلة بين عالمى الفناء والبقاء ، وبين الأرض والسماء ، فحملت فى ثناياها رهبة وعظمة لم تفارقاها حينما خرجت بعد ذلك إلى الطريق والى الأوبرا والى تلبية الأغراض الحربية والاجتماعية ، إذ أنها كانت تحمل عناصر صالحة للتسامى والتعبير عن الأجواء النفسية العالية .

تلك هى الموسيقى الارستقراطية ، فأما الموسيقى الشعبية فقد كانت تصاحب الأغانى الشعبية وتصور غاياتها ، فقد روى أن " هوميروس " كان يغنى أناشيده ، وكان العازفون الجوالون يلحنون أغانيهم فيضطرهم هذا إلى الملاءمة بين المعنى والنغم والجو الشعبى الطليق الذى يعيشون فيه ويغنون له .

وكذلك نشأت الموسيقى المصرية فى المعابد والهياكل كما نشأت فى أوساط الجماهير وترنيمات العمال ، ولسوء الحظ أن هذه الموسيقى لم تسجل فى " نوتة " حتى نستعيدها الآن . ولكن بقية من موسيقى المعابد حفظتها تراتيل الكنيسة القبطية ، وبقية من الموسيقى الشعبية حفظتها ألحان الصعايدة وأغانيهم الشجية ، وفى الأولى تلمح حتى اليوم الرهبة والخشوع والتهويل ومحاولة الصعود عن جو الأرض الموبوء . وفى الثانية تلمس شجى المكروب ، وحنين الريب ، وبث المحروم ، ونجوى المكلوم . وهذا هو تعبير الشعب الذى يرسف فى المظالم والحرمان عشرات الألوف من السنين .

وقد وجدت الموسيقى الغربية من استطاع أن ينقلها من جو المعابد والهياكل إلى " الأوبرا " والى تلبية الحالات النفسية ، والى تصوير الطبيعة ، والى الأغراض الإنسانية العالية والأغراض الاجتماعية العامة ؛ ولم تجد الموسيقى المصرية من يخرجها من عزلة المعابد والهياكل ، بل لم تجد من يسجلها لتبقى لنا أصولها — إلا بقية معدلة فى الكنائس — ، كما لم تجد الموسيقى الشعبية — ولا تزال معالمها فى أغانى الصعيد — من يعنى بها ويستوحيها ويرتقى بها وينوعها .

ونهضة الموسيقى المصرية موقوفة الآن على الفنان الموهوب الذى يستجمع بقاياها من الألحان الكنائسية ومن الأغانى الصعيدية ، ثم يحاول أن يجعل منها موسيقى عصرية تلبى حاجات النفوس وأغراض الشعب ودواعى المناسبة فى الجيل الجديد .

وما من شك أن استيحاء هـذه الأصول الباقية عمل صعب ، لأن هناك فاصلا سحيقا من الزمن ومن التطورات النفسية والعقلية والاجتماعية والدينية والسياسية ؛ ولكن هذا هو السبيل الوحيـد لإيجاد موسيقى مصرية مستساغة تلبى مطالب النفس المصرية التى لاتزال مصريتها سارية فى دمها وأحاسيسها من وراء القرون والأجيال ، على رغم الفتوحات والتقلبات !

ولم يع التاريخ الحديث فى مصر إلا مغنيا واحدا موهوبا لم يمهله القدر ليؤدى رسالته ، هذا الفنان الموهوب هو المرحوم " سيد درويش " فهذا هو الرجل الذى حاول — فى حدود ضيقة — أن يصل بين الموسيقى وبين الطبيعة أو بينها وبين الحالات النفسية . هـذا هو الرجل الذى كان يترصد للعمال فى غدوهم ورواحهم وفى أغانيهم وأناشيدهم ليصوغ من روحهم وجوهم أغانى لهم وأناشيد منتزعة من أحاسيسهم ممثلة لظروفهم ، ومن هنا التهموها وترنموا بها كأنها رجع شعورهم وصدى ضميرهم . وهو الذى كان يترصد للطبيعة فيستوحيها النغمة والجو فوق القناطر الخيرية فى الليالى القمرية حيث تظهر أشباح الأجداد فى إحدى رواياته لتملىء نفسه باللحن وبالجو قبل أن يثبته على الورق " مسافات وأرباعا وأنصافا " .

ثم مات ! ! !

* * *

إن الدعوة التى أدعوها لاستيحاء بقايا الموسيقى المصرية دعوة صعبة المنال ، وسيجدها الكثيرون من المثقفين شبه خيالية ، كما أن الذين يدعون أنفسهم موسيقيين وملحنين سيفغرون أفواههم عجبا منها ، لأن ثقافتهم لاتسمح لهم بمعرفة شىء من هذه الاتجاهات . وتلك هى المصيبة ، إذ أن الثقافة عنصر أساسى لأى فنان فى هذا العصر ، ولكنا لانطالب بها الموسيقيين كما نطالب الأدباء وبقية الفنانين !

إلا أنها دعوة يجب أن أجهر بها على كل حال ، فقد يكون القدر فى هذه الأيام أو فيما بعد يخبئ لنا فنانا واحدا موهوبا تتفتح ملكاته فى هذا السياق ، فيصل الماضى بالحاضر ويصوغ للمصريين ألحانا من قلب مصر ، لا من قلوب شتى لاتربطها بالمصريين رابطة !

إن الموسيقى الغربية غنية بكل الألوان ، وقد يخطر لبعضنا أن الاقتباس منها أقرب متناولا وأقل كلفة ، ولست أنكر أننى وكثيرين غيرى من المصريين يطربون لبعض الألحان الغربية ولا سيما ما يصور منها حالات نفسية وما يعبر عن مجالى الطبيعة . ولكن الفنون لاتنقل نقلا فهى مستمدة من قرارات النفوس وأعماق الأمزجة ، ولست أشك فى أن الألحان المصرية الضائعة تستجيشنا لو أعيدت على أسماعنا أضعاف ما تستجيشنا الألحان الأوربية حتى ما نستسيغه منها استساغة تامة .

وعلى أية حال فالذين يطربون لبعض الألحان الأوربية " يقرفون " بهذا التعبير العامى من الألحان المسروقة منها مما نقله بعضهم إلى الموسيقى الشرقية ، " يقرفون " وتتميع نفوسهم من " القرف " لهذا الخلط الذى لا يخرج عن خلط "الشمبانيا" "بالعرقسوس" سواء بسواء !.

فإذا خطر لأحد منا أن ينقل الموسيقى الغربية الى مصر وأن ينهض بهذا الفن عن هذا الطريق فيجب أن يختار طريق النقل الصريح ، وهيهات فى هذه الحالة أن تلبيه الطبائع أو الأمزجة المصرية التى عاشت فى أجواء أخرى غير أجواء تلك الألحان المنقولة .

أما محاولة ترقية الأغنية المصرية عن طريق ترقية المعانى والأغراض وتنقية الألفاظ والعبارات فهى محاولة محدودة الأثر ، بل محاولة شكلية لا تتعمق النفس الإنسانية التى تتأثر باللحن أشد من تأثرها باللفظ وتستجيب للنغمة قبل أن تستجيب للمعنى . واللحن والنغمة مرهونان بالموسيقى والملحن قبل المؤلف والمغنى .

وقد تبرأ القطعة فى تأليفها من السقوط المعنوى والقبح اللفظى ثم تخرج من فم المطرب والمطربة شائهة منكرة فتؤثر بنغماتها وأدائها تأثيرها السيىء الذى تتحاشاه فى الألفاظ والمعانى.

فاللهم ارزقنا فنانا واحدا موهوبا يصل الماضى بالحاضر ، ويستنقذ لمصر نغماتها الضائعة فى ثنايا الأزمان السحيقة ، ليصوغ منها فنا جديدا له من الماضى جذور وبذور .

" س . . . "

استخدام اللغة العربية
وسيلة من وسائل مكافحة التعطل

منذ أيام زارنى شاب مصرى لا أعرفه ، و بسط لى حالة تستلفت النظر . قال " منذ أكثر من عام صدر أمر عسكرى يحتم على أصحاب المطاعم والمشارب وسواها أن تكتب قوائم الطعام والشراب وأثمانها باللغة العربية و إلا تعرضت لعقوبات نص عليها القرار العسكرى . وعند ذ اتفقت مع عدد من هذه المطاعم والمشارب التى أعلم أنها لا تستخدم مصريا واحدا يعرف اللغة العربية ، على أن أمر عليها يوميا فأكتب فى القسم العربى من قوائمها أصناف اليوم وأسعارها مقابل مبلغ صغير جدا من كل منها يتراوح بين القرش والقرشين حسب أهميتها وتعدد أنواع طعامها . وكنت أجد فى يدى بعد نحو ساعتين من مرورى على هذه المحال المختلفة مبلغا يتراوح بين العشرة والعشرين قرشا ؛ وكنت أجد فى هذا عملا رابحا أعول منه أسرة كثيرة العدد فى وقت شحت فيه الأعمال . ولكن هذه المحال فى المدة الأخيرة تراخت فى تنفيذ هذا القرار فاستغنى الكثير منها عن عملى وأصبح المبلغ الذى يصل الى يدى كل يوم يتراوح بين خمسة وستة قروش من المحال التى لا تزال محافظة على تنفيذ الأوامر الحكومية " :

استمعت لهذا الشاب وهو يقص حكايته ، حتى اذا انتهى منها تفتحت أمامى أفكار كثيرة وتخيلت أرقاما كبيرة . قلت : اذا كان مجرد الأمر بأن تكتب قوائم الطعام والشراب باللغة العربية عاد على هذا الشاب وعلى كثيرين مثله بطبيعة الحال بمثل هذا المورد من الرزق فكم يفتح من أبواب الرزق على الشبان المصريين لو أن جميع دوائر الأعمال الأجنبية فى مصر تؤدى أعمالها باللغة العربية ؟

وخيل الى أن استخدام اللغة العربية وحده بلا أى شرط آخر سيفتح الباب لحوالى ألف من الشبان المتعلمين المتعطلين ، الذين أنفقت عليهم الدولة وأنفق عليهم أهلوهم مئات الألوف من الجنيهات ثم ضاقت بهم سبل العمل فباتوا أدوات معطلة ، بل أدوات تستهلك ولا تنتج كل صباح ومساء !

فى كل بلاد الدنيا تستخدم اللغة القومية لغة أساسية فى جميع المعاملات والسجلات والمكاتبات ولا يشكو أحد من الأجانب أصحاب الأعمال ورءوس الأموال ، ولا يعتذرون بتعقيد العمل ولا صعوبة التنفيذ ، ولا يشكون من تحتيم القانون عليهم أن يتعاملوا بلغة البلاد .

وليس فى العالم كله أمة تسمح للأجانب باهمال لغتها القومية إلا مصر — ومصر وحدها بلا استثناء — حتى اذا أشارت لجنة المالية بمجلس نواب البلاد على الحكومة أن تسعى فى جعل اللغة القومية لغة التعامل هاج هؤلاء الأجانب وماجوا وأرسلوا الاحتجاجات الظاهرة والخفية واستعانوا بجميع القوى التى يستندون إليها لوقف هذا القرار !

وقد كان هذا الوضع مفهوما يوم كانت البلاد غير مستقلة ، ويوم كانت مكبلة بقيود الامتيازات فكيف جاز أن يبقى هذا الوضع بعد معاهدة الاستقلال ومعاهدة الامتيازات ؟ وكيف قبلت الكرامة المصرية أن تهمل اللغة القومية ، وأن يبقى الألوف من أبناء مصر متعطلين واحترام لغتهم وحده كفيل بأن يوجد أعمالا للمئات منهم ؟

إن دوائر الأعمال الأجنبية تحتج بأن هذا يخلق لها ارتباكات فى العمل ، فكيف لم ترتبك أعمالها فى تركيا مثلا ، وقد أمهلت أشهرا معدودة ثم سارت أعمالها هناك بلا ارتباك ؟ إن تسعة وتسعين فى المائة من عملاء هذه الدوائر هم مصريون لغتهم هى اللغة العربية ، فتسعة وتسعون فى المائة من أرباحها عائد عليها من هؤلاء المصريين ، ومجرد احترام العملاء يحتم عليها أن تستخدم لغتهم ، كما أن اعتمادها فى الربح عليهم يحتم عليها أن تراعى رضاءهم باستخدام أبنائهم ، ولكنها لا تصنع هذا ولا ذاك .

لقد كانت رءوس أموال الشركات الأجنبية الكبيرة من نحو نصف قرن أربعة وأربعين مليونا من الجنيهات فبلغت ضعف هذا المبلغ فى فترة قصيرة من الزمن ، أى أنها زادت بمعدل مليون من الجنيهات كل عام ، فما ضرها لو ردت على المصريين من هذا المليون عشرة آلاف جنيه فقط كل عام مرتبات لأبنائهم مع احترام لغتهم وهذا الاحترام لن يكلفها أكثر من هذا المبلغ التافه المتواضع بالقياس إلى كسبها الذى لا تستطيع أن تجد له نظيرا فى أى بلد من بلاد العالم ؟

ولكن قبل أن نلوم هذه الشركات يجب أن نلوم أنفسنا ، ويجب أن نلوم أعضاء مجلس الإدارة من المصريين فيها ، فهؤلاء كان المفروض فيهم أنهم يمثلون وجهة النظر المصرية أمام هذه الدوائر فاتضح فى النهاية أنهم يمثلون وجهة نظر الشركات أمام المصريين ! وهذا طبيعى ما دامت هذه الشركات هى التى تؤدى لهم مرتباتهم الضخمة على بضع جلسات فى العام !

ولهذا يجب أن تقابل الأمة بالترحيب ما اعتزمته هذه الوزارة من حظر عضوية الشركات على أعضاء البرلمان وعلى الوزراء بعد ترك الوزارة بعدة أعوام لا يجوز أن تنقص عن خمسة حتى لا يكون هناك موضع للمساومات !

ولا شك أن هذه عملية تطهير لسمعة الحكم جدير بالوزارة أن تقدم عليها وأن تسرع فيها وألا تسمع فيها للاعتراضات والحجج التى تخفى وراءها أغراضا شخصية لاشك فيها .

ونعود إلى مسألة اللغة العربية واستخدامها فى دوائر الأعمال فنقرر أنها فى حاجة إلى جهد يجهدنا للاستقلال ولإلغاء الامتيازات — وهـذا حق نعترف به حتى لا يظن أحد أن المسألة سهلة أمام المسئولين — ولكننا نقرر كذلك أن الظفر بإقرارها لا يقل شأنا عن الظفر بالاستقلال و بالغاء الامتيازات، وأنها المظهر العملى الحقيق للاستقلال ولسيادة الحكم . ولا بد للأمة أن تستكمل هذا المظهر فى يوم من الأيام .

إن المصرى ليدخل اليوم دوائر الأعمال الأجنبية بل المتاجر الأجنبية فيحس أنه غريب أو أنه داخل للاستجداء فكل ما يحيط به أجنبى من " اللافتة " التى وضعت على المدخل إلى الموظفين والعمال الذين يتعامل معهم ، إلى أسماء البضائع أو لغة التخاطب أو الكتابة ... لا شىء مطلقا فى هذه الدوائر يشعر المصرى أنه فى بلاده وأنه العميل الذى تقوم هذه الدوائر بأمواله .

ولسنا ندرى كيف يبقى عقلاء الأجانب على هذا الوضع ؟ وكيف لا يمدون بأبصارهم إلى أبعد من اللحظة الحـاضرة؟ وكيف لا يقدرون أن روح العزة القومية التى بذلت الدماء والجهود لنيل الاستقلال ولإلغاء الامتيازات لا تستطيع أن تصبر طويلا على وضع شاذ ليس له ما يبرره إلا مجرد الكسل أو مجرد العناد ، أو الضن ببعض مبالغ من المـال يكلفها لهم هذا التغيير الذى لا بد منه تمشيا مع الظروف والأحوال .

لو كنت من مديرى هذه الدوائر لبادرت إلى تغيير هذا الوضع مسترضيا بذلك شعور المصريين وكرامتهم، ولكان هذا التصرف منى يعد بعد نظر وحسن سياسة، وفى الوقت ذاته أنال به من المصريين وحكومتهم مالا أناله بالكسل أو بالعناد أو بالاقتصاد المقلوب الذى لا يستطيع البقاء إلا ريثما تحتم الظروف تغيير كل وضع شاذ .

ومن الغريب أن مطالبة المصريين باحترام لغتهم ومراعاة شعورهم يعد فى عرف هؤلاء الأجانب تعصبا فماذا يسمى عملهم هم حين يهملون لغة البـلاد التى يأكلون من خيرها ، ويوصدون دوائرهم فى وجوه أبناء هذه البلاد ، ويستخسرون فيهم أقل مبلغ من المرتبات كما يستخسرون تدريبهم على العمل القائم فى قلب بلادهم .

أى التصرفين هو التعصب الذى يستحق الشكوى ويستحق الإلغاء؟ ليراجع الأجانب أنفسهم وضمائرهم فذلك خير لهم وللبلاد التى يعيشون فيهـا ، والتى لا تتعارض مصالحهم الصحيحة العادلة مع مصالحها المفروضة الواجبة .

" ق . "

النشاط الاجتماعي في مصر

الشيخوخة النشيطة

لا يجوز أن تشغلنا الأحداث السياسية في الخارج والداخل عن النظرات الاجتماعية والخلقية التي تقع تحت أبصارنا، فالإنسانية قد تفيد من مثل فردي صالح أضعاف ما تفيد من حدث عام كبير.

وقد استدنا أن ننظر في مصر وفي الشرق عامة إلى مرحلة الشيخوخة كأنها خارجة عن العمر، فهي قوة راحة بليدة وحمول حاو من انتاج، فما يكره الكثيرون منا — والموظفون خاصة — يحالون على المعاش حتى يركنوا إلى هذا الخمول الذي يضعضع صحتهم ويعجل بهم إلى القبر.

وفي هذا خسارة جوهرية على الوطن والإنسانية. خسارة في عنصر التجربة والخبرة التي كسبها هؤلاء الشيوخ وكان من الواجب أن ينفقوها بعد سن التقاعد لينتفع بها الجميع.

ومن يذكرون بالخير في مخالفة هذه العادة الضارة المغفور له أحمد شفيق باشا صاحب الحوليات والمذكرات، فقد دل دائبا على العمل الذي وهب له حياته وهو "التاريخ" حتى لاقى ربه مطمئن الضمير إلى أنه أدى واجبه. وقد كنت من المعجبين لشيخوخة هذا الرجل ونشاطه فنوهت مرة ومرة. وحين أدركته منيته حسبت أنه آخر رجل من طرازه في هذا الجيل وقد مات أحمد زكي باشا وأمين سامي باشا وسواهما من رجال جيل الماضي الذين اشتهروا بالدأب والصلابة على العمل في غير كلل ولا ملل.

ولكن زيارة قصيرة في الأيام الأخيرة للأستاذ محمود خاطر بك أسأل فيها عن صحته حين ظننت أنه مريض أطلعني على أن شفيق باشا وإخوانه نظراء في الجد والدأب، وأن خاطر بك — أمد الله في حياته — نموذج صالح للنشاط المدءوب.

فهذا الرجل في هذه السن المتقدمة وعلى الرغم من ضعف صحته يدأب على جملة مشروعات خيرية وثقافية وصناعية يملأ بها فرغ وقته، بل يجور في الاشتغال بها على صحته وسنه، فوق ما ينفق فيها من ماله ووقته.

وفي الشهر الماضي نشرت الصحف اليومية خبرا صغيرا عن تبرعه بداره في حلوان لتكون مستوصفا للولادة ورعاية الطفل، وقد قص على قصة ذلك المستوصف، وفيها ما يصح أن يروى باختصار. فقد نشأت هذه الفكرة في نفسه منذ سنوات حينما لاحظ أن العناية بالأمومة والطفولة ناقصة في مصر، ورأى أن الإصلاح الاجتماعي الحديث في العالم شديد العناية بهذا الجانب، وحاول مرة شراء مستوصف قائم في شبرا إلا أن صاحبة الدار غالت كثيرا

فى الثمن ، فصبر حتى أتاحت له الظروف شراء منزل مجاور لمنزله فى حلوان عن طريق الشفعة وعندئذ بادر بتنفيذ فكرته وترك داره الأولى لتكون مستوصفا .

هذه الدار كلفته ما يزيد على ألفين من الجنيهات ومساحتها ١٢٥٠ مترا وبها إحدى عشرة حجرة ، ولها حديقة متسعة تضم أجود أنواع الفاكهة المصرية . وقد اقتضى تحويلها إلى مستوصف جملة إجراءات فى عرود ثلاثة من وزراء الصحة هم على باشا ابراهيم ومحمد بك حامد محمود بك ، والأستاذ عبد الفتاح الطويل ، وكان لكل منهم فضل خاص وجهد ذاتى فى سرعة إنهاء الإجراءات الحكومية المطولة .

ثم كان افتتاح هذا المستوصف فى يوم عيد الميلاد النبوى فى احتفال ضم كبار موظفى قسم رعاية الطفل حيث قام الأطباء بعملية الختان لستين طفلا بين عزف الموسيقى . وكان خاطر بك يقدم لكل طفل عقب ختانه هدية من الحلوى فى غلاف مزركش كما وزع الحلوى والسندويتش على فقراء حلوان ، وتبرع لمطاعم الشعب بعشرة جنيهات لهذه المناسبة .

وحسبت أن الجانب الخيرى الاجتماعى يستغرق نشاطه فى المستوصف والمدرستين اللتين أعدهما وتبرع بهما والمجرات الثانية فى مستشفى المواساة التى تحمل اسمه وقد أدى تكاليفها . غير أنى رأيت الرجل المعتكف بسبب المرض يقوم بتنظيم مكتبته الضخمة الثمينة لأنه يعتزم إهداءها للمدرسة الخديوية التى تخرج فيها .

ثم اطلعت على عمل ثقافى آخر يستغرق منه مجهودا ضخما وهو القيام بإعداد وطبع "مختار القاموس" على نسق "مختار الصحاح" المعروف ، فى توسع وإحاطة . وهو عمل تنوء به لجنة ضخمة.

ثم رأيته يهتم بطبع المصحف فى صورة جديدة أنيقة معدلة عن الطبعة الأميرية ، تعديلا هدته إليه خبرته وتجاربه فى فن الطباعة مع طبع تفسير لغريب القرآن على هامشه بقلم الأستاذ مصطفى بك عنانى المفتش الأول للغة العربية فى الجامعة الأزهرية والمعاهد الدينية .

وبعد ذلك كله رأيته يخرج مشروعا ضخما لمسبك الحروف العربية . يحاول فيه تلافى صعوبات وعيوب المسبك العربى الحالى . مع تجميل وتبسيط وتنسيق ملحوظ فى أشكال الحروف وفى أوضاعها وفيما تشغله من الفراغ فى الصندوق والمطبعة والورق . وهو مشروع يحتاج إلى شركة لتنهض به ، كما يعرف ذلك جيدا كل من اشتغل بفن الطباعة . وقد كلفه هذا المشروع رحلات ومحاولات عدة فى ألمانيا وتركيا وسواهما من البلاد المعنية بالطباعة والخط حتى اهتدى إلى الوضع الأخير ، وهو يشهد بالذوق الفنى والدقة المتناهية والصبر الطويل.

* * *

هذا رجل نموذجى من حقه أن ننوه به ، فهو فى عزلته وانكبابه على العمل لا يعنى بتوضيح أعماله أمام أبناء هذا الجيل . وفى التنويه به فضل إبراز القدوة الصالحة والمثل الطيب لمن يريد .

بمناسبة قرب تطبيق قانون المحال العامة :

وباء المقاهى والمراقص

إن انتشار المقاهى فى مصر وعواصمها ، وازدحامها بالرواد تكلايا النحل قبيل الشروق هو عنوان الخمول والتواكل ، ومدعاة الترهل والشحوب ، ومباءة الفساد الخلقى والاجتماعى . وأكبر مشجع على التعطل وإفناء الوقت فى التافه ، والإعراض عن كل ما هو منتج ومجد ، ومضيعة للأموال فى الكماليات ، وقد تكون الضروريات فى انتظارها ، ولولا هذه المكسلة لخلق الكثيرون لأنفسهم من الأعمال مايغذى نشاطهم . ويقتل وقتهم . ويدر عليهم من النفع المادى والأدبى ما هم والمجتمع فى حاجة شديدة اليه ، وإلا فأين تستخدم المعنويات المستجمة حين تتفاعل بالقوة ، وتذخر بالنشاط ، وتمتلىء بالأمل — عند مايختفى المقهى — إلا فى البحث عن عمل قوامه الكسب ، أو مداعبة الأهل وإرشاد البنين ، أو فى رحلة أو تمرين رياضى أو تصفح كتاب ، أو الاستماع إلى محاضرة أو أنشودة بريئة ، أو التوفر على صورة فنية يستعاض بها (عن الدش والدبش ، أو الكومى والعشرة الطيبة) أو الخوض فى أعراض الناس وتشويه سيرهم ، إلى غير ذلك مما لايجيد أكثر غشاة المقاهى سواه ، فإن عز على بعضهم شىء مما تقدم بحثوا حولهم عن مهجر يلتمسون عنده موردا من موارد الرزق مهما تفهت الثمرة وقل الانتاج .

فالمقاهى إذن مساعد قوى على نمو جيش الكسل والخمول ، والدعة والترف ، وخسارة كبرى على الإنتاج العام والخاص .

والمقاهى وكر المؤامرات على الأمن والنظام ، ففيها يلتقى أفراد الميسر ، وعلى موائدها توضع الخطط الجهنمية للقتل أو السرقة ، ومنها ينفر كل إلى أداء مهمته التى نيطت به .

والمقاهى مرصد عام لمغازلة النوافذ . واستعراض السائرات وانتظار الرفيقات . والاتصال بواسطة "المسرة" بمختلف الجهات ، إلى غير ذلك مما يروج سوق الأعراض المذبحة ، ويساعد على تعذيب الفضائل ، وتفشى أمراض المجتمع .

والمقاهى حلبة كلامية معينها الحقد والحسد ، وطعامها الناجحون فى الحياة ، وتوابلها التندر السمج ، والمشاحة الخشنة والتنابذ الحاد ، والتخاصم المرذول ، والتباعد الكريه .

والمقاهى مائدة الكرم المصطنع ، ومأدبة الحفاء المتكلف ، ومأتم الميزانيـة المحدودة ، وقبر الادخار المشروع .

والمقـاهى مصرع الوقت الخلى ، وعدو الزمن الشجى ، ووحشة الأسرة الحاجة ، ومعول الصحة اليافعة .

والمقاهى مباءة تنقل جراثيمها إلى النفوس حب المكيفات المختلفة ، ومنزلق بطىء إلى موائد القمار ، ثم منحدر سريع إلى هاوية الخراب .

وإن كان للمقاهى فى القاهرة و بعض العواصم الكبرى شىء من النفع الاجتماعى كقراءة الصحف ، والاستماع إلى الاذاعات ، وتبادل بعض الأحاديث البريئة ، والبحوث الأدبية ، فما فائدتها فى الريف المصرى على ما فيه من فطرة وفقر و إضناء ، تعوزه الراحة الباكرة ، والاستجمام المخفف ، والبعد عن المنهكات الصحية ؛ من نقيع الشاى تعانقه أوراق السنط و بذور القرظ وتدخين التبغ العادى والمعسل ، ومسحوق البن ممزوجا بالفول والذرة (المفشر) إلى غير ذلك مما ينهك قواه وميزانيته الواهنة ، فمن الرحمة بالريف وسكانه إلغاء هذه المقاهى إلغاء لا هوادة فيه ولا لين . إلغاء ينادى به القانون دون تدخل حاكم أو ظرف مخفف ، على أن ذلك يجب أن تنسحب سياسته على المدن أيضا . وإذا كان لا بد من مجتمعات يسكن الناس فيها بعضهم إلى بعض ، ويديرون فى هدوئها و جمالها رحى الأحاديث السياسية والعلمية والأدبية ، فليكن ذلك فى نواد خاصة تؤلف بين المشارب المتقاربة ، وتجمع بين الثقافات الموحدة ، والفنون أو الحرف المتجانسة ، وتساعد على الانسجام والراحة ، وتشجع على الاطلاع والمراجعة ، والدراسة والاستماع والإسماع .

لقد هال المرحوم على باشا مبارك أن يكون بالقطر المصرى فى سنة ١٨٧٦ (١٠٦٧) مقهى و ٤٨٦ حانة ، فماذا يكون شعور هذا العالم الجليل لو أنه عاش حتى رأى هذه الأرقام المتواضعة تطفر إلى أن تبلغ ١١٧٤٤ وأن فى القاهرة وحدها كما هو واقع التعداد التجارى الرسمى لسنة ١٩٣٧ من هذه المحال ما أربى على ما كان بمدينة لندن فى أزهى عصور مقاهيها التى كانت منتشرة فى شوارع (الوست أند) قبل سنة ١٧١٥ على الرغم من أن لندن تحتفظ دائما بما يقرب من نصف سكان القطر المصرى ، وعلى الرغم من الفرق الهائل بين دخل الفرد الانكليزى والفرد المصرى فى جميع العصور .

وقد ذكر الأستاذ أحمد عطية الله فى كتابه " لندن " " ان المقاهى كانت شائعة فى لندن شيوعا كبيرا إلى ماقبل القرن الماضى ، وأخذت تتطور على مر الزمن حتى استحالت

إلى أندية وحانات ومطاعم ومشارب للشاى والبن ، وهذه الأندية الكثيرة التى ترى فى كثير من أركان "بيكا ديلى" بدل المقاهى التى كانت منتشرة فى القرن الثامن عشر ، وقد كان لكل جماعة من أهل لندن مقهى خاص يجتمعون فيه ويقامرون فيه بزهر النرد إلى الهزيع الأخير من الليل .

وكانت هذه المقاهى تفتح أبوابها لجميع الطبقات بلا استثناء ، وكانت مقاهى (الوست أند) هذه مسرحا للفوضى والاضطراب بسبب النزاع الذى كثيرا ما نشأ حول حلقات القمار والذى كثيرا ما كان ينتهى باستعمال السيوف ، ثم حراب رجال الحفظ .

وقبل سنة ١٧١٥ كان عدد المقاهى فى لندن يربو على الألفين ، يتردد عليها أهل كل طبقة وكل حرفة وكل حزب ، ثم أخذت هذه المقاهى فى التطور والتحول إلى أندية خاصة بطبقات معينة ، ففى سنة ١٧٦٤ مثلا تحول مقهى "تومن" إلى ناد باشتراك قدره جنيه سنويا وحذا هذا الحذو كل مقهى يجد عددا من روداه يمكنهم أن يتضامنوا سنويا ليقسموا بابه فى وجه الجمهور .

واليوم إذا سرت فى شارع " سانت جيمس " وغيره من شوارع " الوست أند " لاتجد أثرا لهذه المقاهى ، بل لاتجد من أصحاب المطاعم ومشارب الشاى أو الخمور من يجرؤ على أن يضع مقعدا فى خارج مشربه أو على رصيف الشارع .

فلندن التى حافظت على حياتها الاجتماعية فى كثير من الوجوه ، لم تلازم هذا الجمود وهذه المحافظة فى تاريخ مقاهيها التى لو بقيت إلى الآن لكانت لندن اليوم غير ما نعرفها ".

نعم هذه لندن زعيمة العواصم العالمية اجتماعيا وخلقيا وتقليديا ، تنتفع بالتالد والعتيد وتتطور مع كل مجد جديد ، فإلى متى تأخذ عنها التوافه والحكايات ، والسفاهات والتبذلات دون الأخذ بلب الحضارات وعصارة التجارب والمذات ، ولم لانمسح عن جبين المجتمع المصرى وصمة انتشار المقاهى والحانات وننتفع بتجارب الأمة الانجليزية العجيبة الفذة فى هذا الباب دون العالمين ؟ !

الذى لاشك فيه أن ماعدا " لندن " من العواصم العظيمة لاتزال تعج وتزخر بالمقاهى يتنافس الفن الغربى فى تجميلها وتنسيقها وإعدادها بكل وسائل الترغيب والراحة والإغراء والترفيه ، فمن جو مكيف يخفف وطأة الطقس على روادها صيفا وشتاء ، إلى شفافية واتساق فى كل ما تقع عليه باصرتك ، إلى جمال إدارة وحسن استقبال ودقة نظام وسرعة إجابة ، إلى عاملات جميلات رشيقات ، إلى إذاعات وتوقيعات لمشاهير الموسيقيين العالمين ، إلى مسرات على كل منضدة ، بحيث تستطيع أن تتصل بكل جالس فى المقهى أو فى الخارج

دون نهوض أو عناء ، إلى صفوف متقاطعة من خيوط الماء تتراقص على نغمات الموسيقى كلما صدحت ، على أن المدن الفرنسية والإيطالية لم تكتف بذلك بل لقد طارت فيها الهوايات والنزوات البشرية كل مطار ، وتفننت فى طرق الإغراء وأساليب الفتنة فأضافت إلى المقاهى والحانات والمراقص وملاعب القمار المنتشرة فى أكثر مدنها دورا تنفرد بعرض الشرائط المهيجة والحمامات ذات الأبخرة المثيرة ، وبين عرض الشرائط والحمامات يحدث ما يحدث مما عرف فى باريس Bordelia (بوردل) مستراتحت ماسموه معهد الشباب .

هذا بعض ما يجرى فى هذه المدن ، ولكنه ليس إلا حلقة من سلسلة المغريات الفتانة جذبا للسائحين والوافدين على هذه البلاد والحصول منهم على أكبر قسط مستطاع من الأموال الأجنبية ، ولا أدل على ذلك من أن هذه المحال الخبيثة لا يسمح للفرنسيين بدخولها كما لا تسمح الحكومة الايطالية بدخول الايطاليين إلى ملاعب القمار عندها ، اللهم إلا المهرة المحترفين لابتزاز أموال الأجانب السياح ، كما لا يسمح فى ألمانيا للألمانيين بدخول المقاهى بعد ساعة معينة من الليل ، اللهم إلا لأحد رجلين : ألمانى يتجع بعض الراحة من نوبة العمل الثقيلة ، أو أجنبى عن البلاد ، ولكن انجلترا المهذبة المدربة أبت على كرامتها الوسائل البراقة والكسب الرائف فى اجتذاب السائحين ، وآثرت سلامة المجتمع الانجليزى ووفرة الانتاج فيه والاعتصام بالوقار على بعض الدخل الخارجى ، فمتى تحذو مصر حذوها . وتتقيل فى ذلك خطاها ؟

ليست مقاهينا من النوع الفاخر حتى تصلح وسيلة من وسائل الاغراء الجاذب لهوية السياح إلى مصر ، وليست من النوع المجهز بما يجذب الهيئات المتقاربة فى ثقافتها ، وليست من النفع الاجتماعى بحيث يشفع قسطها منه لإضرارها به .

صحيح إنها مهنة تعول ١٢٠,٠٤٤ مستخدما بين المقاهى والحانات والبارات حسب التعداد التجارى الرسمى الأخير ، ولكن مصلحة الأمة فوق مصلحة بضعة آلاف . سيما أنها مهنة ليست ذات بال أو احترام فى حياة الصناعة ، ولذلك سجل هذا العدد الكبير فى التعداد الرسمى تحت عنوان — الحرف التافهة — أو مايشبه هذا المعنى .

لهذا ، نرجو من وزارة الشؤون الاجتماعية بمناسبة تطبيق قانون المحال العامة الجديد إلغاء هذه المقاهى بالتدريج ومساعدة الهيئات ذات الصبغة الواحدة أو المتقاربة ، على اتخاذ نواد خاصة يساعد جوها على الراحة والترفيه والتفكير والمصانعة ، والبحث فى مختلف الشؤون العامة والخاصة .

البنسيونات والحجر المفروشة :

لقد كفل القانون الجديد كل وسائل المحافظة على أموال وأرواح النزلاء فى هذه المحال من ناحية ، وعلى سلامة الأمن العام من ناحية أخرى فى الحدود الممكنة ، ولكنه سكت عن وسائط الضمان الخلقى فيها ، والمعروف حتى الآن أن أكثر هـذه المحال مواخير تتستر خلف قانون المحال العامة ، وأن ضررها الاجتماعى والصحى أخطر من أن يسكت عنه ، فكثير من الأجنبيات اللاتى لا يردن احتراف البغاء علنا لايجدن من وسائل الكسب الميسور إلا استئجار شقة فى منزل ثم عرضها على الراغبين فى السكنى "بنسيونات ، أو حجر مجهزة" وما هى إلا جلسات بين المؤجرة والمستأجر حتى تزول الفوارق ويتم الاختلاط وتوضع البرامج وتورد البضائع بين عينى الشرائع والقوانين ، وتحت أنف الدنيا بأسرها ما دام ذلك ثمرة للتواطؤ والرضا .

ولو أن هاتيك النسوة ممن يحترفن ذلك بطريقة رسمية لقلنا ما تقوله "اللائحة المنكودة" إنهن تحت منظار الرقابة والكشف ، وأن الضرر سيستدرك يوما ما ولو فوق جسر من الضحايا . ولكن الأمر أدهى من ذلك وأمر .

إننا لانتكر أن بعض العائلات يقمن بايجار بعض الحجر مساعدة لها على دفع الأجر الكلى لسكنها تحت ضغط الحاجة الملحة مع المحافظة على ناموس الكرامة والشرف ، ولكن الذى لا شك فيه أن أكثر هذه المحال شبه مواخير بكل ما فى هذه الكلمة من لعنة ولوثة ونفرة ، وجدير بهـا أن تحذف من قانون المحال العامة ، وأن تخضع لنظام خاص بها رحمة بصحة المجتمع ، ومحافظة على بقايا الخلق والفضيلة فى البلاد لأنه يتعذر — فيما أعتقد — الوصول إلى ضمانات أخلاقية فى مثل هـذه المحال ، سيما وقانون العقوبات لا زال محتفظا بوضعيته الأولى فيما يتعلق بجرائم الزنا والدعارة ، فإلى أن يلغى البغاء ويلقح قانون العقوبات بما اقترح المصلحون تلقيحه به ، من تشـديد العقوبة فى هـذا الباب — نرى استبعاد البنسيونات والحجر المفروشة من قانون المحال العامة ، وإخضاعها لقانون خاص بها يتفق وحالتها الشاذة .

مكاتب التخديم :

لم يعن القانون الجديد بهذه المكاتب ، ولم تتداركها لائحة العاهرات بعنايتها ، وكان جديرا أن يشملها القانون الجديد تساهلا ، أو تحتويها اللائحة تحقيقا وعدلا ، ولعل ذلك ناشئ من أنهـا مرض حديث ، وإن كان من النوع الخبيث ، فمكاتب التخديم فى أغلب حالاتها أشبه بسوق الرقيق ، أو هى الدرجات الأولى فى طريق الغواية والبغاء بالنسبة للنساء بما تحمل من فساد وعار وشقاء .

فإذا ما زرت أحد هـذه المكاتب ألفيت نفسك أمام مجموعة عجيبـة مختلفة الأجناس والأسنان والألوان . خط الأسى فى وجوههم سطور القلق على ماينتظرونه من مصـير . ثم لا تلبث أن ترى وافدا ينهض صاحب المكتب أو صاحبته للترحيب به فيتحدثان بالألفـاز والكنى ، ثم ينادى على فتاة كاعب من بين هذا المزدحم ، فيقف الوافد دونها يذرعها بعينيه طولا وعرضا ، ثم يتفرسها و يسائلها وقد يبتسم كل للآخر ابتسامة لها معناها . فتسمع عند ذلك الزفرات الحارة من خلف البراقع الحزينة ، وترى الأصابع وقد راحت تفتل الشوارب فى حالة عصبية مكبوتة ، وتلمح التراسل بين الخاظ الغاضبة ، وتشاهد بسمات الخبث تتنقل على شفاه الأطفال والفتيات الصغار ، وكل هذا إحساس من الجميع بسر المؤامرة التى آثرت الخادمة الجميلة عليهم جميعا ، ولا تكاد هذه الضحية تغادر المكتب إلى منزل مخدومها حتى تستدعى المسرة صاحب المكتب أو صاحبته و إذا بسائل يسأل عن ممرضة أو مربية أفرنجية شابة جميلة ، وما لقب ممرضة أو مربية إلا اصطلاح أو ستار يخفى خلفه أغراضا سامة ، و إلا فالممرضة لها مورد آخر غير مكاتب التخديم ، ولا يكاد تاجر الأعراض يودع هذه وتلك حتى يستقبل أخريات ، فهذه قد انتهت مهمتها التى ندبت لها أمس ، وهـذه طردتها ربة البيت التى صفتها كيت وكيت ... لأنها رأتها مع زوجها أو ابنها أوطاهيها فى حالة أثارت غضبها عليها ، أما الثالثة فقد انحنت على أذنه وأسرت إليه بكلام ذيلته علنا بأن لها صديقة فى إحدى مراكز رعاية الطفل ستعرض حالتها عليها لعلها تعرف سر مرضها ! ! والخبيث يبتسم للجميع و يقبض عن الجميع ومن الجميع ، دون مبالاة بمـا يرتكب من جرائم ، ودون رقيب عليه ولا حسيب ، وتكون النهاية المحزنة لأكثر هؤلاء أن ينخرطن فى سلك العاهرات بعد أن يكن قد قمن بإيفاد أكبر عدد ممكن ممن اختلطوا بهن إلى أطباء الأمراض السرية ، وهذا هو السبب المباشر فى إعراض البيوتات المحافظة عن بضاعة هذه المكاتب والاستعاضة عنها ببنات الريف اللواتى لفتهم الفطرة بسياج السذاجة ومنطقتهم بنطاقات الطهر والعفاف .

فكيف تترك هـذه المباءات دون رقابة مباشرة تفتك بالصحة والأخلاق العامة وتطيح بالنظم القائمة على حمايتها إلى حد ما ! ؟

إنه لا بد من رقابة فعالة ، ولا بد من تقسيم المسئولية بين أصحاب هذه المكاتب و بين المخدومين حتى تصبح الخادمة وديعة مصونة بينهما ، ولا يسمح للفتاة أو السيدة أن تعرض نفسها للخدمة إلا و بيدها بالإضافة إلى شهادة تحقيق الشخصية ، شهادة طبية ، تثبت حالتها النسوية ، ووضعيتها القائمة ، وعند ذلك يقبلها المكتب فى سياج هذه الأوصاف ثم يسلمها إلى مخدومها ، ثم تشرف جهة حكومية — تخصص لذلك — على هذه الحالات فى فترات معينة لتأكد عدم تغيرها ، إلا إذا كان ذلك بالطرق الشرعية .

صحيح إنه يمكن الحصول على مثل هؤلاء النسوة عن غير طريق هذه المكاتب، ولكن شر المكاتب يبدو فى تسهيل الاتصال بين الراغبين وسرعته ، وسهولة الاستبدال والتغيير حسب الأهوية والغايات .

وصحيح إن ما اقترحه من شهادات لا يقف حائلا دون وقوع هذه الجرائم، ولكنها على أى حال تقلل من كثرتها وتخفف من حدتها إلى أن يأتى القانون المناسب لها بعد صدور قانون إلغاء البغاء .

المراقص :

أما المراقص فلم يرد لها ذكر فى القانون الجديد والحديث عنها حديث بدهى، ولهذا نراها من وضوح الضرر و إفساد المجتمع بما لايحتاج إلى شرح طويل؛ فهى أشبه ما تكون ببؤرة تتجمع فيها كل شرور المحال العامة وقاذورات المواخير، وهى أجدر من كل ما تقدم بالإغلاق والإزالة . والحكمدارية العاصمة جهد مشكور فى الحد من شرور هذه المراقص منذ زمن بعيد ، ولكنها ثمرة لأخلاق بعض ولاة الأمور فى الحكمدارية و بعض أقسام البوليس التى تتبعها هذه المراقص ، ولهذا تظهر هذه الجهود وتختفى ، وتشتد وتهون . ولذلك نرى أنه لابد من عمل تشريعى حازم لطمر هذه المستنقعات الآسنة إنقاذا لثروة البلد وأخلاقه وصحته ومجتمعه، ولياخذ الإصلاح طريق البقاء والخالد فى ظل هذا التشريع .

هذا ماعنت لنا ملاحظته على القانون رقم ٣٨ سنة ١٩٤١ بمناسبة قرب تطبيقه، نضعه تحت أعين المصلحين راجين أن يوفق الله ولاة الأمور إلى تلافى ما فاتنا من إصلاح وتدارك ما عجز الماضى عن تحقيقه ، وأن يكون ذلك بطريق التشريع لا بطريق الوعظ والارشاد، أو الكتابة والتصوير فإن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

ع . ا . ا

مآوى الأطفال

منشآت ضرورية للحاضر والمستقبل

حدثني زميل توفيت زوجته وخلفت له طفلين أحدهما رضيع والآخر في سن الطفولة الأولى ، عن حيرته بهذين الطفلين بعد وفاة أمهما ، ولا سيما بالطفل الرضيع منهما ، فهو لا يستطيع أن يترك عمله وينفق وقته كله في عملية الرضاعة الصناعية وتعقيم الأدوات قبل الوجبة وبعدها ، وإن استطاع هذا فما يستطيع أن يقوم بسواه من مطالب الحضانة . وهو لا يأمن خادمة جاهلة على القيام بهذه العملية كلها ، وهو لا يستطيع أن يجلب مرضعا من الريف لأنها ستأتي له بطفلها إن لم تجئ بأطفال آخرين أكبر من طفلها الرضيع في دور الحضانة ، بل لقد اشترطت عليه إحدى المراضع أن تحضر معها زوجها كذلك ! . وهو لا يستطيع أن يحضر مرضعا من المدينة تتقاضى مرتبا ضخما لا يقوى عليه . فضلا على أنها لا تستطيع أن تقضي طول الوقت مع طفله . وفضلا على أنه أعزب ولا يجب أن يؤوي في داره سيدة قد تكون في سن الشباب !

فلما أعيته الحيلة من هذه الناحية عمد إلى ملاجئ الأطفال المصرية فأبت قبول الطفل إلا أن يحتسب لقيطا ، أي إنها رفضت كفالته مع نسبته لأبيه الذي أظهر استعداده لأداء أجر معقول عن هذه الكفالة ، ولكنه لم يكن مستعدا لتنازل عن أبوته لطفله ، ولم يكن مستعدا لإيذاء هذا الطفل في نسبه وكرامته وهو ابنه من زواج شرعي صحيح !

وقيل له : إن هناك ملاجئ أجنبية أنظف وأكثر عناية بصحة الأطفال وأخلاقهم من هذه الملاجئ التي لا تؤدي إلا إلى قصاء ، ولا تريد أن تعترف بحقوق الآباء ، ولكنه علم في الوقت ذاته أن تلك الملاجئ إنما أنشئت للتبشير ، وهو حريص أن ينشأ طفله على دينه .

تلك هي الحالة التي يشكو منها هذا الزميل ، ولا شك أن لها أمثالا بالمئات أو بالألوف وجميعها لا تجد علاجا ، ولا يجد المبتلون بها ملجأ لهم ولأطفالهم من هذا التعب الدائم وتلك الحيرة المؤلمة ، فكيف جاز أن يكون هذا هو الواقع والا يوجد في مصر ملجأ أو مأوى لأمثال هؤلاء الأطفال ؟

إن هـذه المشكلة فرع من مشـكلة الطفولة كلها فى مصر ، فليس على ظهر الأرض من الأمم المتمدنة من يهمل مسألة الأطفال برمتها كما نهملها ، ولست أدرى كيف لم يفكر المسئولون عن مثل هذه الشئون مع وجود مثل هذه الحالة وتعدّدها ، ووجوب العمل على إيجاد حل لها ؟ إن الأمر ليبدو عجيبا فى بلد تموت فيه الأمهات سـنويا بالألوف فى أثناء الوضع وبعده بسبب نقص مراكز رعاية الطفل ، وعدم العناية بصحة الحاملات وسـوء التغذية والنظافة فى أثناء الحمـل والوضع ، والفقر والجهل اللذين يشملان تسعة أعشار الأمة .

فالمشكلة بسبب ذلك كله تجبه الأنظار وتطرق الأبواب وليست مستخفية ولا ضيقة الحدود ، ولذلك يبدو عجيبا ألا يوجد فى طول البلاد وعرضها مأوى للأطفال فى مثل هذه الحالات المتكررة الكثيرة العدد .

وقد يعتذر عن هذا التقصير ، كما يعتذر عن ضروريات كثيرة بعدم وجود المـال ، ولكن إيجاد مأوى لهؤلاء الاطفال عمل يمكن عدّه تجاريا مربحا ، فكثير من الآباء ميسور الحال ويستطيع أن يؤدّى عن كفالة طفله مبلغا معقولا يصل الى أربعة جنيهات فى المتوسط كل شهر أو ثلاثة متى ضمن الإشراف الصحى المنظم ونظافة المآوى والمراضع وحسن العناية بالطفل الذى يودعه بين أيديهن .

و إذن تستطيع وزارة الصحة ، كما تستطيع الجمعيات المنظمة أن تنشئ هذه المآوى وتجهزها بالأدوات اللازمة للرضاعة الصناعية بوساطة الحاضنات ، أو بالمراضع الادميات بعد الكشف على صحتهنّ وعلى ألبانهنّ وضمان وجود المواد المغذية فيهـا ، وتوفر لهنّ الملابس الصحية النظيفة والغذاء الجيد والفراش المريح وتنقدهنّ الأجر المناسب . وستجد حينئذ عشرات من المرضعات يقبلن هـذا العمل الطبيعى المربح ، كما تجد مئات الأطفال الذين يرغب أهلوهم فى إيوائهم وكفالتهم مدّة الرضاعة .

ثم تجعل للآباء والأهل حق زيارة أطفالهم مرة فى كل أسبوع مثـلا ليطمئنوا عليهم ويرضوا عاطفتهم ، ويتابعوا حياة أطفالهم وصحتهم .

وأعتقد أن وجود هذه المآوى واشتهارها بالعناية والنظافة سيجذب إليها عددا من الأطفال غير الأيتام ، فكثير من الأمهات قد يرغبن بسبب سوء صحتهنّ أو مشاغلهنّ العائلية أو نقص المواد المغذية فى ألبانهنّ ، إيداع أطفالهنّ مدّة الرضاعة ، كلها أو بعضها فى هذه المآوى المأمونة ويجدن من السهل أن يؤدّين أجر الرضاعة والحضانة عدّة شهور أو عاما من عامى الرضاعة .

على أن هناك حالة جديدة ينبغى الالتفات إليها، وهى حالة الأمهات العاملات، فالحركة الصناعية عندنا آخذة فى النمو، وهى تضم كثيرا من العاملات وستضم أضعافهن فى المستقبل القريب، فمن الخير أن نحتاط لهذه الحالة قبل استفحالها وشقوة الأمهات العاملات بأطفالهن الرضع .

وفى كل بلاد العالم المتمدين توجد هذه المآوى التى تتسلم الأطفال من أمهاتهن فى وقت العمل، ثم تسلمهم لهن بعد انقضائه، وبذلك تستطيع المرأة أن تساهم فى نفقات الحياة المنزلية بالعمل فى سهولة ويسر، وهى مطمئنة على طفلها عالمة بأنه بين أيادى رحيمة قد تكون أكثر منها خبرة بشئون الأطفال .

ونحن ننشر هـذه الكلمات، وفى يقيننا أن وزارة الصحة أو إحدى الجمعيات ستبادر بعلاج هذه الحالة، وأنها ستبدأ عن قريب بانشاء المأوى الأول للأطفال الذين لا يريد لهم آباؤهم أن يحسبوا لقطاء ولا يريدون لهم كذلك أن ينشأوا على دين غير دينهم فى ملاجئ المبشرين.

* * *

ثم نخرج من هـذه الدائرة الضيقة فيما يختص بالأطفال إلى الدائرة الواسعة التى تشمل مشكلة الطفولة المشردة كلها؛ فقد قامت الحكومة بإنشاء بعض الملاجئ للأطفال المشردين كما قامت بعض الجماعات المصرية والأجنبية باقتتاح بعض النوادى؛ ويمكن أن نضم إلى جهود الملاجئ والنوادى جهود إصلاحية الأحداث .

إلا أننا نجد مدينة كمدينة القاهرة لا تزال تموج بالأطفال المشردين صبية وصبيات بعضهم يحترف التسول، وبعضهم يتظاهر ببيع أوراق النصيب، أو أنواع الحلوى القذرة وبعضهم يقوم بجمع أعقاب السجائر؛ والجميع صفر الوجوه غائرو العيون عراة الأجساد، قذرو المنظر رثيثو الهيئة، كل فرد منهم يتراءى وصمة فى جبين الوطن بل فى جبين الانسانية ؟

فماذا صنعنا لهؤلاء جميعا ؟

إن وراء بعضهم قصصا إنسانية أليمة ولاسيما بعض البنات المشردات، قصصا يعرف عنها قسم الخدمة الاجتماعية بهذه الوزارة الشىء الكثير، مما تتقطع له الأكباد ويندى له الجبين. فماذا صنعنا لهم ؟ وماذا وضعنا من سياسة شاملة لا تبقى هذه القطع الآدمية المحطمة فى الشوارع والطرقات؟

يخيل إلى أننا لم نصنع شيئا، وكلما أعددنا مشروعا من المشروعات وقف المال عقبة فى الطريق بينما الأموال تبعثر بلا حساب فى الرفاهة والكماليات !

ولم تستنفد الحكومة كل ماتستطيعه فى هذا السبيل . فلا تزال تملك أن تضاعف ماتبذله من جهود ومن اعتمادات فى هذا السبيل ، ولكن هناك مورداً أساسيا لمثل هذه الخدمات الاجتماعية لم يستغل حتى الآن ، هذا المورد هو التبرعات السخية التى يجود بها كبار الأغنياء والمولين فى جميع بلاد العالم المتمدين إلا فى مصر التى تريد أن تعد نفسها قطعة من أوربا منذ أكثر من نصف قرن من الزمان !

إن أوربا التى تتناحر اليوم وتتقاتل ، والتى نقف نحن نتفرج بتناحرها وتقاتلها ونكيل لها التهم كيلا عن الوحشية والقسوة . أوربا هذه قد عرفت واجبها منذ أجيال نحو الأطفال والعجزة والمرضى والمحتاجين للخدمة الاجتماعية على العموم ، وقد أدت هذا الواجب كاملا فاستحقت أن تنعت بالتحضر وبالمدنية .

فعلينا قبل أن نلصق أنفسنا بها ، وقبل أن نلومها ونتقدها ، أن نؤدى واجبنا الإنسانى تجاه المشردين من أطفالنا على الأقل ، وهو أول واجبات الإنسان لبنى الإنسان !

طبعت بالمطبعة الأميرية ببولاق
فى يوم ١٣ من ربيع الثانى سنة ١٣٦٠
(٢٩ من أبريل سنة ١٩٤١) ط

مدير المطبعة الأميرية
محمد بكرى

الطبعة الأميرية ٤٢٤٨٣-١٩٤١-٥٠٠٠